

كتاب

الضياء الشارق

في رد شبهات المازي المار

نأليف

الطالع العامل ، والاستاذ الفاضل ، الشيخ سليمان بن سحمان

معه علماء نجر الاعرام

أثابه الله تعالى ونفع به

آمين

طبع بأمر جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

أيده الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الثقة والمصمة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين ،
وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، إله الاولين والآخرين ، وقيوم
السموات والأرضين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين ، ولعلم المتقين ،
وقائد الغر المحجلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان
الى يوم الدين ،

(أما بعد) فاني قد وقفت على رسالة مطبوعة^(١) ، وألفها رجل من الاعراف يقال
له جميل أفندي صدقي الزهاري ، جمع فيها من الاكاذيب والترفات ، والاضايل
المنكرات مع ما اشتمل عليه كلامه من الفجور ، وقول الزور ، والتجانب للآثم
والعدوان ، وصرح الافك والبهتان ، ما يمج سماءه أولو العقول السليمة ، والألباب
الزائكة المستقيمة ، وسلك فيها مسلك أهل النقي والضلال ، واعتمد فيما يحكيه على
ما هو من أمحل المحال ، وأوخم الاتحال ، وأتبع فيها أهواء قوم قد ضلوا من
قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، حيث لم يتمسكوا من الكتاب والسنة
بأوضح برهان وأقوم دليل ، ولم يردوا من حوضها السلسيل ، بل عدلوا إلى
أسن قلو ط أهل الفلسفة والتجويل والتبديل ، وحادوا فيها عن منهج أهل الحق
والصدق والعدل والانصاف ، وساروا على طريقة أهل النقي والكذب والانحراف ،
وقد قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) فان الله تعالى قد بين الحق
بياناً كافياً شافياً ، وأرسل رسوله محمداً الى الخلق بالحق مبشراً ونذيراً وداعياً ،
ونصب الأدلة وأوضح المحجة ، فلم يبق للناس على الله بعد الرسل من حجة ،

فمن أجاب داعي الله فقد نجا ، ومن تولى عن الحق معرضاً أفضى به عوجاً ، فلما نكب هذا الرجل عن طريقة أهل الحق والتحقيق ، وجأ فيما يتحله وبحكمه إلى ركن غير وثيق ، استغنت الله على رد أباطيله ، وتهجين أضاليله وأساطيله ، على سبيل الاختصار والاقتصار ، وتركت من كلامه ما لا طائل في الجواب عنه ، والله المستؤل المرجو الاجابة ، أن يمدنا بالأصابة ، وإن يجزل لنا الأجر والانبابة ، وإن يجعله لوجهه خالصاً ، وإن ينفع به من قرأه ونظر فيه ، وإن يجمع به صاحب الباطل ومبتغيه

فصل

قال العراقي :

الوهابية ومنشؤها

الوهابية فرقة منسوبة إلى محمد بن عبد الوهاب ، وابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب كان سنة ١١٤٣ وانما اشتهر أمره بعد الحسين ، فأظهر عقيدته الزائفة في نجد ، وساعده على إظهارها محمد بن مسعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب فجبر اهلهما على متابعة ابن عبد الوهاب هذا فتابعوه ، وما زال ينخدع له في هذا الأمر حتى بعد حي من أحياء العرب حتى عمت فتنته ، وكبرت شهرته ، واستفحل أمره فخافه البادية ، وكان يقول للناس : ما أدعوكم إلا إلى التوحيد ، وترك الشرك بالله تعالى في عبادته ، وكانوا يمشون خلفه حينما مشى حتى اتسم له الملك فالجواب ، ومن الله أستمّد الصواب ، ان تقول :

أما منشأ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وظهورها في نجد ، فمن المعلوم عند الخاص والعام انه قد نشأ في أناس قد اندرست فيهم معالم الدين ، ووقع فيهم من الشرك والبدع ماعثمٌ وطم في كثير من البلاد ، إلا بقايا متمسكين بالدين يعلمهم الله تعالى ، وأما الأكثرون فعاد المعروف بينهم منكراً ، والمنكر معروفاً ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة ، نشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ، ففتح الله بصيرة شيخ الاسلام بتوحيد الله الذي بعث الله به رسله وأنبيائه ،

فعرّف الناس ما في كتاب ربهم من أدلة توحيده الذي خلقهم له ، وما حرم الله عليهم من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، فقال لهم كما قاله المرسلون لأئمتهم (أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فحجب كثيرا منهم عن قبول هذه الدغوة ما اعتادوه ، ونشأوا عليه من الشرك والبدع فنصبوا العداوة لمن دعاهم إلى توحيد ربهم وطاعته ، ولمن استجاب له وقبل دعوته ، وأصغى إلى حجج الله وبيناته ، كحال من خلا من أعداء الرسل كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)

فاذا تمهد هذا فلنذكر ههنا شيئا يسيرا من حال نشأة الشيخ محمد عبد الوهاب التميمي رحمه الله وظهوره ودعوته إلى الله ، ليعلم الطالب ، ويتحقق الراغب ، حقيقة ما دعا إليه هذا الامام ، وما كان عليه من الاعتقاد والفهم التام ، ويتبين للناس فيها ما بهت به الأعداء من الأكاذيب والافتراء ، التي يرومون بها تنفير الناس عن المحجة والسبيل ، وكتمان البرهان والدليل ، وقد كثر أعداؤه ومنازعوه ، وفشا البهت منهم فيما قالوه ونقلوه ، وربما اشتبه على طالب الانصاف والتحقيق ، والتبس عليه واضح المنهج والطريق ، بما موّهوا به من تلك الأكاذيب الشنيعة ، والألقاب الداحضة الوضيعة ، وان من استصحب الاصول الشرعية وجرى على القوانين المرضية ، عرف أن لكل نعمة حاسدا ، ولكل حق جاحدا ، ولا يقبل في نقل الأقوال والأحكام ، إلا العدول الثقات الضابطون من الأئام ، ومن استصحب هذا استراح عن البحث فيما ينقل اليه وينمع ، ولم يلتفت إلى أكثر ما يختلف ويصنع ، وكان من أمره على منهاج واضح ومشرع

فصل

كان مولده رحمه الله سنة ١١١٥ خمسة عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية في بلد العيينة من أرض نجد ونشأ بها وقرأ القرآن بها حتى حفظه وأتقنه قبل بلوغه العشر وكان حاد الفهم سريع الإدراك والحفظ يتعجب أهله من فطنته وذكائه ، وبعد حفظ القرآن اشتغل وجد في الطلب ، وأدرك بعض الأرب ، قبل رحلته لطلب العلم وكان سريع الكتابة ربما كتب الكراسة في مجلس قال أخوه سليمان كان والده يتعجب من فهمه ويعترف بالاستفادة منه مع صغر سنه ووالده هو مفتي تلك البلاد وجدته مفتي البلاد النجدية وآثاره وتصانيفه وفتاويه تدل على علمه وفقهه وكان جده إليه المرجع في الفقه والفتوى وكان معاصر الشيخ منصور البهوتي الحنبلي خادم المذهب اجتمع به بمكة وبعد بلوغ الشيخ سن الاحتلام قدمه والده في الصلاة وراه أهلاً للأيتام ثم طلب الحج الى بيت الله الحرام ، فأجابه والده الى ذلك المقصد والمراد ، وبادر الى قضاء حجة الاسلام ، وأداء المناسك على التمام ، ثم قصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وأقام بها قريباً من شهرين ، ثم رجع الى وطنه قرير العين ، واشتغل بالقراءة في الفقه على مذهب الامام أحمد رحمه الله ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم وذاق حلاوة التحصيل والفهم وزاحم العلماء والكبار ورحل الى البصرة والحجاز مراراً واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ الاخيار وأتى الى الاحساء وهي اذ ذاك آهلة بالمشايخ والعلماء . فسمع وناظر وبحث واستفاد وساعدته الأقدار الربانية بالتوفيق والامداد وروى عن جماعة منهم الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدي ، ثم المدني وأجازه من طريقين وأول ما سمع منه الحديث المسلسل بالاولية وكتب السماع بالسند المتصل الى عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الرحمن يرحمهم الرحمن يرحموا من في الارض يرحمهم من في السماء» وسمع منه مسلسل الحنابلة بسنده الى انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله» قالوا كيف يستعمله؟ قال «يوقفه لعمل صالح قبل موته» وهذا الحديث من ثلاثيات أحمد رحمه الله وطالت إقامة الشيخ ورحلته بالبصرة وقرأ بها كثيراً من الحديث والفقه والعربية وكتب من الفقه والحديث واللغة ما شاء الله في تلك الاوقات

وكان يدعو الى التوحيد ويظهره لكثير ممن يخالطه ويجالسه ويستدل عليه ويظهر ما عنده من العلم ومالديه وكان يقول ان الدعوة كلها لله لا يجوز صرف شيء منها الى سواه وربما ذكروا بمجلسه اشارة الطواغيت أو شيئاً من كرامات الصالحين الذين كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويلجئون اليهم في المهمات فكان ينهى عن ذلك ويزجر ويورد الأدلة من الكتاب والسنة ويحذر ويخبر ان محبة الاولياء والصالحين انما هي متابعتهم فيما كانوا عليه من الهدى والدين وتكثير أجورهم بمتابعتهم على ما جاء به سيد المرسلين وأما دعوى المحبة والمودة مع المخالفة في السنة والطريقة فهي مردودة غير مسالة عند أهل النظر والحقيقة

ولم يزل على ذلك رحمه الله ثم رجع الى وطنه فوجد والداه قد انتقل الى بلدة حريملا فاستقر فيها يدعو الى السنة المحمدية ويبيدها ويناصح من خرج عنها ويفشيها حتى رفع الله شأنه ورفع ذكره ووضع له القبول وشهد له بالفضل ذووه من المعقول والمنقول . وصنف كتابه المشهور في التوحيد وأعلن بالدعوة الى الله العزيز الحميد وقرأ عليه هذا الكتاب المفيد وسمعه كثير من لديه من طالب ومستفيد وشاعت نسخه في البلاد وطار ذكره في الغور والانجاد وفاز بصحبته واستفاد من جرد القصد وسلم من الاسر والبغي والفساد وكثر بحمد الله محبوه وجنده وصار معه عصابة من فحول الرجال وأهل السمات الحسن والكمال يسلكون معه الطريق ويجاهدون كل فاسق وزنديق

فصل

كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان قد اشتدت غربة الاسلام بينهم، وعفت آثار الدين لديهم، وانهدمت قواعد الملة الخفيفة، وغلب على الاكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والاعراض عن السنة والقرآن، وشب الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهرم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والاجداد، وأعلام الشريعة مطموسة، ونصوص التنزيل وأصول السنة فيهم مدروسة، وطريقة الآباء والاسلاف مرفوعة الاعلام، وأحاديث السكبان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة، قد خلعوا ربة التوحيد والدين، وجدوا واجتهدوا في الاستغناء والتعلق على غير الله من الأولياء والصالحين، والأوثان والأصنام والشياطين، وعلماءؤهم ورؤسائهم على ذلك مقبلون، ومن البحر الأجاج شاربون، وبه راضون، واليه مدى الزمان داعون، قد أعشتم العوائد والمألوفات، وحبستهم الشهوات والارادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات، والآيات البينات، يحتجون بما رووه من الآثار الموضوعات، والحكايات المختلقة والمنامات، كما يفعله أهل الجاهلية وغير القترات. وكثير منهم يعتقد النفع في الأحجار والجمادات، ويتبركون بالآثار والقبور في جميع الاوقات (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)* قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والائم والبنغي بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)

فاما بلاد نجد، فقد بالغ الشيطان في كيدهم وجد، وكانوا ينتابون قبر زيد ابن الخطاب ويدعونه رغياً ورهباً بفصيح الخطاب، ويزعمون انه يقضي لهم الحوائج ويروونه من أكبر الوسائل والولائج، وكذلك عند قبر يزعمون انه قبر ضرار ابن

الأزور وذلك كذب ظاهر ، وبهتان مزور ، وكذلك عندهم نخل فحال ينتابه النساء والرجال ، ويفعلون عنده أقبح الفعال ، والمرأة اذا تأخر عنها الزواج ، ولم ترغب فيها الأزواج ، تذهب اليه وتضمه بيديها وتدعوه برجاء وابتهاال وتقول : يا نخل الفحول ، أريد زوجا قبل الحول . وشجرة عندهم تسمى الطريفية أغرام الشيطان بها ، وأوحى اليهم التعلق عليها ، وأنها ترجى منها البركة ، ويعلقون عليها الحرق لعل الولد يسلم من السوء . وفي أسفل بلدة الدرعية مغارة في الجبل يزعمون انها انفلقت من الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير اراد بعض الناس أن يظلمها ويضير ، فانفلقت الغار ولم يكن له عليها اقتدار ، وكانوا يرسلون إلى هذا المكان من اللحم والخبز ما يقتات به جند الشيطان . وفي بلدتهم رجل يدعي الولاية يسمى تاج يتبركون به ، ويرجون منه العون والافراج ، وكانوا يأتون اليه ويرغبون فيما عنده من المدد بزعمهم ولديه ، فتخافه الحكام والظلمة ، يزعمون أن له تصرفا وفكرا لمن عصاه وملحمة مع أنهم يحكون عنه الحكايات الشيعة التي تدل على انحلاله عن أحكام الملة والشريعة . وهكذا سائر بلاد نجد على ما وصفنا من الاعراض عن دين الله ، والجحد لأحكام الشريعة والرد . ومن العجب أن هذه الاعتقادات الباطلة ، والمذاهب الضالة ، والعوائد الجائرة ، والطرائق الخاسرة ، قد فشت وظهرت ، وعمت وطمت ، حتى بلاد الحرمين الشريفين . فن ذلك ما يفعل عند قبر محبوب وقبة ابي طالب ، فيأتون قبره بالسماعات والعلامات للاستغاثة عند نزول المصائب ، وحلول النواكب ، وكانوا له في غاية التعظيم ، ولا ما يجب عند البيت الكريم ، فلو دخل سارق ، أو غصب ، أو ظالم قبر أحدهما لم يتعرض له أحد لما يرون له من وجوب التعظيم ، والاحترام والمكram . ومن ذلك ما يفعل عند قبر ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها في سرف وكذلك عند قبر خديجة رضي الله عنها ، يفعل عند قبرها مالا يسوغ السكوت عنه من مسلم يرجو الله والدار الآخرة فضلا عن كونه من المكاسب الدينية الفاخرة ، وفيه من اختلاط النساء بالرجال ، وفعل الفواحش والمذكرات ، وسوء الافعال ، الا يقره أهل الايمان والكمال ، وكذلك سائر القبور المعظمة

المشرقة في بلد الله الحرام مكة المشرقة ، وفي الطائف قبر ابن عباس رضي الله عنه يفعل عنده من الامور الشركية التي تشتمل منها نفوس الموحدين ، وتكرها قلوب عباد الله المحلصين ، وتردها الآيات القرآنية وما ثبت من النصوص عن سيد المرسلين ، منها وقوف السائل عند القبر متضرعا مستكينا ، وابداء الفاقة إلى معبودهم مستعينا ، وصرف خالص المحبة اني هي محبة العبودية ، والنذر والذبح لمن تحت ذاك المشهد والبنية ، وأكثر سوقهم وعامتهم يلججون بالاسواق اليوم: على الله وعليك يا ابن عباس فيستمدون منه الرزق والغوث . وكشف الضر والبأس

وذكر محمد بن حسين النعماني الزبيدي رحمه الله أن رجلا رأى ما يفعل في الطائف من الشعب الشركية والوظائف ، فقال أهل الطائف لا يعرفون الله إنما يعرفون ابن عباس ، فقال له بعض من يترشح بالعلم معرفتهم لابن عباس كافية لأنه يعرف الله فانظر إلى هذا الشرك الوخيم ، والفلو الذميمة ، الجانب للصراط المستقيم ، ووازن بينه وبين قوله (واذا سألتك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) الآية . وقوله جل ذكره (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى باتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد يعبد الله فيها فكيف بمن عبد الصالحين ودعاهم مع الله ، والنصوص في ذلك لا تخفى على أهل العلم ، وكذلك ما يفعل بالمدينة المشرقة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام هو من هذا القبيل بالبعد عن منهاج الشريعة والسبيل . وفي بندر جدة ما قد بلغ من الضلال حده وهو القبر الذي يزعمون أنه قبر حواء ، وصفه لهم بعض الشياطين ، وأكثروا في شأنه الألف الممين ، وجعلوا له السدنة والخدم ، وبالغوا في مخالفة ما جاء به محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من النهي عن تعظيم القبور والفتنة بمن فيها من الصالحين ، وكذلك مشهد العلوي بالغوا في تعظيمه ، وتوقيره ، وخوفه ، ورجائه . وقد جرى لبعض التجار أنه انكسر بمال عظيم لأهل الهند وغيرهم وذلك في سنة عشر ومائتين وألف فهرب إلى مشهد العلوي مستجيراً ، ولائذآبه مستغيثاً ، فترك أرباب الاموال ، و

يتجاسر أحد من الرؤساء والحكام على هتك ذلك المشهد والمقام ، واجتمع طائفة من المعروفين وانفقوا على تنجيته في مدة سنين فنعوذ بالله من تلاعب الفجرة والشيادلين .

وأما بلاد مصر وصعيدها وأعمالها قد جمعت من الامور الشركية ، والعبادات الوثنية ، والدعاوي الفرعونية مالا يتسع له كتاب ، ولا يدنو له خطاب لاسيما عند مشهد احمد البدوي وأشالهم من المعتقدين في المعبودين ، فقد جاوزوا بهم مادعته الجاهلية لألهتهم ، وجمهورهم يرى له من تدبير الربوبية والتصرف في الكون بالمشيئة والقدرة العامة مالم ينقل مثله عن أحد بعد الفرائنة والتمردة ، وبعضهم يقول : يتصرف في الكون سبعة ، وبعضهم يقول أربعة ، وبعضهم يقول : القطب يرجعون اليه . وكثير منهم يرى أن الامور شورية بين عدد ينتسبون اليه ، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذباً) وقد استباحوا عند تلك المشاهد من المنكرات والفواحش والمفاسد مالا يمكن حصره ، ولا باستطاع وصفه ، واعتمدوا في ذلك من الحكايات والخرافات والجهالات مالا يصدر عن من له أدنى مسكة وحظ من المعقولات فضلاً عن النصوص والشرعيات . وكذلك مايفعل في بلدان اليمن جار على تلك الطريق والنسن ، ففي صنعاء وبرع والمحا وغيرها من تلك البلاد مايتنزه العاقل عن ذكره ووصفه ، ولا يمكن الوقوف على غاياته كشفه ، وناهيك بقوم استخفهم الشيطان ، وعدلوا عن عبادة الرحمن إلى عبادة القبور والشياطين فسبحان من لا يعجل بالعقوبة على الجرائم ، ولا يهمل الحقوق والمظالم ، وفي حضر موت ، والشحر ، وعدن ، ويافع ماتستك عن ذكره المسامع يقول قائلهم شيء الله عيدروس . شيء الله يا محي النفوس

وفي أرض نجران من تلاعب الشيطان ، وخلع ربة الأيمان ، مالا يخفى على أهل العلم بهذا الشأن ، من ذلك رئيسهم المسمى بالسيد لقد أتوا من طاعته وتعظيمه ، وتقديمه ، وتصديره ، والغلو فيه بما أفضى بهم إلى مفارقة الملة والاسلام والانحياز إلى عبادة الأوثان والأصنام (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من

دون الله ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) وكذلك حلب ، ودمشق ، وسائر بلاد الشام فيها من تلك المشاهد والنصب والاعلام ، مالا يجمع عليه أهل الايمان والاسلام من اتباع سيد الانام ، وهي تقارب ما ذكرنا في الكفریات المصرية ، والتلطف بتلك الاحوال الوثنية الشريكة وكذلك الموصل وبلاد الاكراد ظهر فيها من اصناف الشرك والفجور والفساد وفي العراق من ذلك بحره المحيط بسائر الخلجان ، وعندهم المشهد الحسيني قد تحذه الرافضة وثناً ، بل ربا مديراً ، وخالقاً ميسراً ، وأعادوا به المجوسية ، وأحبوا به معاهد اللات والعزى ، وما كان عليه أهل الجاهلية ، وكذلك مشهد العباس ، ومشهد علي ، ومشهد ابي حنيفة ، ومعروف الكرخي ، والشيخ عبد القادر فانهم قد افتتنوا بهذه المشاهد رافضتهم ، وعدلوا عن أسنى المطالب والمقاصد ، ولم يعرفوا ما وجب عليهم من الله الفرد الصمد الواحد وبالجملة فهم شرك تلك الأمصار ، وأعظمهم نفوراً عن الحق واستكباراً ، والرافضة يصون تلك المشاهد ، وبركعون ويسجدون لمن في تلك المعاهد . وقد صرفوا من الأموال والنذور ، اسكان تلك الأجداث والقبور مالا يحصل عشر معشاره للملك العلي الغفور . ويزعمون أن زيارتهم لعلی وأمثاله أفضل من سبعين حجة ، تعالى الله وتقدس في مجده وجلاله ، ولا الهتهم من التعظيم والتوقير والخشية والاحترام ما ليس معه من تعظيم الله وتوقيره وخشيته وخوفه شيء . لاله الحق والملك العلام ، ولم يبق مما عليه النصارى سوى دعوى الولد به . غير أن بعضهم يرى الحلول لأشخاص بعض البرية ، سبحانه ربك رب العزة عما يصفون . وكذلك جميع قرى الشط والمجره على غاية من الجهل والمعرفة في القطيف والبحرين من البدع الرافضية ، والأحداث المجوسية ، والمقامات الوثنية ما يضاد ويصادم أصول الملة الحنيفية . فمن اطلع على هذه الأفاعيل وهو عارف بالايمان والاسلام وما فيها من التفريع والتأصيل ، تيقن أن القوم قد ضلوا عن سواء السبيل ، وخرجوا من مقتضى القرآن والدليل ، وتمسكوا بزخارف الشيطان ، وأحوال الكهان ، وما شابه هذا القبيل ، وازداد بصيرة في دينه ، وقوي بمشاهدته إيمانه

ويقينه ، وجدَّ في طاعة مولاه وشكره ، واجتهد في الانابة اليه وإدامة ذكره ،
وبادر إلى القيام بوظائف أمره ، وخاف أشد الخوف على إيمانه من طغيان
الشیطان وكفره . فليس العجب ممن هلك كيف هلك ، إنما العجب ممن نجا كيف نجا .
فلما تفانم هذا الخطب وعظم ، وتلاطم موج الكفر والشرك في هذه الامة
وجسُم ، واندرست الرسالة المحمدية ، وانمحت منها المعالم في جميع البرية ،
وطمست الآثار السلفية ، وأقيمت البدع الرفضية ، والامور الشريكة

تجرد الشيخ للدعوة إلى الله ، ورد هذا الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح
في باب العلم والإيمان ، وباب العمل الصالح والاحسان ، وترك التعلق على غير
الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم ، والاعتقاد في الأحبار والأشجار ،
والعيون والمغار ، وتجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال
وهجر ما أحدثه الخلف والأغيار ، فجادل في الله وقرر حججه وبياناته ، وبذل
نفسه لله ، وأنكر على أصناف بني آدم ، الخارجين عما جاءت به الرسل ،
المعرضين عنه ، التاركين له . وصنف في الرد على من عاند وجادل ، وما حلَّ
حتى ظهر الاسلام في الارض ، وانتشر في البلاد والعباد ، وعلت كلمة الله ،
وظهر دينه ، وانقمع أهل الشرك والفساد ، واستبان لذوي الألباب والعلوم من
دين الاسلام ما هو مقرر معلوم

فهذه حقيقة حال الشيخ ونشأته ، وظهور دعوته . وهذه حال أهل الامصار
في تلك الأوقات والأعصار ، كما تقدّم بيانه لذوي العقول والأبصار . فمن
شرح الله صدره للاسلام تبين له صحة ما دعا اليه هذا الامام ، ومن عمي عن
طريق رشد هدهاه ، واتبع فيما ينمّحله ما يهواه ، وتمرد على الله واستكبر وعتا
وتجبر . فانما الهداية بيد الله (ومن يرد الله فتنه فلن يملك له من الله شيئاً ، ومن
لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

وبما ذكرناه يعرف كيفية الجواب عما تقدم من فاتحة كتاب هذا العراقي
إلى مبدأ نشأة الشيخ وظهور دعوته ، وإنما تركنا الجواب لعدم المصلحة
الراجعة في ذلك

فصل

قل الملحد فأظهر عقيدته الزائفة في نجد

(الجواب) أن يقال قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقررة ، وما ثبت بخطه ، وعرف واشتهر من أمره ودعوة ، وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته أنه كان على ما كان عليه السلف الصالح ، وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ، ونعوت جلاله ، التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحت بها الأخبار النبوية ، وتلقتها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبول والتسليم يثبتونها ويؤمنون بها ، ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تشيل ، وقد درج على هذا من بعدهم من التابعين ، وتابعيهم من أهل العلم والإيمان ، وسلف الأمة وأئمتها . وكان رحمه الله يدعو الناس إلى الصلوات الخمس والمحافظة عليها حيث ينادي لها ، وهذا من سنن الهدى ومعالم الدين كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، ويأمر بالزكاة والصيام والحج ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأمر الناس أن يأتوه ويأمروا به ، وينهى عن المنكر ويتركه ويأمر الناس بتركه والنهي عنه ، فمن زعم أن عقيدته وطريقته زائفة ، أو عن الحق رائفة ، فلعدم معرفته بالعقائد السلفية ، والآثار النبوية ، بل تنادي بعقيدته البيضاء بعقيدة السلف ، ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خلف منا ومن سلف ، بل قد تتبع العلماء مصنفاته رحمه الله من أهل زمانه وغيرهم فأعجزهم أن يجدوا فيها ما يعاب . وأقواله في أصول الدين مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ولم يعب عليه إلا من خرج عن طريقة أهل السنة ، لأنهم بما كانوا عليه من الشرك والضلال من عبادة غير الله تعالى ، بالالتجاء إلى الصالحين ودعائهم ، والاستغاثة بهم ، لأنهم لا يعرفون إلا ما نشأوا عليه من هذا الشرك العظيم ، والمرتم الوبي الوخيم الذي وجدوا عليه الآباء والجدود ، الراتعين في رياض المحرمات والحدود . والأكثر منهم يتدين بالبدع والأهواء ، ويرفض ما درج

عليه السلف الصالح من الدين القديم الأولي ، ويتجمل ما كان عليه الفلاسفة المتقدمون ، وورثتهم من المتكلمين الذين يحرفون الكلام عن موضعه ، ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل وأما قوله : وساعده على إظهارها محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب فأقول : نعم قد استجاب لهذه الدعوة الحمديد والملة الابراهيمية من أهل الاسلام عصابة حصل بهم من العز والمنعة ما هو عنوان التوفيق والاصابة ، فكانوا لطريقته المثلى متبعين ، وبأقواله وأفعاله مقتدين ، لا يزالون معه في إخلاص الدعوة مشمرين ، وفي إدحاض الباطل وأهله مجتهدين ، وبايضاح مناهج الشرك معلنين ، ولها منكرين ، وعنهما محذرين ، وفيما يرضي الله مسرعين ، ولأهل الدين والحق مكرمين ، ولأهل الضلال موهنين ، وللضلال والفساق مهينين ، ولقبح عقائد مبدئين ، قائمين في ذلك لرب العالمين ، ولوجه الكريم محبتين ، وللنجاة مرتبين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين) وقد قال الامام احمد بن محمد الحفظي اليمني في أرجوزة له ذكر فيها ظهور هذه الدعوة الحمديد ، والطريقة السلفية ، قال فيها

أحمد مهلاً مسبحاً	محولاً محبباً
مصلياً على الرسول الشارح	وآله وأصحابه والتابع
في البدء والختم (وأما بعد)	فهذه منظومة تعد
حر كني لنظمها الخير الذي	قد جئت في آخر العصر القدي
لما دعى الداعي من المشارق	يأمر رب العالمين الخالق
وبعث الله لنا مجدداً	من أرض نجد عالماً مجتهداً
شيخ الهدى محمد الحمدي	الحنبلي الأثري الأحدي
فقام والشرك الصريح قد سرى	بين الوري وقد طفئ واعتكرا
لا يعرفون الدين والتهليلا	وطرق الاسلام والسبيلا
إلا أساميها وباقي الرسم	والأرض لا تخلو من أهل العلم
وكل حزب فلهم وليجة	يدعونه في الضيق للتفرجة

وملة الاسلام والاحكام
 دعا إلى الله وباتمهلية
 مستضعفا وما له مناصر
 في ذلة وقلة وفي يده
 كأنها ربح الصبا في الرعب
 قد أذكرني درة لعمر
 ولم يزل يدعو إلى دين النبي
 يعلم الناس معاني أشهد
 محمد نبيه وعبيده
 أن تعبدوه وحده لا تشركوا
 ومن دعا دون الاله أحداً
 ان قتلتموا نعبدهم للقربة
 وربنا يقول في كتابه
 هذي معاني دعوة الشيخ لمن
 فانقسم الناس فمنهم شارد
 ما بين خفاش وبين جمل
 وبعد ما استجيب لله فمن
 ومن أجاب داعي الله ملك
 والسابقون الأولون السادة
 هم الغيوث والايوث والشنف
 فأقبلوا والناس عنه أدبروا
 حفوا به كأسد العرائن
 وابن سعود كاذبي أيوب
 قال اذهبوا فأنتموا سيوم
 وقام فاروق الزمان المؤمن
 في غربة وأهلها أيتام
 يصرخ بين أظهر القبيلة
 ولا له معاون موازر
 مهفة تغيبه عن مهنده
 والحق يعلم بجنود الرب
 وضرب موسى بالعصا الحجر
 ليس إلى نفس دعا أو مذهب
 ان لا اله غير فرد يعبد
 رسوله اليكم وقصده
 شيثابه والابتداع فتركوا
 أشرك بالله ولو محمداً
 أو لشفاعات فلك الكذبة
 هذا هو الشرك بلا تشابه
 عاصره وأستكبر وأعن السنن
 مخاصم محارب معاند
 شامت وجود أهل هذا النمل
 جادل في الله تردى وافتن
 ومن تولى معرضاً فقد هلك
 آل سعود الكبار القادة
 ونصرة الاسلام والشم الأنف
 وعرفوا من حقه ما أنكروا
 وكم وكم لله من ضنآن
 محمد الربيل واليعسوب
 وجند ربي قبله حينزوم
 عبيد العزيز من ومن ومن

فسار في الناس كسيرة الأشج يسوس بالآثار والقرآن
يدعو إلى الله بحزب غالب ونفسه لله والنفيس
وبعده قام الامام البارع وهو الهزبر الضيغم العدل الولي
كم زرع بالقرآن والسلطان وفي العراقين له رعود
واليمن الميمون كالخجاز والحرمين وهي المطهرة
بالرفق يدعوه وبالمطاف ولم يكن في نزعه من ضعف
فلم أرى من عبقرى يفري وهكذا من يتدي بنفسه
فانه يطاع لامحاله ونفقات أمره مترجمه
وهو الغيور الشهم ليس يرضى لا يطلب الدنيا ولا الفساد
أومذهبا أو ذهباً يريد ودوخ البر وخاض للشيخ
على طريق العدل والاحسان مجاهد بالاربع المراتب
والصدق للقلوب مغناطيس بأمر رب العالمين الوازع
سعود مخ الرأس قلب الهيكل من فارس والروم والزنجان
ومصر من صولته مرعود دوخها بالقهر والمغازي
قد أصبحت بعدله معطره ومن أبي يطره بالمشرفي
وشاهد الواقع فيه يكفي فريه من أمراء العصر
مجاهداً في يومه وأمه في خارج بيعاً بلا إقاله
ليظهر الحق وتعلو الكلمه ببيضة الاسلام أن ترضا
في الارض والعلو والعنادا وإثما مطلوبه التوحيد

فصل

وأما تعبيره أهل الاسلام بأن بلادهم بلاد مسيلة الكذاب
فالجواب ان نقول سبحانه الله ما اعظم شأنه وأعز سلطانه فانه لا يعبر بهذا
الكلام الا أشباه الانعام فان سكني الدار لا تؤثر فان الصحابة سكنوا مصر
وبلاد الفرس وفضلهم لا يزال في مزيد وإيمانهم قهر أهل الشرك والتنديد

وعادت تلك البقاع والاماكن من أفضل مساكن أهل التوحيد وقد روي الطبراني من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « دخل ابليس العراق فقضي فيها حاجته ثم دخل الشام فطردوه ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عليها عبقرية » ولا يقول مسلم بدم علماء العراق لما ورد فيها وقال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى وقد قال لي بعض الازهريين : مسيلة الكذاب من خير نجدكم فقلت وفرعون اللعين رئيس مصر كم فببت ، وابن كفر فرعون من كفر مسيلة لو كانوا يعلمون . وقال الشيخ ملاعمران ابن علي بن رضوان نزيل لنجة في رده على من عارض الشيخ محمد وعيره بان بلاده بلاد مسيلة الكذاب قل بعد كلام سبق

قد عيروه بانه قد كان في	وادي حنيفة دار من لم يسعد
قلنا لهم ماضر مصر بأنها	كانت لفرعون الشقي الأترد
ان النماردة الفراعنة الاولى	كانوا بأرض الله أهل نمرود
ذا قال انارب وذا متنبى	هم في بلاد الله أهل تردد
يمنا وشاما والعراق ومصرها	من كل طاع في البرية مفسد
فيموتهم طابت وطار غبارها	وزعت بتوحيد الاله المفرد
ان المواطن لا تشرف ساكنها	فيها ولا تهديه ان لم يهتد
من كان لله الكريم موحداً	لومات في جوف الكنيف المطرد
وبعكسه من كان يشرك فهو لم	يفلح ولو قد مات وسط المسجد
خرج النبي المصطفى من مكة	وبقى أبو جهل الذي لم يهتد
ان الاماكن لا تقدر أهلها	ان لم يكونوا قائلين على الهدى

واما كونه أجبر أهلها يعني أهل الدرعية فن الكذب والبهتان بل دخلوا في دين الله أفواجا واستجابوا لمن دعاهم الى الله وأدخلوا سائر أهل نجد ممن لم يقبل دين الله ورسوله في دين الله قهراً وقسراً وجاهدوهم حتى تبين لهم صحة هذا الدين وذاقوا حلاوته واطمأنوا به وجاهدوا مع الأمير محمد بن سعود من لم يدخل فيه حتى استوثقت له جزيرة العرب ودانت ثم ان الذين انكروا هذه الدعوة

من الدول الكبار والشيخ وأتباعهم من أهل القرى والامصار أجلبوا على عداوة أهل الاسلام وهم إذ ذاك في عدد قليل وفي حال تخلف الاسباب عنهم وقهرهم فرمواهم عن قوس العداوة فمن أهل نجد دهام بن دواس وابن زامل وآل بجاد أهل الخرج ومحمد بن راشد راعي الحوطة وتركى الهزاني وزيد ومن والاهم من الاعراب والبوادي كذلك العنقري في الوشم ومن تبعه وشيوخ قرى سدير والقصيم وبوادي نجد وابن حميد ملك الأحسا ومن تبعه من حاضر وبادي وكلهم نجموا للحرب المسلمين مراراً عديدة مع عريعر وأولاده منها نزولهم على الدرعية وهي شعاب لا يمكن تحصنها بالابواب والبنا وقد أشار الى ذلك العلامة حسين بن غنام رحمه الله تعالى بقوله :

وجاؤا بأسباب من السكيد مزعج مدافعهم يزجي الوحوش رثيها
فزلوا البلاد واجتمع من اجتمع من أهل نجد حتى قال من يدعي انه من العلماء
وهو من أمثل علمائهم وعقلائهم لما سئل كيف أشكل عليكم أمر عريعر وفساده
وظلمه وانتم تعينونه وتقاتلون معه فقال لو أن الذي حاربكم ابليس كنا معه والمتصود
أن الله تعالى ردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً وحى الله تلك القرية فلم يشربوا من ابارها
وأما وزير العراق فشى مراراً عديدة بما يقدر عليه من الجنود والسكيد
الشديد وأجرى الله تعالى عليهم من الله ما لا يحيط به قلب أن يقع بهم ما وقع
من ذلك أن ثوبوا في مرة من المرات حتى يجنوا الى الأحسا بعد ما دخل أهلها
في الاسلام في حال حالهم بالشرك والفساد فطارب من تلك البلاد الله
رجل مسكين لا يعرف من غير عمالات أحد من المسلمين فتله فالت فصر الله
هذا الدين يرجل لا يعرف وذلك عما به يعتبر فتقلت تلك الجنود وتركوا
ملعهم من الواسي والاموال خروا من المسلمين ودعوا تحسباً بين من حضر وقد
قال الشيخ حسين بن غنام في ذلك

تأسم الأحسا قبل مطلقاً ظروم شعر والبوادي لم شعر

في أيات كثيرة

ثم جدوا أسبلاً الحرب المسلمين وساروا بدول عظيمة تبع بعضها بعضاً

وكيد عظيم فنزلوا الاحساء وقادهم علي كيخيا فتحصن من ثبت على دينه في الكوت وثغر صاهود فنزل بهم وصار يضربهم بالمدافع والقنابر وحفر اللغوب ، فاعجزه الله ومن معه ممن ارتد عن الاسلام فولى مديراً بجنوده ، فاجتمع بسعود ابن عبد العزيز في ثاج وغزوه الذين معه رحمه الله ، والذين معه من المسلمين اقل من المتفق أو آل ظفير الذين مع الكيخيا فالتقى الله الرعب في قلوبهم على كثرتهم وقوتهم فصارت عبرة عظيمة فطلبوا الصلح على أن يدعهم سعود يرجعون إلى بلادهم فاعطاهم أماناً على الرجوع فذهبوا في ذل عظيم ، فلما قدم كل منهم مكانه مات سليمان باشا وذلك من نصر الله لهذا الدين فاهلك الله من انشأ هذه الدول ثم قام علي كيخيا فصار هو الباشا فأخذ يحدد آلة الحرب ، فجمع من الكيد والاسباب أعظم مما كان معه في تلك السكرة ، فلما كملت أسبابه وجمع الجموع فلم يبق إلا خروجه لحرب المسلمين لينتقم من أهل هذا الدين سلط الله صبيين مملوكين عنده يبيتون معه فقتلوه آخر الليل ، فخمدت تلك النيران ، وتفرقت تلك الاعوان ، فما قام لهم قائمة فيالها عبرة ما أظهرها لمن له أدنى بصيرة فاعتبروا يا أولي الابصار ، أين ذهب عقل من أنكر هذا الدين ، وجادل وكابر في دفع الأدلة على التوحيد وما حل

وكذلك ماجرى في حرب أشراف مكة لهذه الدعوة الاسلامية والطريقة الحمديدية ، وذلك أنهم من أول من بدأ المسلمين باعداوة فحبسوا حاجهم فمات في الحبس منهم عدد كثير ومنعوا المسلمين من الحج أكثر من ستين سنة ، وفي أثناء هذه المدة سار اليهم الشريف غاب بعسكر كثيف وكيد عظيم ، وقدم أخاه عبد العزيز قبله في الخروج فنزل قصر بسام فأقام مدة يضرب بالمدافع والقنابر وجر عليه الزحافات فأبطل الله كيده على هذا القصر الضعيف بناؤه ، القليل رجاله ، فرحل منه وافي غالباً ومعه أكثر الجنود ، ومعه من الكيد مثل ما كان مع أخيه أو يزيد ، فنزلوا جميعاً الشعري فجذ في حربهم بكل كيد فاعجزه الله تعالى عن ذلك البناء الضعيف الذي لم يتأهب أهله لحرب بالبنا والسلاح ، فأبطل الله كيده وردة عنهم بعد الايام ، فسلط الله المسلمين على من كان معه من الاعراب

خصوصاً مطير فأوقع الله بهم في العدو ومعهم مطلق الجربا فهزمهم الله تعالى وغنم المسلمون جميع ما كان معهم من الابل والخيول وسائر المواشي فصار ما ذكرناه من نصر الله وتأييده لأهل هذا الدين عبرة عظيمة ، وفي جملة قتالهم حصان ابليس . وبعد ما ذكرناه جداً غالب في الحرب واجتهد ، لكن صار حربهم للأعراب ، ولم يتعد انير فيغزو على من استضعفه ويغير ، فأعطى الله اعراب المسلمين الظفر عليه في عدة وقعت من أعظمها وقعة الخزرة على يد ربيع وغزوه من أهل الوادي وبعض قحطان فهزمه الله تعالى واشتد القتل في عسكره فأخذوا جميع ما كان معه من المواشي وغيرها ، فصار بعد ذلك في ذل وهوان ففتح الله الطائف للمسلمين ، وصار أميره عثمان بن عبد الرحمن فاجتمع فيه دولة للمسلمين وساروا لحرب الشريف ومعهم عبد الوهاب أبو نقطة أمير عسير ، وسالم ابن شكيان أمير أهل بيشة فزولوا دون الحرم ، فخرج اليهم عسكر من مكة فقتلوه ، فطلب الشريف المذكور منهم الأمان فلم يقبلوا منه إلا الدخول في الاسلام والبيعة للأمام سعود فاعطاهم البيعة على يد رجال بعثوهم اليه ، هذا بعد وقعت تركنا ذكرها كراهة الاطالة لأن القصد بهذا الوضع الاعتبار بما جرى لأهل هذه الدعوة من النصر والتأييد ، والظهور على قلة أسبابهم ، وكثرة عدوهم وقوته . وذلك من آيات الله وبيناته على أن ما قام به هذا الشيخ في حال فساد الزمان الدين الذي بعث الله به المرسلين ، وتبين أن هذه الطائفة في هذه الازمنة هي الطائفة المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم « ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصور لا يضرم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » وقد كانت هذه الطائفة قبل ظهور الشيخ فيما تقدم موجودة في الشام ، والعراق ومصر وغيرها بوجود أهل السنة وأهل الحديث في القرون المفضلة وبعدها ، فلما اشتدت غربة الاسلام ، وقل أهل السنة ، واشتد النكير عليهم ، وسعى أهل البدع في ابصال المكر اليهم ، من الله بهذه الدعوة ، فقامت بها الحجة ، واستبان الحجة والمتصود أن كل من ذكرنا من عاداهم من أهل نجد والاحساء وغيرهم

من البوادي أهلهم الله ولحقهم العقوبة حتى في الزراري والأموال ، فصارت أموالهم فيئاً لأهل الاسلام ، وانتشر ملكهم ، وصار كل من بقي في أماكنهم ساءلاً مطيعاً لأمام المسلمين القائم بهذا الدين ، فانتشر ملك أهل الاسلام حتى وصل الى حدود الشام ، مع الحجاز ، وتهامة ، وعمان ، فصاروا بحمد الله في أمن وأمان ، يخافهم كل مبطل وشيطان ، ففي هذا معتبر لأهل الاعتبار ، مع ما وقع بمن حاربهم من الخراب والدمار ، واستيلاء المسلمين على ما كان لهم من العقار والديار ، فلا يرتاب في هذا الدين بعد هذا البيان إلا من عميت بصيرته ، وفست علانيته وسريته ، انتهى من المقامات التي ألفها الشيخ الامام عبدالرحمن ابن حسن مفتي الديار النجدية رحمه الله تعالى

وأما قوله : أما ولادته فقد كانت سنة ألف ومائة وأحدى عشرة سنة

فقد قدمنا أنه ولد رحمه الله سنة ١١١٥ خمس عشرة بعد المائة والالف من

الهجرة النبوية هذا هو الصحيح

وأما قوله وكان في ابتداء أمره من طلبه العلم يتردد إلى مكة والمدينة لأخذه عن علمائها ، ومن أخذ عنه في المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي والشيخ محمد حياة السندي فأقول :

قد تقدم بيان رحلته وطلبه للعلم ، وعن من أخذ عنه من العلماء في المدينة المنورة ، ومكة المشرفة ، والبصرة ، والأحساء ، وعن علماء نجد بما أغنى عن إعادته وأما قوله وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من المشايخ الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الغواية والاحقاد ، ويقولون سيضل الله تعالى هذا ، ويضل به من أشقاه إلى آخر ما اقترعه هذا العراقي الملحد واقترأه

فالجواب أن هذا النقل كذب واقترأ من غير شك ولا امتراء ، ثم لو فرضنا صحة هذا النقل لم يكن هذا القول عمن لا ينطق عن الهوى ، بل لا يعجز الخصم الذي لا يخاف الله ولا يتقيه عن أكثر من هذا القول وأوخم والفحش منه وأعظم ، وقد قدمنا من حال الشيخ ودعوته إلى الله وحسن سيرته ما يعتبر به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

فيا لك من آيات حق لو اقتدى بهنّ مرید الحق كن هواديا
ولكن على تلك القلوب غشاوة فليست وإن أصغت نجيب المناديا
وأما قوله : وكذلك كان أبوه عبد الوهاب وهو من العلماء الصالحين يتفرس
فيه الأحاد ، ويحذر الناس منه الخ
فالجواب أن نقول : وهذا أيضاً من الكذب والبهتان ، والزور والعدوان ،
بل كن والدك يعظمه ويعترف بالاستفادة منه ، ولم ينقل عن والدك هذا النقل
من يعتد بنقله ، وإنما يرميه بمثل هذا البهت ، وينسبه إليه من جعل زوره وقده
في أهل العلم والإيمان جسراً يتوصل منه ، ويعبر إلى ما انطوى عليه ، وزينه له
الشیطان من عبادة الصالحين والتوصل بهم ، وعدم الدخول تحت أمر أولي العلم
وترك القبول منهم ، والاستغناء بما نشأ عليه أهل الضلال واعتادوه من العقائد
الضالة ، والمذاهب الجائرة

وأما نسبة ذلك إلى أخيه سليمان فلا مانع من ذلك لولا وجوب رد خبر هذا
الفاسق وعدم قبوله إلا بعد التبين ، ثم لو فرضت صحته فمن سليمان وما سليمان ،
وهذه دلائل السنة والقرآن تدفع في صدره ، وتدرأ في نحره ، وقد اشتهر ضلاله
ومخالفته لأخيه مع جهله وعدم ادراكه لشيء من فنون العلم . قل شيخنا الشيخ
عبد اللطيف رحمه الله وقد رأيت له رسالة يعترض على الشيخ ، وتأملتها فاذا هي
رسالة جاهل بالعلم والصناعة ، مزجى التحصيل والبضاعة ، لا يدري ما طحاها ،
ولا يحسن الاستدلال بذلك على من فطرها وسواها ، هذا وقد منّ الله وقت
تسويد هذا بالوقوف على رسالة لسليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه
الأول ، وأنه قد استبان له التوحيد والإيمان ، وندم على ما فرط من الضلال
والظغيان ، وهذا نصها .

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن عبد الوهاب الى الاخوان احمد بن محمد التويجري ، واحمد
ومحمد ابنا عثمان بن شبانه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فأحمد اليكم الله

الذي لا إله إلا هو ، وأذكركم مامن الله به علينا وعليكم من معرفة دينه ، ومعرفة
ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده ، وبصرنا به من العمى ، وانقذنا
به من الضلالة ، وأذكركم بعد أن جئتنا في الدرعية من معرفتكم الحق على وجهه
وابتهاجكم به ، وثنائكم على الله الذي انقذكم ، وهذا دأبكم في سائر مجالسكم
عندنا ، وكل من جاءنا من حمد الله يشني عليكم والحمد لله على ذلك ، وكتب لكم
بعد ذلك كتابين غير هذا أذكركم وأعظمكم ، ولكن يا أخواني معلومكم ما جرى
منا من مخالفة الحق واتباعنا سبيل الشيطان ، ومجاهدتنا في الصّد عن اتباع سبل
الهدى . والآن معلومكم لم يبق من أعمارنا إلا اليسير ، والأيام معدودة ،
والأنفاس محسوبة ، والمأمول بنا أن تقوم لله ونفعل مع الهدى أكثر مما فعلنا
مع الضلال ، وأن يكون ذلك لله وحده لا شريك له لا لما سواه ، لعل الله يمجو
عنا سيئات ماضى ، وسيئات مابقي ، ومعلومكم عظم الجهاد في سبيل الله ، وما
يكفر من الذنوب ، وأن الجهاد باليد ، واللسان ، والقلب ، والمال ، وتفهمون
أجر من هدى الله به رجلا واحداً ، والمطلوب منكم أكثر مما تفعلون الآن :
وأن تقوموا لله قيام صدق ، وأن تبينوا للناس الحق على وجهه ، وأن تصرحوا
لهم تصريحاً بيناً بما أنتم عليه أولاً من الغي والضلal ، فيا أخواني الله فلا أمر
أعظم من ذلك ، فلو خرجنا نجار إلى الله في الغلوات ، وعدنا الناس من السفهاء
والمجانين في ذلك ، لما كان ذلك بكثير منا وأنتم رؤساء الدين والدنيا في مكانكم
أعز من الشيوخ والعوام كلهم تبع لكم فاحمدوا الله على ذلك ، ولا تعثوا بشيء
من المنافع ، وتفهمون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يرى ما يكره
ولكن أرشدكم في ذلك إلى الصبر كما حكي عن العبد الصالح في وصيته لابنه فلا
أحق من أن تحبوا الله ، وتبغضوا الله ، وتوالوا الله ، وتعادوا الله ، وترى يعرض
في هذا أمور شيطانية ، وهي أن من الناس من ينتسب لهذا الدين ، وربما يلقي
الشيطان لكم أن هذا ما هو بصادق وأن له ملحظ دنيوي ، وهذا أمر ما يطلع
عليه إلا الله ، فإذا أظهر أحد الخير فاقبلوا منه ووالوه ، فإذا ظهر من أحد شر وادبار
عن الدين فعادوه وأكرهوه ونواحب حبيب ، وجامع الأمر في هذا أن الله خلقنا

لعبادته وحده لا شريك له ، ومن رحمته بعث لنا رسولا يأمرنا بما خلقنا له ،
ويبين لنا طريقه ، وأعظم ما نهانا عنه الشرك بالله وعداوة أهله وبغضهم ، وتبيين
الحق ، وتبيين الباطل ، فمن التزم ما جاء به الرسول فهو أخوك ولو ابغض بغض
ومن نكب عن الصراط المستقيم فهو عدوك ولو هو ولدك أو أخوك ، وهذا
شيء أذكركموه مع اني بحمد الله تعلمون ما ذكرت لكم ، ومع هذا فلا عذر لكم
عن التبيين الكامل الذي لم يبق معه لبس ، وأن تذاكروا دائماً في مجالسكم ما جرى
منا ومنكم أولاً ، وان تقوموا مع الحق أكثر من قيامكم مع الباطل فلا احق من
ذلك ولا لكم عذر لأن اليوم الدين والدنيا والله الحمد مجتمعة في ذلك فتذاكروا
ما أنتم فيه أولاً من أمور الدنيا من الخوف والاذى ، واعتلاء الظلمة والفسقة
عليكم ، ثم رفع الله ذلك كله بالدين وجعلكم السادة والقادة ، ثم أيضاً ما من الله
به عليكم من الدين . انظروا مسألة واحدة فما نحن فيه من الجهالة كون البدوي
تجري عليه أحكام الاسلام مع معرفتنا أن الصحابة قاتلوا أهل الردة وأكثرهم
متكلمين بالاسلام ، ومنهم من أتى بأركانهم ، ومع معرفتنا انه من كذب بحرف
من القرآن كفر ولو كان عابداً ، وأن من استهزأ بالدين أو بشيء منه فهو كفر ،
وأن من جحد حكماً مجمعاً عليه فهو كافر الى غير ذلك من الأحكام المكفرات ،
وهذا كله مجتمع في البدوي وازيد ، ونجري عليه أحكام الاسلام اتباعاً لتقليد
من قبلنا بلا برهان . فياخواني تأملوا وتذكروا في هذا الأصل يدلكم على ما هو
أكبر من ذلك ، وانا اكثرت عليكم الكلام لو ثوقي بكم انكم ما تشكون في شيء
فيما تحاذرون ، ونصيحتي لكم ولنفسي والعمدة في هذا أن يصير دأبكم في الليل
والنهار أن تجأروا إلى الله تعالى أن يعيدكم من شرور أنفسكم وسيئات أعمالكم
وأن يهديكم إلى الصراط المستقيم الذي عليه رسله وأنبياءؤه ، وعباده الصالحون
وأن يعيدكم من مضلات الفتن ، والحق واضح وابلوج ، وماذا بعد الحق إلا
الضلال ، فالله الله ترى الناس إلي في جهانكم تبع لكم في الخير والشر ، فان
فعلتوا ما ذكرت لكم ما قدر أحد من الناس يرميكم بشر ، وصرتو كلاً علام هداية
للحيران ، فان الله سبحانه وتعالى هو المسؤول أن يهدينا وإياكم سبيل السلام ،

والشيخ وعياله وعيالنا طيبين والله اخذ ويسلمون عليكم ، وسلموا لنا على من يعز عليكم والسلام . صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، اللهم اغفر لكتابها ولوالديه ، ولذريته ، ولمن نظر فيه ، ودعاه بالمغفرة والمسلمين والمسلمات اجمعين اه وأما تأليفه الرد على أخيه فنعم وذلك في حال ضلاله ونفوره عن دين الاسلام ، فلما هداه الله وتبين له صحة مادعا اليه الشيخ من توحيد الله وافراده بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه تبين له سوء عمله وزيفه وضلاله ، فرجع عما كان يعتقد من الضلال والعمى إلى طريقة أهل الحق والهدى كما صرح به في رسالته المتقدم ذكرها والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فصل

وأما قوله وكان محمد هذا بادي بدأته كما ذكره بعض المؤلفين مولعاً بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذباً كمسيلة الكذاب وسجاح والاسود العنسي وظليحة الأسدي وأضرابهم ، فكان يضر في نفسه دعوى النبوة إلا انه لم يتمكن من اظهارها

(فالجواب) أن تقول (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذباً) فان هذا معلوم كذبه بالاضطرار لا يمتري فيه من له أدنى معرفة بمقادير الاثمة الأخيار ومن طالع كتب الشيخ ومصنفاته ورسائله وتأمل حال نشأته ودعوته الى الله تبين له أن هذا من الكذب والافتراء وأنه من وضع أعداء الله ورسوله الذين يصدون عن سبيل الله ويغفونها عوجا ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب الفساد (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون) وهذا العراقى للملحد لما لم يكن له حيلة في دفع ما من الله به من ظهور الاسلام أخذ في رد ما جاء به من البينات والهدى بالكذب والافتراء وقبله اناس أنوا بأعظم الاسباب ، وزجوا الخلعة في جة الضلال والارتياب ، وضجوا على دعوة الحق بالتكذيب والكذاب ، وعجوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر أو مفتر أو كذاب .

وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله وجميع من له من الاصحاب وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وصنفوا في رد هذا الدين مصنفات وافتموا من الأكاذيب على الشيخ واكثروا من الترهات ولم يكن لهم قصد ولا مرام إلا تنفير الخواص والعوام فأنوا بهذه المجونات والخرافات التي لا تروج إلا على من أعمى الله بصيرة قلبه من أهل تلك القلوب المقفلات (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عابهم حسرات) وسيقف هو وإياهم بين يدي عدل لا يظلم ولا يجوز فيجازي كلا بعمله يوم النشور وحسبنا الله ونعم الوكيل

قال العراقي الملحد: وكان يسمى جماعته من أهل بلده الانصار ويسمى متابعيه من الخارج المهاجرين وكان يأمر من حج حجة الاسلام قيل اتباعه أن يحج ثانية قائلا أن حجتك الاولى غير مقبولة لأنك حججتها وانت مشرك ويقول لمن أراد أن يدخل في دينه يشهد على نفسك أنك كنت كافرا واشهد على والديك انهما ماتا كافرين واشهد على فلان وفلان وبسمى له جماعة من أكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفارا فان شهد بذلك قبله وإلا أمر بقتله وكان يصرح بتكفير الامه منذ ستمائة سنة ويكفر كل من لا يتبعه وان كان من اتقى المسلمين ويسميهن مشركين ويستحل دماءهم واموالهم ويثبت الايمان لمن اتبعه وان كان من افسق الناس وكان عليه ما يستحقه من الله يتنقص النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا بعبارات مختلفة منها قوله انه طارش وهو في لغة العامة بمعنى الشخص الذي يرسله أحد الى غيره والعوام لا يستعملون هذه السكامة فيمن له حرمة عندهم ومنها قوله إني نظرت في قصة الحديبية فوجدت فيهم كذا وكذا من الكذب الى غير ذلك من الانماط الاستخفافية حتى إن بعض اتباعه يقول بحضرته إن عصاي هذه خير من محمد لأنني انفع بهاء ومحمد قد مات فلم يبق فيه نفع وهو يرضى بكلامه وهذا كما تعلم كفر في المذاهب الاربعة

فالجواب عن هذه المطاعن كلها أن تقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) بل هذا من افك الوضاعين الذين شرقوا بهذا الدين وانكرته قلوبهم فهووا بهذه

الأوضاع على الجهال والطفام وصادفت قلوباً قد ملئت بالشرك وعداوة أهل الإسلام فكانوا لما يديه هؤلاء يصدقون (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتربوا ما هم مقتربون)

(وأما قوله) ومنها أنه كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وينهى عن ذكرها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر ويعاقب من يفعل ذلك عقاباً شديداً حتى إنه قتل رجلاً عيسى مؤذناً لم ينته عما أمره بتركه من ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان ويلبس على اتباعه قائلين إن ذلك محافظة على التوحيد (فالجواب أن نقول) أما النهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي

لفظ كان فلم ينع عنه بل هو من الكذب والبهتان
وأما الجهر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان وعلى المنابر يوم الجمعة غير الإمام الذي يخطب فهو بدعة محدثة وإزالة المنكر والبدعة وتغييرها واجب بدلائل الأحاديث الصحيحة فان ذلك لم يكن على عهد الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعين وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وفي لفظ « من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد »

(وأما قوله) وكان قد أحرق كثيراً من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كدلائل الخيرات وغيرها

(فالجواب أن نقول) أما مسألة منع الناس من قراءة دلائل الخيرات فقد أجاب عنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته التي كتبها إلى عبد الرحمن ابن عبد الله حيث قال: وأما دلائل الخيرات فله سبب وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من اخواني أن لا يصير في قلبه أجل من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي لفظ كان فهذا من البهتان اهـ

(وأما قوله) وكذلك أحرق كثيراً من كتب الفقه والتفسير والحديث مما هو مخالف لاباطيله وكان يأذن لكل من اتبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه

فأقول وهذا كله من الكذب والبهتان والزور والعدوان وقد قال الشيخ ملا عمران نزيل لنجسه في رد مفتريات بعض هؤلاء الوضاعين فيما اقترود على الشيخ من الاكاذيب فأحببت أن اذكرها لاشتمالها على بعض ما ذكره هذا العراقي قال رحمه الله تعالى

جاءت قصيدتهم تروح وتغتدي	في سب دين الهاشمي محمد
قد زخرفوها للعوام بقولهم	إن الكتاب هو الهدى فيه اقتد
لو أن ناظمها تمسك بالذي	قد قال فيها أولا اذ يبتدي
بهدي ووفق ثم حاز سعادة	لا شك فيها عند كل موحد
لكنه قد زاغ عما قاله	مناولا فيه بتأويل رد
فانت كشهد فيه سم نافع	من ذاق منه ففي الهلاك المبعد
اذ شبه الشيخ الامام المهدي	بأخي مسيلة الكفور المعتدي
فهو الذي ان مات معتقداً بذات	ياويله . ماذا يلاقي في غد
ماذا يجيب وما يقول ومن له	يوم القيامة وهو خصم محمد
قد شبه التوحيد بالكفر الذي	شهد الكتاب وسنة احمد
الشيخ شاهد بعض أهل جهالة	يدعون أصحاب القبور الحمد
تاجاً وشمسان ومن ضاهاهما	من قبة أو تربة أو مشهد
برجون منهم قربة وشفاعة	ويؤمنون كذاك أخذاً باليد
ورأوا لعباد القبور تقرباً	بالنذر والذبح الشنيع المفسد
ما أنكر القراء والأشياخ ما	شهدوا من الفعل الذي لم يحمد
بل جوزوه وشاركوا في أكله	من كن يذبح للقبور ويفتدي
فأتاهم الشيخ المشار اليه بالنذر	صح المبين وبالكلام الجيد
يدعوهمو لله أن لا تعبدوا	إلا المهيمن ذا الجلال السرمد
لا تشرکوا ملكا ولا من مرسل	كلا ولا من صالح أو سيد
فتنافروا عنه وقالوا : ليس ذا	إلا عجيب عندنا لم يعبد
ماقاله آباؤنا ايضا ولا	أجدادنا أهل الحجى والسؤدد

أنا وجدنا جملة الآبا على
 فالشيخ لما ان رأى ذا الشأن من
 ناداهم يا قوم كيف جعلتموا
 قالوا له : بل ان قلبك مظلم
 قد عبروه بأنه قد كلف في
 قلنا لهم ماضر مصر بأنها
 ان النماردة الفراعنة الأولى
 ذا قل أنا رب وذا متنبىء
 بينا وشاما والعراق ومصرها
 فبعوتهم طابت وطار غبارها
 ان المواطن لم تشرف سائنا
 من كان الله الكريم موحدآ
 وبعبكسه من كان يشرك فهو لم
 خرج النبي المصطفى من مكة
 ان الاماكن لا تقدرس أهلها
 لو أنصفوا لرأوا له فضلا على
 ودعوا له بالخير بعد مماته
 لكنهم قد عاندوا وتكبروا
 ورموه بالبهتان والافك الذي
 كمالهم هو للمتابع قاطع
 حاشا وكلا ليس هذا شأنه
 قالوا له : أشقى الورى مع كونه
 قالوا له : يا سالك طرق الردى
 وهو يرون الشمس ظاهرة لهم
 قالوا له : يا كافرا يا فاجرا

هذا فنحن بما وجدنا نقتدي
 أهل الزمان اشتد غير مقاد
 لله أنداداً بغير تعدد
 لم تعتقد في صالح متعبد
 وادي حنيفة دار من لم يسعد
 كانت افرعون الشقي الأتورد
 كانوا بأرض الله أهل تورد
 هم في بلاد الله أهل تردد
 من كل طامع في البرية مفسد
 وزهت بتوحيد الاله المفرد
 فيها ولا تهديه ان لم يهتد
 لومات في جوف الكنيف المطرد
 يفلح ولو قدمات وسط المسجد
 وبقي أبو جهل الذي لم يهتد
 ان لم يكونوا قاعين على الهد
 اظهار ما قد ضيقوه من اليد
 ليكافئوه على وفاق المرشد
 ومشوا على منهاج قوم حسد
 هم يعملون به ومنهم يبتد
 بدخول جنات وحوار خرد
 بل انه يرجو بها لموحد
 ينهى عن الأنداد للمتفرد
 لم لا تسير على الطريق الأرشد
 لكن أعى القلب ليس بمهتد
 ماضره قول العداة الحسد

قالت قریش قبلہم لامصطفیٰ
 قد اٰثمہوہ بآنہ یغتال فی
 فاذا اتوا قتلوا بغير جناية
 قالوا یعم المسلمین جمیعہم
 بل کل من جعل العدیل لربہ
 قالوا لہ : غشاش أمة أحمد
 هل قال الا وحدوا رب السما
 وتمسکوا بالسنة البیضا ولا
 هذا الذي جعلوه غشا وهو قد
 من عهد آدم ثم نوح هكذا
 وكذلك الخلفاء بعد نبیہم
 منهاجہم هذا علیہ تمسکوا
 عجبا لمن يتلو الكتاب ويدّعي
 ويقول للتوحيد غشا ان ذا
 ويجدد الاسلام والایمان مع
 ما ذنبہ فی الناس إلا أنه
 ماصح عهد ثقیف لما عاهدوا
 ما اللات إلا کان عبدا صالحا
 لما توفي عظموا لضربہ
 اذ کان حیا قادرا قاموا باطعام له وبكسوة وتفقد
 وإذا توارى عنهموا فی قبرہ
 ولقد رأى الفاروق يوما قبة
 فأشار نحوها دعوه یظله
 وحديث أبي الهیاج فیہ كفاية
 فی طمس تمثال وقبر مشرف
 ذا ساحر ذا كاهن ذا معتد
 تأذینہ لیجیء أهل المسجد
 تالله هذا إفك أفاك رد
 بالكفر . قلنا : لیس ذا بمؤكد
 ونهی فصد فذاك كالمتهود
 وهو النصیح بكل وجه یبتدی
 وذروا عبادة ما سوى المتفرد
 تنتطعوا بزيادة وتردد
 نطقت به الرسل الكرام لمن هدی
 تری إلى عهد النبی محمد
 والتابعون وكل حبر مهتد
 من كان مستنایا بهم فلیقتد
 علم الحديث مسلسلا فی المسند
 خطر علی من قال فلتشهد
 وتقدا بأن الشيخ خیر مجدد
 هد القباب وتلك سيرة أحمد
 إلا بهدم اللات لو لم یعبد
 لت السوق لطائف متعبد
 كصنیم عباد القبور النكد
 عام له وبكسوة وتفقد
 جعلوه ندا للاله السيد
 نصبت علی قبر تشد بأحمد
 عمل له ان لم یكن عمل ردي
 لذوي البصائر والعقول النقد
 جاء الحديث به الصحیح لمسند

لما نفى الاطراء منهم والغلو
لو كان حبك للنبي محققا
أما الدلائل فهو لم ينكر بها
إلا التظاهر بالغلو وجعلها
قترى لهم حرصاً على تجويدها
لا يعتنون بمصحف لهمو كما
فلو اعتنى رب الدلائل بالذي
الكفاه كل مؤنة وتكلف
سأل النبي من الصحابة سائل
فأجاب يرشده بما قد جاء في
لوحت فيه ولم أصرح حيث لم
هذا الكلام على الدلائل ليس ما
وكذاك في روض الرياحين الذي
والله قد ذم الغلو فقال يا
اذ قال لا تغلو بنهي لازم
وكذا الرسول نهى وأخبر انه
عجياً لهم لو كان فيهم منصف
من حيث ان الاتباع مقارن
قالوا : صبا تم نحوه ، قلنا لم :
ما بيننا نسب نميل به ولا
أيضاً ولا هو جارنا الأدنى الذي
لكنها شمس الظهيرة قد بدت
فالعلمون العالمون المنصفون
لكن قليل منهموا في عضرنا
والله قد ذم الكثير وقال في

قلوا أتيت بهذا الجفاء البعد
لفعلت فعلتنا نعلك تهتدي
صلوات أذكرى العالمين الأجد
درسا يكرر في كتاب مفرد
خطأ وتزويقا وحسن مجلد
هم يعتنون براتب وبمولد
يأتي عقيب تشهد المشهد
ومشى على النهج القويم الأرشد
كيف الصلاة عليك كالمسترشد
قول المصلي دبر كل تشهد
يدخل على وزن القريض المنشد
قد قاله من شذ عن ذا المقصد
فيها الغلو بصالح وبسيد
أهل الكتاب بغاظة وتهدد
في دينكم فالحكم لم يتردد
فيه الملاك لراهب متعبد
لرأى المحب محمداً لمحمد
لالحب في نص الكتاب الأجد
الحق شمس للبصير المهتدي
حسب يقربنا له بتودد
نمتار نعمته ولم نسترفد
لذوي البصائر فاهتدى من يهتدى
ن له أقروا بالفضائل والبد
كالشعرة البيضاء بمجلد اسود
حق القليل مثاله لم تجحد

بسبب اوص فتلقا متدبرا
 فان اعتراكم في الذي قد قاله
 فزنوا بميزان الشريعة قوله
 ولئن وجدتم فاسقا أو جافيا
 قد ذل يوماً أو هفوا لا تنسبوا
 قال آل والأصحاب ماذا ضرهم
 من بعد ذلك الاجتماع على الهدى
 ماذا يضر السحب نبح الكلب أم
 ثم الصلاة على النبي محمد
 والآل والأصحاب جمعاً كلاً
 تلقى الصحيح بها فخذنه نهتد
 شك وريب واختلاف يبتدى
 تجدوه حقاً ظاهراً للمقتدى
 أوجاهلاً في العلم كالتردد
 هفواته لجنب ذلك المرشد
 من بعدهم تكدير صافي المورد
 ظهوراً ذوي فرق وأهل تبدد
 ماذا يضر الصحب سب الملحد
 أزكى الورى أصلاً وأطيب محدد
 قد ذب عن ذا الدين كل موحد

فصل

قال العراقي :

تمسك ابن عبد الوهاب في تكفير الناس بآيات نزلت في المشركين
 فحملها على الموحدين

(الجواب أن يقال) هذا كذب بحت فإنه لا يكفر رحمه الله أهل التوحيد
 ولا يحمل الآيات النازلة في المشركين على الموحدين ، وإنما يكفر من أشرك
 بالله في عبادته واتخذ معبوداً سواه ، مع أن هذا المعترض لم يذكر الآيات التي زعم
 أن الشيخ رحمه الله تمسك بها في تكفير الناس حتى ننظر هل كان محققاً في ذلك
 القول أو مبطلاً ضالاً ؟ ويقال أيضاً : أن من منع تنزيل القرآن وما دل عليه من
 الأحكام على الأشخاص والحوادث التي تدخل تحت العموم اللفظي فهو من
 أضل الخلق وأجهلهم بما عليه أهل الإسلام وعلمائهم قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد
 جيل ، ومن أعظم الناس تعطيلاً للقرآن وهجرته له وعزلاً له عن الاستدلال به في
 موارد النزاع ، وقد قال تعالى (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)
 الآية . والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول رد إلى سنته ، وقد

قال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) وقد قال تعالى (لا نذكركم به ومن بلغ) فخصومه وأحكامه عامة لا خاصة بخصوص السبب ، وما المانع من تكفير من فعل كما فعلت اليهود من الصدع عن سبيل الله والكفر به مع معرفته وهذا العراقي لا يدي قولة في اعتراضه وتليسه الا هي أكبر من أختها في الجبال والضلالة ولو كان يعرف الكتاب العزيز وما دل عليه من الاحكام والاعتبار لأحجم عن هذه العبارات التي لا يقولها الا أفلس الخلق من العلم والايمان

(وأما قوله) وروى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين وفي رواية أخرى عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال « أخوف ما أخاف على أمتي رجل يتأول للقرآن يضعه في غير موضعه » فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب وأتباعه

(فالجواب أن يقال) هذا الوصف هو المنطبق عليك وعلى من نحانحوك من أهل الضلال حيث زعمت ان كتاب الله وسنة رسوله ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات فتؤول إما إجمالاً ويفوض أمرها إلى الله وإما تفصيلاً كما هو رأي الكثيرين فالذي يتأول القرآن ويضعه في غير موضعه ويصرفه عن القول الراجح إلى القول المرجوح بالتحكيم والهوى — لان كتاب الله وسنة رسوله عندكم أدلتهم ظنية لا تعارض نتائج عقول الفلاسفة وورثة المجوس والصائبة وطواغيت اليونان ومن أخذ بأقوالهم من المتكلمين بل قد صرحت أن العقل يقدم على النقل — فمن قدم معقول هؤلاء على كتاب الله وسنة رسوله فقد خرج من الدين وفارق جماعة المسلمين وأما ابن عبد الوهاب فهو وأتباعه لا يتأولون القرآن ولا يضعونه في غير موضعه بل يعملون بحكمه ويؤمنون بمتشابهه ولا يتأولون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما تفعلون أنتم في تأويل آيات الصفات وأحاديثها وحاصل مقصود هذا العراقي ونقله تشبيه أهل الاسلام والتوحيد بالخوارج في تكفيرهم من عبد الانبياء والأولياء والصالحين ودعاهم مع الله — لان عباد القبور عنده هم أهل التوحيد وأهل الاسلام — من جنس الخوارج الذين يكفرون أهل القبلة ، هذا

حاصل كلامه ومضمون خطابه وهذا داء قديم في أهل الشرك والتعطيل ، من كفرهم بعبادة غير الله وتعطيل أوصافه وحقائق أسمائه قلوا له أنت مثل الخوارج يكفرون بالذنوب ويأخذون بظواهر الآيات ومعلوم أن الذنوب تتفاوت وتختلف بحسب منافاتها لأصل الحكمة المقصودة بإيجاده العلة وخلق الجن والانس وبحسب ما يترتب عليها من هضم حقوق الربوبية وتنقص رتبة الألوية وقد كفر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بكثير من جنس الذنوب كالشرك وعبادة الصالحين وأخبر انه أكبر الكبائر كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي الذنوب أعظم؟ قال «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قال قلت ثم أي؟ قال «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قال قلت ثم أي؟ قال «أن تزاني حليلة جارك» فانزل الله تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الآية فمن أنكر التكفير جملة فهو محجوج بالكتاب والسنة ومن فرق بين ما فرق الله ورسوله من الذنوب ودان بحكم الكتاب والسنة وإجماع الأمة في الفرق بين الذنوب والكفر فقد أنصف ووافق أهل السنة والجماعة ونحن لم نكفر أحداً بذنب دون الشرك الأكبر الذي اجتمعت الأمة على كفر فاعله إذا قامت عليه الحجة وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد كما حكاه في الاعلام لابن حجر الشافعي

وأما قوله ويظهر من أقواله وأفعاله أنه كان يدعي أن ما أتى به دين جديد فالجواب أن نقول بل الذي يظهر من أفعاله وأقواله خلاف ما يزعمه هؤلاء الضلال فانه كان رحمه الله على الدين العتيق الذي كان عليه سلف الصالح والنصدر الأول من الدعوة الى دين الله كما قال رحمه الله في رسالته الى عبد الله بن محمد ابن عبد اللطيف الاحسائي قال : واما ما ذكرتم عني فاني لم آت به بجهالة بل أقول والله الحمد والمنة وبه القوة انني هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ولست والله الحمد ادعو الى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو امام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي أو ابن كثير أو غيرهم بل ادعو الى الله وحده لا شريك له وادعو الى سنة رسول الله صلى الله عليه

وسلمتني وصي بها أول أمته وآخرهم وأرجو اني لأرد الحق اذا أتاني بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتاني منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أمتي حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقول الا الحق اه فهذا نص كلامه رحمه الله كما ترى لم يقل فيه ولا في غيره من كلامه ان ما أدعوكم اليه دين جديد بل كان رحمه الله يجدد ما اندرس من معالم الدين العتيق ويوطد اساس الملة المحمدية التي انطمست أعلامها وأقوت رسومها كما قال الامير محمد بن اسمعيل الصنعاني رحمه الله في أبيات له قال فيها

قفي واسألني عن عالم حل سوحها	به يهتدى من ضل عن منهج الرشدا
محمد الهادي لسنة أحمد	فياحبذا الهادي وياحبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله	بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل	ولا كل قول واجب الرد والطرده
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله	فذلك قول جل يا ذاعن ازرده
وأما أقاويل الرجال فانها	تدور على قدر الأدلة في النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بانه	يعيد لنا الشرع الشريف بما يهدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل	ومبتدع منه فوافق ما عندي
وبعمر أركان الشريعة هادما	مشاهد ضل الناس فيها عن الرشدا
اعادوا بها معنى سواع ومثله	يغوث وود بنس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها	كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة	أهلت لغير الله جيراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل	ومستلم الأركان منهم باليد
وقال الشيخ الامام عالم الأحساء	أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى

في أبيات له

لقد رفع المولى به رتبة الهدى	بوقت به يعلى الضلال ويرفع
سقاء عمير الفهم مولاه فارتوى	وعاد بتيار المعارف يقطع
فأحياه التوحيد بعد اندراسه	وأوهي به من مطلع الشرك مبيع

سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها سواء ولا حاذى فناها سميدع
 وشمر في منهاج سنة أحمد يشيد ويحيي ما تعفى ويرقع
 يناظر بالآيات والسنة التي أمرنا إليها في التنازع نرجع
 فأضحت به السمحاء يبدسم نغرها وأمسى محباها بضىء ويلمع
 وعاد به نهج الغواية ظامسا وقد كان مسلوكا به الناس تربع
 وجرت به نجد ذبول افتخارها وحق لها بالالمعي ترفع
 فأثارة فيها سوام سوافر وأنواره فيها تضيء وتستطمع
 وبهذا يظهر لكل ذي عقل سليم ، ودين مستقيم ، أنه لم يكن يدعو إلى دين جديد
 كما يزعمه هؤلاء المارقون عن دين الاسلام
 وأما قوله ولذلك لم يقبل من دين النبي صلى الله عليه وسلم إلا القرآن وقبوله
 إياه إنما كان ظاهراً

فالجواب أن نقول وهذا أيضاً من نمط ما قبله من المفتريات ، ورعونات
 الخزعبلات والخرافات

وأما قوله : والدليل على ذلك أنه هو واتباعه كانوا يؤلون القرآن بحسب
 أهوائهم لا بحسب ما فسرته النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، والسلف الصالح ،
 وأئمة التفسير ، وما كان يقول بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقوال
 الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ، ولا بما استنبطه الأئمة من الكتاب والسنة
 ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس الصحيح . وكان يدعي الانتساب إلى مذهب
 الامام احمد كذبا وتسترأ ، وقد رد عليه أضاليله كثير من علماء الحنابلة وألفوا
 في ذلك رسائل عديدة حتى أخوه سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد
 عليه كما ذكرناه . وكان يقول لعماله اجتهدوا بحسب نظركم واحكموا بما ترونه
 مناسبا للدين ، ولا تلتفتوا لهذه الكتب المتداولة ، فإن فيها الحق والباطل وقتل
 كثيراً من العلماء والصالحين لأنهم لم يوافقوه على ما ابتدعه

فالجواب أن نقول : قد اجاب عن هذه الاكاذيب والمفتريات الشيخ عبد الله
 ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقال رحمه الله : وأما ما يكذب علينا سترأ للحق ،

وتليساً على الخلق بآنا نفسر القرآن برأينا ، وتأخذ من الحديث ماوافق فهمنا من دون مراجعة شرح ، ولا نقول على شيخ ، وانا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا انقع منه ، وليس له شفاعة ، وان زيارته غير مندوبة ، وانه كان لايعرف معنى لاإله الا الله حتى انزل عليه ، (فاعلم انه لاإله الا الله) مع كون الآية مدنية ، وانا لانعتمد أقواله ، ونتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ، وانا مجسمة ، وانا نكفر الناس على الاطلاق من بعد الستمائة الا من هو على مانحن عليه . ومن فروع ذلك انا لا تقبل بيعة احد حتى تقرر عليه بأنه كان مشركا ، وان ابويه ماتا على الاشراك بالله ، وانا ننهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقاً ، وانا لانرى حقاً لأهل البيت ، وانا نجبرهم على تزويج غير الكف . لهم ، وانا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتكح شابا اذا ترافعوا اليها ولا وجه لذلك ، فجميع هذه الخرافات واشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر جوابنا عليه في كل مسألة سبحانهك هذا بهتان عظيم . فمن روى عنا شيئاً من ذلك ونسبه الينا فقد كذب علينا واقترى ، ومن شاهد حالنا وحضر مجلسنا وتحقق ما عندنا علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه علينا ، واقتراه أعداء الدين واخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله على انه لا يغفره ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . فهذا واشباهه مما تقدم ذكره عن هذا العراقي وأمثاله من الكذب على شيخ الاسلام وعلم الهداة الاعلام لايتمد عليه ويصدق في ذلك إلا ضال مضل

فصل

قال العراقي : قال العلامة السيد العلوي الحداد إن المحقق عندنا من اقواله وأفعاله ما يوجب خروجه من القواعد الاسلامية لما انه استحل أموراً مجعاً على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائق ، وهو مع ذلك ينتقص

الأنبياء والمرسلين ، والأولياء ، والصالحين ، وانتقادهم عمداً كفر بالاجماع عند الأئمة الأربعة .

والجواب أن يقال هذا كله كذب واقتراء . وهذا الرجل المسمى بالخداد ليس هو من العلماء المشهورين بالعلم والدين والصلاح ، بل كان من الغالين في الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، لأنه زعم أن من أمر بتوحيد الله بالعبادة وإخلاصها لله وحده دون من سواه ، فقد تنقص الأنبياء والأولياء والصالحين ، وقد كان من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام أن من صرف لغير الله شيئاً منها كان مشركاً سواء كان ذلك الغير من الأنبياء والصالحين ، فلو كان هذا عائداً ، أو كان يعرف قواعد الاسلام ومبانيه العظام ما فاء بمثل هذه الورطات وبهرج بهذه الخرافات ، بل هذا يدل على جهله وعدم معرفته وعلمه . ومن كان هذا حاله وهذه أقواله فلا يعول عليه ، ولا يلتفت اليه ، ولا يعتمد على قوله ونقله إلا اشباه الانعام السائمة ، فلو ذكر عدو الله شيئاً مما نسبته الى الشيخ مما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية ليناب بطلان قوله ولكنه عدل الى هذه الخروقة السامجة ؟

فصل

قل العراقي : ثم انه صنف لابن سعود رسالة سماها كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات كفر فيها جميع المسلمين وزعم أن الناس كفار منذ ستمائة سنة ، وحمل الآيات التي نزلت في الكفار من قریش على أتقياء الأمة ، واتخذ ابن سعود ما يقوله وسيلة لتساع الملك وانقياد الاعراب له ، فصار ابن عبد الوهاب يدعو الناس الى الدين ، ويثبت في قلوبهم أن جميع من هو تحت السماء مشرك بلا مرأ ، ومن قتل مشركاً فقد وجبت له الجنة ، وكان ابن سعود يمثل كل ما يأمربه ! فاذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك وكان ابن عبد الوهاب في قومه كالكوفي في أمته لا يتركون شيئاً مما يقوله ، ولا يفعلون شيئاً الا بأمره ، ويعظمونه غاية التعظيم ، وييجلون غاية التبجيل ، وما زالت أحياء العرب

وقبائيل تضعه حتى اتسع بذلك ملك ابن سعود وملك أولاده بعده ، وحارب الشريف علياً رحمه الله خمس عشرة سنة حتى عجز عن حربه ، ولم يبق أحد إلا صار من حزبه ، ودخل مكة بالإصلاح سنة ألف ومائتين وعشرين ، واستمر فيها سبع سنين إلى أن جهزت الدولة العلية عساكرها المنصورة عليه ، ووجهت الأمر إلى وزيرها المفخم محمد علي باشا صاحب مصر فأتاه بجيوش بأسلة ، وطهر الأرض منه ومن اتباعه ، ثم جهز ابنه إبراهيم باشا فوصل بجيوشه إلى الدرعية سنة ألف ومائتين وثلاث وثلاثين فاقى وأباد من بقي منهم

والجواب أن نقول : نعم صنف الشيخ رحمه الله تعالى كشف الشبهات ، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على بطلان ما أورده أعداء الله ورسوله من الشبهات فدحض حججهم ، وبين تهافتهم ، وكان كتاباً عظيم النفع على صغر حجمه ، جليل القدر ، انفع به أعداء الله ، وانتفع به أولياء الله ، فصار علماً يقتدي به الموحدون ، وسلبسبيلاً يرد المبتدون ، ومن كثره يشربون ، وبه على أعداء الله يصرون ، فله ما أنفعه من كتاب ، وما أوضح حججه من خطاب ، لكن لمن كان ذا قلب سليم ، وعقل راجح مستقيم

وأما قوله (عن خالق الأرض والسموات) فأقول لم اسمع بهذه الكلمة إلا عن هذا العراقي وأما قوله كفر فيها جميع المسلمين

فأقول حاشا وكلاماً كفر فيها مسلماً ، وإنما كفر من أشرك بالله وعدل به أحد أسوأ وأما قوله : وزعم أن الناس كفار منذ ستمائة سنة فأقول هذا كذب لم يثبت عنه هذا اللفظ في هذه الرسالة ولا في غيرها ، بل قد أجاب عن هذه المسألة وغيرها في رسالته لعبد الله بن سحيم حيث قال فالمسائل التي شنع بها منها ما هو من البهتان الظاهر وهي قوله أني مبطل كتب المذاهب ، وقوله : أني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء ، وقوله أني أقول إن اختلاف العلماء نقمة ، وقوله أني أكفر من توسل بالصلحين ، وقوله أني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق

وقوله أني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها ولو أقدر على الكعبة

لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب وقوله اني أنكر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقوله اني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم وانى أ كفر من يحلف بغير الله فهذه اثنا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول سبحانه هذا بهتان عظيم ولكن قبله من بهت محمداً صلى الله عليه وسلم انه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين تشابهت قلوبهم وبهتوه بانه يزعم ان الملائكة وعيسى وعزير في النار فأنزل الله في ذلك (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) وأما قوله وحمل الآيات التي نزلت في الكفار من قريش على أتقاء الأمة فقد تقدم الجواب على هذه الدعوى الباطلة فيما تقدم وأما قوله وبث في قلوبهم ان جميع من هونت السماء مشرك بلا مراء ومن قتل مشركاً فقد وجبت له الجنة فأقول هذا كذب واقتراء كما تقدم بيانه

فصل

ثم ذكر العراقي محاربة آل سعود الشريف غالباً وعجزه عن مناوأتهم ودخولهم مكة بالصلح الى قوله ثم جهزت الدولة العلية الى آخره فأقول قد ذكرنا فيما تقدم ما وقع الله بمن عادى المسلمين من العقوبات وان آخر امرهم صار الى تباب كما ذكره شيخنا رحمه الله ثم قال شيخنا رحمه الله تعالى «وأما الدولة التركية المصرية فابتلى الله بهم جميع المسلمين لما ردوا حاج الشامي عن الحج بسبب امور كانوا يفعلونها في المشاعر فطلبوا منهم أن يتركوها وأن يقيموا الصلاة جماعة فما حصل منهم ذلك فردهم سعود رحمه الله تديناً فغضبت تلك الدولة التركية وجرى عندهم امور يطول عدها ولا فائدة في ذكرها فأمرها محمد علي صاحب مصر أن يسير اليهم بعسكره وبكل ما يقدر عليه من القوة والكيد فبلغ سعود ذلك فأمر ابنه عبد الله أن يسير نقاتلهم وأمره أن ينزل دون المدينة فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان بن عبد الرحمن المضايقي واهل بيته وقحطان وجميع العربان فزلوا بالجديدة فاخترع عبد الله بن سعود التقدم عليهم والاجتماع بهم وذلك أن العسكر المصري في ينبع فاجتمع المسلمون في بلد حرب

وحفروا في مضيق الوادي خندقا وعبر الجموع وصار في الخندق من المسلمين
أهل نجد وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز في الجبل فوق الخندق حين نزل
العسكر ارتدت خيولهم وعلموا أنه لا طريق لها إلى المسلمين فأخذوا يضربون بالقبوس
فدفع الله شر تلك القبوس الهائلة عن المسلمين أن رفعوها مرت ولا ضرت وأن
خفضوها اندفنت في التراب فهذه عبرة وذلك أن اعظم مامعهم من الكيد أبطله
الله في الحال ثم مشوا على عثمان ومن معه في الجبل قتر بهم حتى قربوا منه فرموهم
بما احتسبوا به وما أعدوه لهم حين أقبلوا عليهم فما أخطأ لهم بندق فقتلوا العسكر
قتلا ذريعا وهذه أيضا من العبر لأن العسكر الذي جاءهم أكثر منهم بأضعاف
ومع كل واحد من الفرود والمزندات فما أصابوا رجلا من المسلمين وصار القتل
فيهم وهذه أيضا عبرة عظيمة هذا كله وأنا شاهده ثم مالوا إلى الجانب الأيمن
من الجبال بجميع عسكرهم من الرجال وأما الخيل فليس لها فيه مجال فانهزم كل
من على الجبل من أهل بيته وقحطان وسائر العربان إلا ما كان من حرب فلم
يحضروا واشتدوا على المسلمين لما صاروا في أعلى الجبل فصاروا يرامون المسلمين
من فوقهم فحبي الوطيس آخر ذلك اليوم ثم من الغد فاستنصر أهل الاسلام ربهم
الناصر لمن ينصره فلما قرب الزوال من اليوم الثاني نظرت فاذا برجلين قد أتيا
فصعدا طرف ذلك الجبل فما سمعنا لهم بندقا ثارت إلا أن الله كسر ذلك البندق
ونحن ننظر فتتابعت الهزيمة على جميع العسكر فولوا مدبرين وجنبوا الخيل والمطرح
وقصدوا طريقهم الذي جاؤا معه فبقيهم المسلمون يقتلون ويسلبون هذا ونحن
ننظر إلى تلك الخيول قد حارت وخارت وظهر عليهم عسكر من الفرسان من جانب
الخندق ومهمهم بعض الرجال فوات تلك الخيول مدبرة فبقيتهم خيول المسلمين
في أثرهم وليس معهم زاد ولا مزاد فانظر إلى هذا النصر العظيم من الاله الحق
رب العباد لأن الله هزم تلك العساكر العظيمة برجلين فهذه ثلاث عبر لكن ابن
من يعتبر فأخذوا بعد ذلك مدة من السنين

ثم بعد ذلك سار طوسون كبير ذلك العسكر الذي هزمه الله فقصد المدينة
فوراً وأمر سعود على عبد الله ومن معه من المسلمين أن يتجهزوا لقتالهم فوجدوهم

قد هجموا على المدينة ودخلوها وأخرجوا من كان بها من أهل نجد وعسير فخرج المسلمون تلك السنة فاقبل ذلك العسكر ونزل رابع ونزل المسلمون وادي فاطمة فخان لهم شريف مكة وضمهم اليه وجاءوا مع الخبيث علي غفلة من المسلمين فعلم المسلمون أنهم لا مقام لهم مع ماجري من الخيانة فرجعوا الى اوطانهم فخاف عثمان وهو بالطائف أن يكون الحرب منهم ومن الشريف عليه لما يعلم من شدة عداوتهم فخرج باهله وترك لهم الطائف أيضا مخافة أن يجتمعوا على حربه وليس معه إلا القليل من عشيرته ولا يأمن أهل الطائف أيضا فنزل المسلمون بتربة بعد ذلك نحواً من شهر ثم رجعوا حين أكلوا مالمعهم من الزاد فجرى بعد ذلك وقعات بينهم وبين المسلمين ولا فائدة في الاطالة بذكرها والمقصود أن استيلاءهم على المدينة ومكة والطائف كان بأسباب قدرها الملك الغلاب

فيربك عزته ويدي لطفه والعبد في الغفلات عن ذا الشأن وفيها من العبر أن الله بطل كيد العدو ورحم الحوزة وعافى المسلمين من شرهم وصار المسلمون يغزونهم فيما قرب من المدينة ومكة في نحو من ثلاث سنين أو أربع فتوفى الله سعود رحمه الله وهم غزاة على من كان معينا لهذا العسكر من البوادي فأخذوا وغنموا فبقي لهم من الولاية ما كانوا عليه أولا إلا ما كان من مكة والطائف وبعض الحجاز وبعد وفاة سعود رحمه الله تجهزوا للجهاد على اختلاف كان من أولئك الاولاد فصار المسلمون جانبين جانباً مع عبد الله وجانباً مع فيصل أخيه فنزل الحناكية عبد الله ونزل فيصل تربة باختيار وأمر من أخيه له فوافق أن محمد علي حج تلك السنة فواجه فيصل هناك فطلب منه أن يصلحه على الحرمين فأبى فيصل واغلاظ له الجواب وفيما قال

لا يصلح الله منا من يصلحك حتى يصلح ذئب المعز راعيها فأخذت محمد علي العزة والانفة فصار الى بسل والظاهر أنه كان حريصاً على الصلح فاستعجل فيصل بمن معه فساروا اليه في بسل وقد استعد لحربهم خوفاً مما جرى منهم فاقبلوا وهم في منازلهم فصارت عليهم العساكر والخيول فولوا مدبرين لكن الله أعز المسلمين فحبس عنهم تلك الدول والخيول حتى وقفوا على التلول

فسلم أكثر المسلمين من شرهم واستشهد منهم القليل ولا بد في القتال من أن ينال المسلم أو ينال منه قال الله تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس) الآيات وقال تعالى (وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) اى قوله (والله يحب الصابرين) الآيات

وقد قال هرقل لابي سفيان فما الحرب بينكم وبينه قال : سجال ينال منا وننال منه فهذه سنة الله في العباد زيادة للمؤمنين في الثواب وتغليظا على الكافرين في العقاب . وأما عبد الله فزجع بمن معه فلم يلق كيداً دون المدينة فتفكر في حماية الله هذه الطائفة مع كثرة من عاداهم وناواهم ومع كثرة من أعان عليهم ممن ارتاب في هذا الدين وكرهه وقبل الباطل وأحبه فما أكثر هؤلاء لكن الله قهرهم بالاسلام ففي هذا المقام عبرة وهو أن الله أعزهم وحفظهم من شر من عاداهم فله الحمد والمنة

وبعد ذلك رجع محمد علي الى مصر وبعث الشريف غالب الى اصطنبول وأمر ابنه طوسون أن ينزل الحناكية دون المدينة وأمر العطاس أن يسعى بالصلح بينهم وبين عبد الله بن سعود ويركب له من مكة وأراد الله أن أهل الرس يخافون لانهم صاروا في طرف العسكر فاستلحقوا لهم جماعة من المغاربة وطوسون على الحناكية وصار في أولاد سعود نوع من العجلة في الامور فأمروا على الرعايا بالمسير الى الرس فنزلوا الرويضة فتحصن أهل الرس بمن عندهم جماعة فاجبت تلك العجلة ان استفزعوا أهل الرس أهل الحناكية فلما جاء الخبر باقبالهم نصرة لأهل الرس ارتحل المسلمون يلتمسون من أعانهم من حرب ما بينهم وبين المدينة فصادفوا خزنة العسكر فقتلوه وأخذوا ما معهم فهذا مما يسره الله من النصر من غير قصد ولا دراية فرجع المسلمون الى عنزة والعسكر نزلوا الشبيبة قريبا منهم ويسر الله للمسلمين سببا آخر وذلك من توفيق الله ونصره وجهزوا جيشا وخيلا فأغاروا على جانب العسكر فخرجوا عليهم فهزمهم الله وقتل المسلمون فيهم قتلا كثيرا فالقى الله الرعب في قلوبهم على كثرة من أعانهم وقوة اسبابهم وذلك من نصر الله لهذا الدين فرجعوا الى الرس خوفا من هجوم المسلمين عليهم

فتبعهم المسلمون ونزلوا الحجاوي فقدم العطاس على الامر الذي عمده عليه محمد علي فوجد الحال قد تغير ^(١) ابتداء فمنعوه مما جاء له ثم إنهم

سعوا في الصالح والمسلمون إلى الحجاوي وكل يوم يجري بين الخيل طراد فل أكثر المسلمين من الإقامة فلم يبق منهم إلا شزيمة قليلة فجاء منهم اناس يطلبون الصلح فاصلحهم عبد الله رحمه الله تعالى وطلبوا منه أن يبعث معهم رجلا من أهل بيته خوفا أن يعرض لهم أحد من المسلمين في طريقهم فمضى معهم محمد ابن حسن بن مشري إلى المدينة

والمقصود أن الله سبحانه أذلهم وألقى الرعب في قلوبهم وحفظ المسلمين من شرهم بل غنمهم مما بأيديهم من حيث بذلهم المال بشرائهم الهجن فاشتروا من المسلمين الذلول بضعفي ثمنها إلى أن قال رحمه الله - فلو ساعد القدر وتم هذا الصلح لكان الحال غير الحال لكن ما أراد الله تعالى وقع على كل حال لكن جرى من عبد الله بن سعود رحمه الله تعالى ما اوجب تقض ذلك انصلح وهو أنه بعث عبد الله بن كثير لغامد وزهران بخطوط مضمونها أن يكونوا في طرفه وفي امره فبعثوا بها إلى محمد علي فلم يرض بذلك وقال إنهم من جملة ما وقع عليهم الصلح فهذا هو سبب النقض وانشأ عسكريا مع ابراهيم باشا ونزل الحناكية ثم ذكر وقعة الماوية ثم قدومه إلى الدرعية واخذ في حصارها قدر ثمانية اشهر وهو يضربهم بالقنابر والقبوس ثم انتهى الامر إلى الصلح فاعطاهم العهد والميثاق على ما في البلد من رجل أو مال حتى الثمرة التي على النخل لكن لم يف لهم بما صالحهم عليه وغدر باناس منهم سليمان بن عبد الله وبعد هذا تشتت أهل البلد عنها وقطع النخيل وهدم المساكن إلا القليل وبعث بعبد الله بن سعود لمصر واتبعه عياله واخوانه وكبار آل الشيخ وبعد ذلك حج فسلط الله على عسكريه الفنا ولم يصل إلى مصر إلا القليل فلما وصل مصر حل بهم عقوبات أهل الاسلام فمضى على السودان ولا اضفرد الله فرجع مريضا ثم إن محمد علي بعث ابنه اسماعيل ^(٢) وتمكن منهم بصلح

(١) يياض في الاصل

(٢) كذا في الاصل ولعله سبق قلم والاصل ابراهيم

فلما رأوا منه الخيانة بأخذ عبيد وجوار احرقوه بالنار في بيته ومن معه من العسكر
ثم بعد ذلك بعث لهم دقتر دار ولا حصل منهم شيئا

« فاما عسكر الحجاز التي وصلت مصر قبل ابراهيم باشا حسين بك الذي
صار في مكة وعابدين بك الذي صار في اليمن فسيرهم محمد علي قبل هذا الحرب
الى موره وجريد لما خرجوا على السلطان فاستمده السلطان على حربهم فأمده
يهذين العسكرين فهلكوا عن آخرهم ولم يفلت منهم عين تطرف وذلك أن موره
وجريد في الاصل ولاية للسلطان فخرجوا عليه فهلك من عسكر السلطان والعساكر
المصرية في حربهم مالا يحصى وهذه عقوبة أجراها الله عليهم بسبب ما جرى منهم
على اهل الاسلام حتى العرناووط^(١) في جبلهم عصوا على السلطان قبل حادثة موره
وجريد . وبعد هذا الامر اشتد الامر على السلطان وبعث يستنصر محمد علي
فبعث عسكرا كبيرا قاري، علي فهلكوا في البحر قبل أن يصلوا ثم إن السلطان
بعث نجيب أفندي لمحمد علي يطلب منه أن يسير بنفسه فبعث اليه يعتذر بالمرض
. وأن ابراهيم باشا يقوم مقامه وقبل ذلك بعث حسين بك الذي سبا اهل نجد
بوقتل منهم البعض في ترمدا وفزع للسلطان قبل مسير ابراهيم باشا بعسكره الذي
كان معه في نجد وتبعه ابراهيم باشا بمده ونزلوا موره لحرب أهلها فأذلهم الله
لهم فقتلوا فيهم قتلا عظيما

« فاما عسكر حسين بك فلم يقدم مصر منه إلا صبي . وأما ابراهيم باشا فاشترى
نفسه منهم بالاموال فانظر الى هذه العقوبات العاجلة التي أوقعها الله على الامر
والمأمور واكثر الناس لا يدري بهذه الامور . وهذا الذي ذكرناه فيه عبرة عظيمة
وشاهد لأهل هذا الدين أن الله لما سلط عليهم عدوهم ونال منهم ما نال صارت
العاقبة السلامة والعافية لمن ثبت على دينه واستقام على دين الاسلام

« ثم إن الله تعالى أوقع بعدوهم ما ذكرنا واعظم لكن ذكرنا الواقع على سبيل
الاختصار لقصد الاعتبار (فاعتبروا يا اولي الابصار) . ثم إن الله أجرى على من
أعانهم من اهل نجد ممن شك منهم في هذا الدين واكثر الطعن على المسلمين

أن الله تعالى اتفاهم وهذه أيضا من العبر لم يبق أحد ممن اظهر شره وانكره وعداوته للمسلمين إلا وموجل بالهلاك والذهاب « اهـ

ثم ذكر رحمه الله ظهور خالد واسماعيل وذلك بعد أن رد الله الكرة للمسلمين وجمعهم الله على تركي بن عبد الله ثم على ابنه فيصل وذكر رحمه الله ما جرى من تسلط العساكر المصرية على أهل هذه الدعوة الحمدية وما جرى من الملاحم العظيمة مما يطول عده وتمكنهم من فيصل وأخذهم له وأرسله لمصر ثم صار في هذه العساكر من الزهاب والعذاب والفساد لما اوقع الله الحرب بين السلطان ومحمد علي وذلك من العقوبات ، ثم رد الله الكرة لأهل نجد وجمعهم الله بالامام فيصل فرجعوا كما كانوا أولا على ما كانوا عليه قبل حرب هؤلاء الدول

والمقصود بما ذكرنا الاعتبار بأن الله حفظ هذا الدين ومن تمسك به وأيدهم بالنصر على ضعفهم وقلةهم ووقع بأسه بهذه الدول على قوتهم وكثرتهم واسباب كيدهم ثم إن الله تعالى اهلك تلك الدول بما أجرى عليهم من حرب النصارى في بلاد الروم فكل دولة مشت على نجد والحجاز لم يبق منهم اليوم عين تطرف وكانوا لا يحصى عددهم إلا الله فهلكوا في حرب النصارى فصارت العاقبة العافية والظهور لمن جاهدهم في الله من الموحدين فجمع الله لهم بعد تلك الحوادث العظيمة من النعم والعز والنصر مالا يحظر بالبال ولا يدور في الخيال

ومن عجيب ما اتفق لأهل الدعوة أن محمد بن سعود عفا الله عنه لما وقفه الله لقبول هذا الدين ابتداء بعد تخلف الاسباب وعدم الناصر شمر في نصرته ولم يبال بمن خالفه من قريب أو بعيد حتى إن بعض اناس ممن له قرابة به عذله عن هذا المقام الذي شمر اليه فلم ياتفت إلى عذل عاذل ولا لوم لائم ولا رأي مرتاب بل جد في نصرة هذا الدين فملكه الله تعالى في حياته كل من استولى عليه من القرى ثم بعد وفاته صار الأمر في ذريته يسوسون الناس بهذا الدين ويجهادون فيه كما جاهدوا في الابتداء فزادت دولتهم وعظمت صولتهم على الناس بهذا الدين الذي لا شك فيه ولا التباس فصار الامر في ذريته لا ينازعهم فيه منازع ولا يدافعهم عنه مدافع وأعطاهم الله القبول والمهابة وجمع الله عليهم من

أهل نجد وغيرهم من لا يمكن اجتماعهم على إمام واحد إلا بهذا الدين وظهرت آثار الاسلام في كثير من الاقاليم النجدية وغيرها مما تقدم ذكره وأصلح الله بهم ما فسدت تلك الدول التي حاربهم ودافعهم عن هذا الدين ليطفؤه فأبى الله ذلك وجعل لهم العز والظهور « انتهى ما ذكره الشيخ

والمقصود أن هذا العراقي ذكر أن الدولة المصرية ائنت المسلمين وأبادتهم ولم يبق منهم أحد وقد أبقي الله وله الحمد والمنة من آل سعود من قوم هذا الدين وجاهد فيه وأحيا ما اندرس من معاملة بعد تلك الدول ونسأل الله أن يديم ذلك وأن يجعلهم أئمة هدى وأن يوفقهم لما وفق له الخلفاء الراشدين الذين هم التقدم في نصره هذا الدين والحمد لله رب العالمين

فصل

قال العراقي ومن قبائح ابن عبد الوهاب الشنيعة أنه منع الناس من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعد منعه خرج اناس من الاحساء وزاروه صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا مروا على ابن عبد الوهاب في الدرعية فأمر بخلق لحامهم واركبهم مقلوبين الى الاحساء

(والجواب) أن هذا كذب واقتراء فان الشيخ قل في جواب اثنتي عشرة مسألة منها انكاره زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم مانعه : —

فبذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) وقد تقدم ذكرها . وأما كونه حلق لحا اناس من أهل الاحساء فهو من تصرف هذا العراقي فانه لم يذكرها إمام ضلالتهم احمد بن زيني دحلان في مفترياته وهم إنما يمشون على ما اقترحه لهم واقتراه (فبعداً للقوم الظالمين)

وأما قوله قال اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت من اعلام نبوته عليه الصلاة والسلام لان فيها إخباراً بالغيب فمنها قوله عليه الصلاة والسلام « الفتنة من ههنا » وأشار إلى المشرق وقوله صلى

الله عليه وسلم « يخرج اناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتي يعود السهم الى فوقه - يعني موضع الوتر - سيماهم التحليق » وفي رواية زيادة على ذلك « هم شر الخليفة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء » وقوله صلى الله عليه وسلم « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا ؟ قال « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج ناس من المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتي يكون آخرهم المسيح الدجال سيماهم التحليق » وفي قوله صلى الله عليه وسلم « سيماهم التحليق » تنصيص عن هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه

فالجواب أن يقال لقد - والله - أمكن الرامي من سواء الثغرة ، وعلى نفسها تجني براقش . فان قوله صلى الله عليه وسلم « الفتنة ههنا الفتنة ههنا » وأشار الى المشرق - مراده مشرق المدينة وهو العراق كما يأتي ذلك في الأحاديث وفي كلام أهل العلم فأما قوله : فمنها قوله صلى الله عليه وسلم « الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا »

- وأشار إلى المشرق

اقول روى البخاري في كتاب الفتن من حديث ابن عمر ولفظه هكذا عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام الى جنب المنبر فقال « الفتنة ههنا الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان - أو قال - قرن الشمس » وفي رواية عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المشرق يقول « الا أن الفتنة هاهنا من حيث بطلم قرن الشيطان » وفي رواية عنه قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » ولمسلم من رواية عكرمة بن عمار عن سالم سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده نحو المشرق ويقول « ها ان الفتنة هاهنا - ثلاثا - حيث يطالع قرن الشيطان » وله من طريق حنظلة عن سالم

مثله قل « ان الفتنة هاهنا ثلاثا » وله من طريق فضيل بن غزوان سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول « بأهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الفتنة تحيي من ههنا وأومئ بيده نحو المشرق من حيث يطلم قرن الشيطان » كذا فيه بالتثنية فتبين من هذا الحديث الصحيح أن المراد بالمشرق العراق ولا بدع فهو منبع كل فساد ومنشأ كل الحاد، قال الخطابي: نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها فهي مشرق أهل المدينة ، وأصل نجد ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور فانه ما انخفض منها، وقال الحافظ في الفتح: وقال غيره « كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سببا للفرقة بين المسلمين وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة » انتهى ، وقال القسطلاني إنما أشار عليه الصلاة والسلام إلى المشرق لأن أهله يومئذ أهل كفر فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية وكذا وقعت فكانت وقعة الجمل ووقعة صفين ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق وما وراءها من المشرق وكان أصل ذلك وسببه قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم انتهى

فتبين مما ذكره الشراح أن المراد من قوله من قبل المشرق انه العراق ونواحيه لأن به كانت وقعة الجمل ووقعة صفين وهي لم تكن الا في ناحية العراق وخروج الخوارج إنما كان من البصرة والكوفة فأين هذه الا ما كن من النمامة لو كانوا يعلمون ولكن الأمر كما قيل * رميتي بدائها وانسلت * وقال الداوودي : ان نجدا من ناحية العراق ذكر هذا الحافظ ابن حجر ، ويشهد له ما في مسلم عن ابن غزوان سمعت سالم بن عبد الله سمعت ابن عمر يقول بأهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الفتنة تحيي من ههنا وأومئ بيده إلى المشرق » فظهر أن هذا الحديث خاص لأهل العراق لأن النبي صلى الله عليه وسلم فسر المراد بالإشارة الحسية وقد جاء صريحاً

في الكبير للطبراني النص على أنها العراق وقول ابن عمر وأهل اللغة وشهادة الخليل كل هذا يعين المراد ومن المعلوم بالضرورة أن وقعة الجمل وصفين لم تكن بأرض اليمامة ولا كان خروج الخوارج على علي رضي الله عنه إلا بمروراء من جهة العراق ونواحيها وأما قوله في الحديث الآخر يخرج ناس من المشرق يقرؤون القرآن الخ فأقول الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يخرج ناس من قبل المشرق وقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه » قيل ما سيأثم قال « التحليق - أو قال - التسبيد » وقد وقع مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من خروج هؤلاء المارقين على هذه الصفة التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خروجهم من جهة العراق كما ذكره الشراح ، قال الحافظ في الفتح في آخر كتاب التوحيد تحت قوله صلى الله عليه وسلم « يخرج ناس من قبل المشرق » تقدم في كتاب الفتن أنهم الخوارج وبيان مبدا أمرهم وما ورد فيهم وكان ابتداء خروجهم في العراق وهي من جهة المشرق بالنسبة الى مكة المشرفة (١) انتهى . وأخرج البخاري عن بشير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئاً؟ قال سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق « يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية » وأما قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » الحديث فالجواب أن يقال وصف أهل اليمامة بهذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يصف أهل نجد وأهل اليمامة بهذا ولا دخل في وصفه من يؤمن بالله ورسوله منهم ولا من غيرهم بل الموصوف باجماع المسلمين هم الحرورية الخارجون على علي الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أهل الكوفة والبصرة وما يليها من بني يشكر ومن طي وتميم وغيرهم من قبائل العرب ودارهم ومسكنهم بالعراق ولا يختلف في هذا ، ودواتهم وشوكتهم كانت هناك دون

(١) كذا في الاصل وفي الفتح أيضاً ، ويظهر انه سبق قلم من الحافظ لان هذا

الحديث قاله (ص) في المدينة والله أعلم

النهر ولذلك نسبوا اليه وقيل أهل النهر وان وحروراء بلدة هناك نسبوا اليها فقيل الحرورية وبعض ألفاظ الحديث في بعض الطرق دال على تلك الخصوصية كما وقع في رواية البخاري عن أبي سعيد «يخرجون على حين فرقة من الناس» قال أبو سعيد شهدت لسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم واشهد ان عليا قتلهم وأنا معه حين جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها اولى الطائفتين بالحق» وكذلك الحديث الذي أورده العراقي (الزهاوي) من قوله صلى الله عليه وسلم «يخرج ناس من المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم المسيح الدجال» قال بعض المحققين من أهل العلم في رده شبهة دحلان: لم أقف على هذا اللفظ ولكن أخرج معناه النسائي من حديث أبي برزة وأخرج ابن ماجه معناه من حديث ابن عمر ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع» قال ابن عمر يخرج في عراضهم الدجال وفي مجمع الزوائد عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون مع بقيتهم الدجال» رواه الطبراني واسناده حسن انتهى

وأما قوله : وفي قوله صلى الله عليه وسلم «سيأهم التحليق» تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لأنهم كانوا يأمرؤن من اتبعهم أن يخلق رأسه ولا يتركونه اذا تبعهم حتى يخلقوا رأسه ، ولم يقع مثل ذلك من إحدى الفرق الضالة التي مضت قبلهم ، وكان ابن عبد الوهاب يأمر بخلق رؤس النساء ايضاً ممن اتبعه ، وفي مرة امر امرأة دخلت في دينه ان تخلق رأسها فقالت له لو أمرت بخلق اللحي للرجال لساغ ان تأمر بخلق رؤس النساء ، فان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فلم يجد لها جواباً فالجواب أن نقول : قد تقدم أن التحليق من صفة الخوارج الذين يخرجون من العراق كما هو معروف مشهور في الاحاديث وكلام العلماء.

وأما قوله إن الشيخ واتباعه يأمرّون من اتبعهم أن يخلق رأسه فهذا من الكذب والبهتان ، والظلم والعدوان

وأما حكايته عن المرأة التي زعم أن الشيخ أمرها بخلق رأسها من الخرافات والمجونات التي لا يستجيز صبيان الميكاتب حكايتها ، ولا يحكيها إلا هؤلاء الذين سلب الله عقولهم ، وانطقهم بما يضحك منه المجاذيب الذين لا يعقلون

وأما قوله ولم يقع مثل ذلك من إحدى الفرق الضالة التي مضت قبلهم فأقول هذا مما يبين شدة غباوة هذا العراقي وجهله ، وعدم ادراكه ومعرفة شدة كلب عداوته لأهل الاسلام ، فإن التحليق من صفة الجوارج كما مرّ في الاحاديث ، وهم خرجوا على علي رضي الله عنه وهم من أكبر الفرق الضالة في القرن الأول ، وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى دين الله في القرن الحادي عشر ، افلا يستحي هذا العراقي ممن وقف على كلامه من سوء قصده ومرامه حيث قال : ولم يقع مثل ذلك من إحدى الفرق الضالة وهو قد وقع للجوارج ، ومن شدة غباوته انه يكتب هذا في صفة الجوارج ثم يقول : ولم يقع مثل هذا الاّهم إلا أن يكون توهم أن الذين خرجوا على علي وقائلهم في النهروان ليسوا بجوارج ، وانما الجوارج عنده من اخلصوا العبادة لله بجميع أنواعها ، ودعوا الناس الى ذلك ، ونهوا عن الاعتقاد في الانبياء ، والاولياء والصالحين ، والاحجار ، والاشجار ، وترك التعلق عليهم ، والاتجاء اليهم في الرغبات والطلبات ، وانه لا يستغاث بهم في كشف الكربات والملمات الى غير ذلك من الفواحش والمنكرات .

وأما قوله وكان ابن عبد الوهاب يأمر بخلق رؤس النساء الى آخره فأقول هذا من الكذب الواضح الذي لا يمتري فيه عاقل ، بل هو تزوير الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وقد خاب من اقتري ، وشاهد الحال يكفي في رد هذه الخرافات

وأما قوله ومن الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم « يخرج في آخر الزمان في بلد مسيلة رجل يغير دين الاسلام »

فأقول هذه رواية بلا سند فلا اعتماد بها ، بل هذا من موضوعات هؤلاء الغلاة ، ولو كان هذا أصل لعزائها إلى كتاب من الكتب المعتمدة ، وقد قل امام ضلالة هؤلاء الغلاة دخلان في شبهانه ومفتريانه مانصه : وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال : ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلة رجل يغير دين الاسلام ، فنسبها إلى بعض التواريخ غير مسندة إلى تاريخ معلوم ولا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند يعتمد عليه ، وهذا الجاهل اسند هذه المقالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير سند لعظم غباوته وجراءته ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »

فصل

فاذا وضع لك ماتقدم ذكره فاعلم انه لا يكون من الخوارج وعلى مذهبهم إلا من يستن بسنة هؤلاء الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وسلك مسلكهم من قتل أهل الاسلام ، وترك أهل الاوثان ، وتكفير من لا يعتقد معتقدهم ، وإباحة دمه ، وماله ، واهله ، وأن عثمان وعليا وأصحاب الجمل وصفين وكل من رضي بالتحكيم كقار ، وأن من أتى كبيرة فهو كافر مخلد في النار ابداً ، وأن من لم يخرج ويحارب المسلمين فهو كافر ولو اعتقد معتقدهم ، وإبطال رجم المحسن ، وقطع يد السارق من الابط ، وإيجاب الصلاة على الحائض في حال حيضها ، وكفر من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادراً وإن لم يكن قادراً فقد ارتكب كبيرة ، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر ، وسائر معتقاداتهم الفاسدة ، وأعمالهم الزائفة

فاذا تبين لك هذا فالشيخ رحمه الله واتباعه لا يعتقدون شيئاً من عقائدهم ، ولا يعملون بشيء من أعمالهم ، بل مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتهم طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم ، بل والأعلم والأحكم ، وهم في الفروع على مذهب الامام احمد ابن حنبل رحمه الله ، ومن روى عنهم من تلك الخرافات والأوضاع ، أو نسب اليهم فقد كذب عليهم واقتري ، وهذا ظاهر لمن طالع كتابه المسمى كتاب التوحيد وسائر الرسائل المؤلفة للشيخ

فصل

قال العراقي : ومن قبائح ابن عبد الوهاب احراقه كثيراً من كتب العلم ، وقتله كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم ، واستباحة دماهم وأموالهم ، ونبشه لقبور الأولياء ، وقد أمر في الاحساء أن تجعل بعض قبورهم محلاً لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ، ومن الراتب والاذكار ، ومن قراءة المولد الشريف ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنابر بعد الاذان ، وقتل من فعل ذلك ، ومنع الدعاء بعد الصلاة ، وكان يصرح بكفر المتوسل بالأندياء ، والملائكة ، والأولياء ، ويزعم أن من قال لأحد : مولانا وسيدنا فهو كافر فالجواب أن نقول : قد تقدم الجواب عن هذه المفتريات وبيننا أنها كذب وزور ، وتعنّت وفجور إلا أنا لم نجب عن دعواه نبش قبور الأولياء وجعلها محلاً لقضاء الحاجة ومنع الناس من الرواتب والاذكار ، وأن الشيخ يقول لمن قال لأحد : مولانا وسيدنا فهو كافر

فأما دعواه أن الشيخ نبش قبور الأولياء فهذا كذب والذي جرى من الشيخ رحمه الله واتباعه هدم البناء الذي على القبور والمسجد المجهول في المقبرة على القبر الذي يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه وذلك كذب ظاهر فإن قبر زيد رضي الله عنه ومن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه ، بل المعروف أن الشهداء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا في أيام مسيلة في هذا الوادي ، ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم ، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره ، وإنما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس هذا قبر زيد فاقتنوا به وصاروا يأتون اليه من جميع البلاد بالزيارة ، ويجتمع عنده جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره ، وذلك المسجد المبني على المقبرة اتباعاً لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور في النهي والتغليظ في بناء المساجد عليها كما يعرف ذلك من له أدنى مسكة من المعرفة والعلم ، وأما كونه نبش القبر فكل هذا كذب

وزور وتشذيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور وكذلك قوله : وقد أمر في الأحكام أن تجعل بعض قبورهم محلاً لقضاء الحاجة كذب واقتراء

وأما قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم بوقت محدود وطريقة معلومة وكتب مخصوصة لما فلا شك في كونها بدعة محدثة ، فأني محذور في المنع منها ؟ وأما الدعاء بعد الصلاة فإن كان بالألفاظ الواردة في الأحاديث الصحيحة من الأذكار من غير رفع اليدين كما ورد في الصحيحين وغيرهما من الكتب فالشيخ لا يمنع منه ولا أحد من أتباعه بل ولا أحد من أهل الحديث ، وإن كان الدعاء بغير الألفاظ المأثورة وكما يفعله الناس اليوم فقال شيخ الإسلام لما سئل عن ذلك (الجواب) الحمد لله ، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدعو هو ولا المؤمنون عقب الصلوات الخمس كما يفعله الناس عقب الفجر والعصر ولا نقل ذلك عن أحد ولا استحباب ذلك أحد من الأئمة ، ومن نقل عن الشافعي أنه استحباب ذلك فقد غلط عليه ، ولفظه الموجود في كتبه ينافي ذلك ، لكن طائفة من أصحاب أحمد وأبي حنيفة وغيرهم استحبوا الدعاء بعد الفجر والعصر ، قالوا : لأن هاتين الصلاتين لا صلاة بعدهما فتعوض بالدعاء بعد الصلاة ، واستحب طائفة من أصحاب الشافعي وغيره الدعاء عقب الصلوات الخمس وكلهم متفقون على أن من ترك الدعاء لم ينكر عليه ومن أنكر عليه فهو مخطئ ، بانفاق العلماء . فإن هذا ليس مأموراً به لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب في هذا الموطن بل الفاعل أحق بالانكار فإن المداومة على ما لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يداوم عليه في الصلوات الخمس ليس مشروعاً بل مكروه كما نوداه على الدعاء عقب الدخول في الصلاة أو داوم على القنوت في الركعة الأولى في الصلوات الخمس أو داوم على الجهر بالاستفتاح في كل صلاة ونحو ذلك فإنه مكروه ، وإذا كان القنوت في الصلوات الخمس قد فعله النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً ، وكان عمر يجهر بالاستفتاح أحياناً وجهر رجل خلف النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك فأقره عليه ، فليس كل ما شرع فعله أحياناً تشرع المداومة عليه ، ولو دعا الإمام والمأموم أحياناً عقب الصلاة لأمر عارض لم يعد هذا مخالفة للسنة كالذي يداوم على ذلك ، والأحاديث الصحيحة تدل على أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان يدعو دبر الصلاة قبل السلام ويأمر بذلك كما قد بسطنا الكلام على ذلك وذكرنا ما في ذلك من الأحاديث وما يظن ان فيه حجة للمنازع في غير هذا الموضع ، وذلك لان الداعي يناجي ربه فاذا انصرف مسلماً انصرف عن مناجاته ، ومعلوم ان سؤال السائل ربه حال مناجاته هو الذي يناسب دون سؤاله بعد انصرافه . اهـ

وأما مسألة قول القائل : مولانا وسيدنا فالشيخ لا يمنع من قال ذلك على الوجه الذي يعرفه الناس من لفظ السيد بالشريف والفاضل والكريم والخليم ومتحمل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدم ، وكذلك لفظ المولى بالمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والخال وابن العم والخليف إلى غير ذلك ، وإنما نهى ومنع عن اطلاق لفظ السيد والمولى فيمن يعتقدون فيه نوعاً من الربوبية أو الألوهية كمن يقول : يا سيدي أو يا مولاي فلان أغثني أو أدركني أو ارزقني أو أنا في حسبك ونحو هذا ، فمن قال هذا بهذا المعنى فهو كافر يستتاب فان تاب والا قتل ، فان الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُعبد ولا يدعى معه إله آخر قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله تعالى في الرسالة السنية : فاذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن انتسب إلى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب إلى الاسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الاسلام لأسباب منها الغلو في بعض المشايخ ، بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الألوهية مثل أن يقول : ياسيدي فلان انصري ، أو أغثني أو ارزقني أو أنا في حسبك ، ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل الى آخر كلامه رحمه الله

فصل

قال العراقي الزهاوي البغدادي :

الوهابية ومريث بغيرها

إن زعيم الوهابية اليوم هو عبد الرحمن بن فيصل من أولاد محمد بن سعود الباغي الذي حاد عن طاعة الخلافة العظمى الاسلامية سنة ١٢٠٥ واستمرت له وقائع مع الشريف غالب إلى ١٢٢٠ حتى عجز الشريف عن حربه جهزت الدولة العلية عليه عساكرها وناطت الأمر بوزيرها المرحوم محمد علي باشا صاحب مصر وولده المرحوم ابراهيم باشا فأبادهم سنة ١٢٣٣ كما ألمعنا اليه في مقالتنا السابقة بما هو مسطور في كتب التاريخ ، وعبد الرحمن هذا كان قبل ثلاثين سنة تقريباً أميراً على الرياض ، فلما استولى عليها المرحوم أمير نجد محمد بن رشيد هرب عبد الرحمن بن سعود إلى بعض السواحل البحرية ، وأخيراً انتجأ إلى الكويت وبقي هناك يعيش في فقر مدقع لا يرحمه أحد إلى أن عطف عليه الدولة العلية وأجرت له جناية أزال ما كان فيه من الفقر وصار يعيش في أرغد عيش على نفقتها في تلك الديار (والحواب أن يقال) نعم قد كان زعيم الوهابية اليوم الامام المعظم والرئيس المفخم عبد الرحمن بن فيصل وابنه عبد العزيز بن عبد الرحمن هو قائد الجيوش الاسلامية^(١) وكان عبد الرحمن من أولاد محمد بن سعود الذي رفع الله به أعلام الشريعة الحمدية والملة الابراهيمية ، بعد أفول شمسها ، وانطامس معالمها ودروسها ، فبغت عليه الدولة المصرية لما استوثقت له البلاد العربية ، وأظهر دين الله الذي بعث الله به رساله ، وأنزل به كتبه ، وكان قد جرى من أولاد سعود رحمه الله بعض التقصير في الأوامر الدينية فتسلط عليهم بسبب ما اقترفوه من الذنوب هؤلاء الباغون المعتدون كما تقدم بيانه مما لا فائدة في إعادته ، ثم رد الله الكرة للمسلمين وجمعهم

(١) هذا كان وقت كتابة الكتاب أما الآن (وقت الطبع) فإن هذا الفائدة قد صار صاحب الجلالة ملك الحجاز وحاكم نجد ومحققاتها وصارت بلاد العرب من البحر الأحمر إلى خليج فارس تدين له بالسمع والطاعة

لله بالامام فيصل بن تركي بعد ما بغت عليه العساكر المصرية ، ونقلوه إلى مصر
 بعد محاربات عديدة ، وأمور هائلة شديدة ، ثم توفي رحمه الله سنة ١٢٨٢ هـ
 (وأما قوله) وعبد الرحمن هذا كان قبل ثلاثين سنة تقريباً أميراً على الرياض
 فأقول ليس الأمر كذلك وما آفة الاخبار الارواها بل كان الامير علي
 اهل نجد بعد وفاة الامام فيصل ابنه الأكبر عبد الله بن فيصل واستمرت له
 الولاية مدة سنين ثم كان بينه وبين أخيه سعود محاربات ومنافسات على المملكة
 يطول عدها وكان محمد بن رشيد من أمراء آل سعود على جهة الجبل وما يليه
 من القرى والبادي فلما ضعفت الممالك النجدية وتضعضع أمرها باختلاف آل
 سعود بينهم وغلب أولاد سعود على عهدهم عبد الله بن فيصل استنجد عبد الله
 بمحمد بن رشيد على أولاد أخيه سعود فسار إلى الرياض وحصرها أياماً قلائل
 ثم وقعت المصالحة بينه وبين أهل الرياض وبينه وبين أولاد سعود على الخرج
 من أعمال الرياض وارتحل ابن رشيد راجعاً إلى الجبل بعبد الله بن فيصل ثم بعد
 ذلك غدر بأولاد سعود وقتاهم وصار الأمر في يده بالبغي والعدوان على أهل
 تلك الاماكن والبلدان وكان الامام عبد الرحمن بن فيصل حال ولاية ابن رشيد
 على الرياض ساكناً فيها والامير عليها من جهة محمد بن رشيد أخوه ابن فيصل
 المتصرف فيها بأوامر محمد بن رشيد أحد امرائه المسمى سالم ابن سبهان وكان
 رجلاً فاجراً لا يخاف الله ولا يتقيه فأراد الخديعة والمكر بعبد الرحمن بن فيصل
 والغدر به فجاءه بأولاد سعود فلما تحقق الامام عبد الرحمن خبره هجم عليه واخذه
 قسراً وقهراً وحبسّه ثم بعد ذلك قدم ابن رشيد وحاصر الرياض نحواً من شهر
 ثم رجع خائباً حسيماً لم يدرك مقصوده فلما لم يحصل على طائل بالمحاربة أخذ يخادع
 أهل الرياض ويعدّهم ويمنيهم حتى انخدع له بعض الأشرار لما يحصل لهم بعد ذلك
 منه بسبب غدرهم من الانتقام والدمار فلما تحقق الامام عبد الرحمن ذلك
 الخبر وتقرر عنده واشتهر نخرج بأولاده وأهله إلى (قطر) ثم ارتحل إلى الكويت
 فسكن بها واستقر ، هذا ملخص الأمر لا كما يزعمه هذا العراقي ثم توفي محمد بن رشيد
 سنة ١٣١٥ الف وثلثمائة وخمس عشرة وتولى بعده ابن أخيه عبد العزيز ابن

متعّب وجرى بينه وبين مبارك بن صباح ما جرى من المحاربة وكانت الدائرة لابن رشيد على ابن صباح غير أنه لم يقتل من قومه هذا العدد المذكور بل كان يقتل قريبا من ثلاثمائة رجل أو أقل

وأما قوله وبقي هناك يعيش في فقر مدقع لا يرجمه أحد الى أن عطف عليه الدولة واجرت له جراحة اذانت ما كان فيه من الفقر الى آخر كلامه

فأقول لما كان لهذا العراقي الحظ الوافر من الكذب على الاموات ولم يكتف بذلك أخذ يكذب على الاحياء بما هو معلوم كذبه بالاضطرار فان الامام عبد الرحمن كان في بلد الكويت في أرغد عيش وأنعم بال وكان جميع من يصل الى تلك البلاد من أهل نجد في مضيفه حتى يرحلوا بالجوائز والصلوات الجزيلة من الامام وإنما أخذ معاش الدولة ليسكن بذلك لكونه إذ ذاك في طرفهم والولاية لهم فيه ظاهراً ولأن الكويت قريباً من بلاد نجد والخبار تصل اليه بسرعة وأيضاً كان فيه آمناً من تسلط الأعداء فليس لاحد عليه فيه اتصال بما يكرهه لا من جهة الدولة ولا من جهة ابن رشيد فلذلك استحب سكنى الكويت على غيره من الأماكن وقد كان قائد الجيوش الاسلامية الهمام المتقدم المقام المفخم والوزير الغششم

عبد العزيز بن عبد الرحمن إذ ذاك حديث السن لكنه مع ذلك يروم من الامور معاليها وينبئ بهمة الى هامانها وأعاليتها وطلب من أبيه عبد الرحمن بن فيصل أن يأذن له في الاغارة على البوادي من أهل نجد ممن كان في ولاية ابن رشيد ليتقوى بما يأخذه منهم على محاربة ذلك العدو المريد والفاجر العنيد عبد العزيز ابن متعب بن رشيد فأذن له في الخروج والغزو وأعانه ابن صباح بسلاح فأخذ يغير على البوادي النجدية حتى أثخنهم قسراً وأخذهم قهراً ولم يكن ابن رشيد إذ ذاك كما يزعمه العراقي مشغولاً ببعض الغزوات لكنه قد بهت مما فعل هذا الرئيس الهمام والفارس المقدم فاعمل الفكرة والحيلة في حفظ القرى والأمصاير بان جعل فيها بأمر الدولة العثمانية من يمنع عشائر ابن سعود عن الميرة منها والقدوم اليها فانه كان اذا قفل من غزوته نزل قريبا من الأحساء ليمتار منها ويتزود فمنعته الدولة من القدوم اليها للميرة وامتنع بعض قواد الاعراب عن مساعدته لأجل ذلك فلما

تحقق عبد العزيز مآمله من الحيلة وتعذر الوصول الى بعض تلك الاقطار
 للأمتيار اقتضى رأيه أن يسير إلى الرياض فهجم عليها ليلا بشرذمة قليلة نحو
 من ثلاثين رجلا فقتل أمير ابن رشيد وذويه بعد أن ألقى بنفسه ومن معه على ثغر الرياض
 من باب صغير في عرض باب القصر ووقاد الله شر رماة من فيه من الرجال فلما فرغ
 من أمر ذلك القصر أحكم سور البلد في مدة يسيرة وحفظه بالرجال وأخذ يغير
 على البوادي من كل معاند له ومعادي وكف الله أكف الظالمين ولم ينتهزوا
 الفرصة بالمبادرة الى الرياض قبل استحكام الأمر ثم جمع ابن رشيد جموعه من
 المحاضرة والبادية وأقبل بتلك الجنود العاتية حتى نزل بقرية من قرى الوشم فمكث
 بها قريبا من أربعين يوما يخادع أهل الرياض ويعدهم ويمنبهم بالأوعاد وهبهات
 دون ذلك خرط القناد ثم ارتحل ونزل بماء يقال الحسي فمكث به قريبا من شهر
 وفي تلك الايام والامام عبد العزيز في الرياض ثم اقتضى رأيه الميمون أن يسير
 الى الحوطة من ديار بني تميم لكي يستنجح أمر ابن رشيد والى ما يصير اليه أمره
 بعد ارتحاله عن الرياض فارتحل ابن رشيد من الحدي وعمد الى الخروج لأجل
 حصارها فامتنعوا منه ثم مشى عبد العزيز حفظه الله بأهل الحوطة وما يليها من
 القرى ومن معه من أهل الرياض حتى وصل الى بلد الخرج فدخلها ليلا ثم لما كان
 من الغد برز له وجرت بينه وبين ابن رشيد مقاتلة في مدة ثلاثة أيام فهزم الله
 ابن رشيد وجنوده وقتل منهم عبد العزيز خلقا كثيرا ورجع ابن رشيد خاسئا حسيرا
 وأما قول العراقي انه حاصر الرياض سنة فن الكذب الواضح فانه لم يقدم
 اليها فضلا عن أن يحاصرها لكنه بعد ذلك بمدة نحو من خمسة أشهر قصد الرياض
 وكال عبد العزيز بن عبد الرحمن قد سار بجنوده الى الكويت لاظهار أهله منها
 وجد ابن رشيد في السير حتى وصل الى الرياض ليلا ولم يشعر به أحد حتى كان
 وقت السحر وهو قد أحرق بالبلاد وحفظ أطرافها بالخييل والجنود وأمر على بعض
 قومه أن يقتحموا في البلد فيسر الله أن رجلا من أهل البادية أقبل قاصدا الى
 الرياض فرآه وهو قد قرب منها فدخلها ليلا وصاح بأهل البلد فنهض أهل البلد
 وقصدوا السور واشعلوا النيران في البروج وهم قد أحرقوا بها لكن قذف الله

في قلوبهم الرعب فاحجموا عن الاقتحام والزحام فلما علم أن أهل البلد قد شعروا به أرسل إلى قومه أن يكفوا وأن يرجعوا إلى معسكرهم وأمر البادية ومن معهم من المحاضرة المحدثين بالبلاد أن يأخذوا ما وجدوا في النخيل من الأدباش (الابل) وقتلوا في النخيل عشرة انفار فلما كان من الغد بعد ارتفاع الشمس أقبل بجنوده ونزل على الرياض فظهر عليه بعض الأبطال من الرجال وصار بينهم قتال ثم لما كان من اليوم الثاني قذف الله في قلبه الرعب فارتحل من الرياض لم يحصل على طائل وقد قتل من قومه نحواً من خمسين رجلاً ثم سار إلى شقري فحاصرها مدة نحواً من نصف شهر فلما علم أن عبد العزيز بن عبد الرحمن قد وصل إلى الرياض راجعاً من الكويت ارتحل من الوشم ونزل القصيم ولما رأى ابن رشيد أن أمور ابن سعود قد استعصبت عليه وعشائره نجد التجأت إليه لم يجد مندوحة عن الالتجاء إلى الدولة العثمانية والاستنصار بها فلما عزم على ذلك الأمر جعل في القصيم جنوداً من قومه وأمر عليهم ماجد بن حمود وحفظ الحصن الذي في (بريدة) بالرجال والأزواد وحفها بالاجناد وبعث سرية من قومه وأمر عليهم حسين ابن جراد إلى بادية حرب وأمره أن يصير بهم إلى قرى الوشم وينزل بها هناك حتى يقدم اليهم بالعساكر العثمانية وأرسل رسلاً إلى باشا بغداد بعد أن قرب من تلك البلاد فاستعجلبها وأثارها بالبخاشيش فأمدوه بالاجناد فعند ذلك انتهز الفرصة الإمام عبد الرحمن فأمر ابنه عبد العزيز فاغار بالجيوش الإسلامية والجنود الخفيفة على حسين بن جراد ومن معه من تلك الاجناد من حرب ومن اجتمع عليها من الأمداد فأخذهم الله وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رجع بتلك المغانم الجسيمة هذا وماجد بن حمود الرشيد مع جنوده قريباً من عنيزة فلجأ إليها ونزل قريباً منها لأجل حماية أهلها فسار اليهم عبد العزيز فدخل عنيزة عنوة ليلاً وقتل أمير ابن رشيد الذي كان فيها ثم سار بجنوده آخر الليل فهجم على ماجد بن حمود ومن معه من الجنود فأخذهم الله تعالى وهرب ماجد بمن نجاه معه إلى الجبل وسار عبد العزيز إلى بريدة فدخلها عنوة وحاصر الحصن الذي فيها نحواً من شهر ثم فتحه الله صاحبا هذا ملخص ما جرى في تلك الوقعات

فصل

قال العراقي ولما رأت الدولة العلية اعتداء عبدالرحمن هذا وبغية وتطاوله على صادقها ومخلصها الامير ابن رشيد ونزع عبد الرحمن الى الأجانب أرسلت كتبة من عساكرها المنصورة صحبة الامير ابن رشيد لقطع دابر أولئك المارقين وقع بغيتهم واعتدائهم واطفاء شرر فتنهم المستطير فصادمت العساكر المنصورة الجماعة الباغية حزب ابن سعود قرب بلدة البكيرية من بلاد القصيم . ف وقعت بين الجمعين ملحمة كبرى انجلت عن هزيمة الفئة الباغية جماعة ابن سعود واملاك العساكر احد عشر راية من راياتهم . وقد كان والحق يقال لحضرة الأمير ابن رشيد وجيشه في هذه الملحمة خدمة في قمع الأعداء تشكر وبسالة يخلد ذكرها ولا تنكر وأما المنهزمون فهم اليوم متحصنون ببعض تلك البلاد والعساكر المنصورة مع جيوش الأمير ابن رشيد محددون بهم ومجدون في تنكيلهم وكبح جماحهم وفتحهم الله تعالى لذلك

والجواب أن يقال ليس الأمر كما زعم هذا العراقي بل حقيقة الحال انه لما رأت الدولة العثمانية انه قد وقع بين العرب حروب عديدة وملاحم شديدة طمعت في بلاد العرب بواسطة الانتصار لابن رشيد كما أخذت الأحساء والقطيف بغياً وعدواناً بواسطة الانتصار لعبد الله بن فيصل على أخيه سعود : وقد كان من المعلوم أنها لا تمشي مع أحد لحظ نفسه وإنما تمشي لحظ نفسها ولكن لا يشعر تأنه بمصابه لأنه ما دخل الأمر من باب

فجاؤا بأسباب من الكيد مزعج مدافعهم يزجي الوحوش رينها وظنوا أنهم لم عداهم من الناس سيقهرون وانهم لمن حاربهم سيفعلون (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فأقبل بتلك العساكر والعربان يقودهم البغي والعدوان والاشر والبطل والطغيان (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) حتى نزل بأدنى قرى القصيم وانزل الله عليهم بها من رجزه عقاصاً عظيماً ووباء وخيماً فقتل بعض أولئك الطعام وبقي منهم

خلق كثير وجم غفير ولم يعتبروا بما حل بهم ودها وما نزل بهم من النوى فنهض اليهم الامام عبد العزيز بمن معه من المسلمين وهم لا يبلغون معشار أولئك المعتدين ونزل البصرة فارتحل ابن رشيد ونزل بالشيخيات وسار عبد العزيز بالمسلمين فنزل البكيرية فلما كان من الغد وانتصف النهار، ولم يلق كيداً من أولئك الأشرار، وظن المسلمون انه لا يكون في ذلك الوقت مقاتلة من الأغيار، فتفرقوا في النخيل والأشجار، فانهز ابن رشيد هذه الفرصة وعبا عساكره وجنوده، ونشر راياته وبنوده، وجاؤا بكقول الله تعالى (بطرا ورتا الناس ويصدون عن سبيل الله) ف وقعت بين الطائفتين وقعة عظيمة، وملحمة كبيرة جسيمة، وكان المسلمون قد نهضوا اليهم على غير تعبئة وكانت العساكر والجنود الطاغية قد نهضوا بأجمعهم في نحر أهل الرياض ومن معهم من أهل النواحي غير أهل القصيم فانكشف المسلمون بعد أن جاءتهم الخيل من خلتهم (ولم يحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) قال الله تعالى (وتلك الأيام نداؤها بين الناس) الآية ولم يقتل من المسلمين على التحقيق الا نحواً من ثمانين رجلاً وقد قتل من العسكر وجند ابن رشيد خلق كثير ولما كان في آخر النهار قبل غروب الشمس ظهرت جموع أهل القصيم وهم لا يعلمون بانكشف أهل العارض لانهم في خب منخفض فحملوا على العساكر العثمانية والجنود الرشيدية وقد اجتمع بأهل القصيم من أهل الرياض عصابة في ذلك اليوم فهزمهم شر هزيمة وقتلوا في ذلك اليوم منهم مقتلة عظيمة، وأخذوا كثير آمن مطارحهم وخيامهم ومدافعهم وقد قتل من العسكر ومن أهل الجبل نحواً من خمسمائة مقاتل فلما علم أهل القصيم بانكشف المسلمين تركوا ما أخذوه مما لا يطيقون حمله ورجعوا الى أوطانهم واما كتبهم ولم يتراجع الفريقان إلا بعد أيام فرجع ابن رشيد وعسكره الى معسكرهم في الشيخيات واستولى على البكيرية واجتمع المسلمون في عنيزة ثم نهض اليهم عبد العزيز بالمسلمين وقدم جمعاً الى البكيرية فهجموا عليها ليلاً وهرب من فيها من جند ابن رشيد وملكوا صورها وقصورها فلما كان آخر الليل التقى الجمعان قريباً من البكيرية فهزمهم المسلمون هزيمة عظيمة ونزل المسلمون البكيرية فرجف الله بابن رشيد وعساكره فارتحلوا منهزمين وركبهم

خيول المسلمين يأخذون ويقتلون حتى نزل بالشنانة من أعالي قرى القصير ونزل عبد العزيز الرس ولم يكن بينهم مزاحفة إنما هو بالخيول مناوشة ومراوحة ثم لما طال المقام وخاف ابن رشيد تفرق قومه أطول المقام ولأن المسلمين لا يدعوتهم ينتشرون لرعي إبلهم وجبوشهم وأكلوا مافي الشنانة حتى النخيل فارتحل من الشنانة ونزل بماء يقال له المقرعي فنهض المسلمون الى قصر هناك قريبا منهم يقال له قصر ابن عقيل فالتقى الجمعان وتصادم الفريقان وكانت الدائرة للمسلمين على ابن رشيد وذويه وهزموهم شر هزيمة وأخذوا من الاموال والمتاع والابل والغنم مالا يحصى ، ولا يعد ولا يستقصى ، وأخذوا نحوا من عشرة أيام يغدون ويروحون الى المعركة يأخذون من الأموال والمتاع مالا يحظر بالبال ولا يدور في الخيال فله الحمد وله الشكر وله الثناء الحسن الجميل لانحصى ثناء عليه بل هو كما أثني على نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من خلقه

وأما زعمه أن عبد الرحمن بن فيصل تطاول على مخلص الدولة وصادقها ابن رشيد فنعم هو مخلصها وصادقها ونحن ان شاء الله مخلصون لله في عبادته الصادقون في جهاد أعدائه فانه هو وعمه الذين بغوا علينا فأبادهم الله تعالى بإيدنا فله الحمد لانحصى ثناء عليه وأما دعوى هذا العراقي نزوع الامام عبد الرحمن الى الأجانب ويعنى بالأجانب طائفة النصارى الانكلايز فعاذ الله من ذلك ويأبى الله والمؤمنون الا منابذتهم ومعاداتهم ومحاربتهم وكيف يكون ذلك وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) الآية وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فانه منهم) الآية وقال تعالى (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون) الآية . وانما ينزع اليهم ويتخذهم أولياء من حكم قوانينهم والتميزها على نفسه ونفذه في رعيته وجعل وزراءه ووكلاءه منهم ، وجعل لهم قناصل في أما كنه ودياره ، فنعوذ بالله من رين الذنوب ،

وانتكس القلوب ، وإذا تحقق المنصف ما ذكرناه ، واتضح له ما بيناه ، مما كن
وجرى من الامور بعد تلك الوقعات ، والدواهي المعضلات ، بقدم المشير أحمد
فيضي باشا بجنوده وعساكره وعسكر المدينة الى القصيم مما لو ذكره العراقي
لأوضحناه على جليته عرف أن البسالة كل البسالة التي يجب أن تشكر وتذكر ، وإن
ينشر ذكرها في الخافقين ولا ينكر ، مقامات الرئيس المفخم ، والمقدام المعظم ،
والهزبر الغشمشم ، عبدالعزيز بن الامام المكرم ، عبدالرحمن بن فيصل لا من نعمته
بها من ليس لها بأهل

لقد منّ مولانا وأفضل وارتنى
فشام المعالي وارتنها وأمّها
وبيض قراض يختلي الهام حدّها
فتى عمه العليا وشأو مرامها
فتى ليس يثني همه ومرامه
يخوض عباب الموت والموت ناغم
ويركب هول الخطب والخطب معضل
يرد لهام الجيش وهو عرمم
لقد فات أبناء الزمان وفاقهم
وجود وإقدام إذا احتنك الغضا
وأحجم أهلها بيوم عصبص
هناك لا تلقاء إلا كضيفم
ترى جثث الأبطال صرعى بغابه
كدا الملك الشهم الهمام فانما
ترى عافيات الطير يعصبن فوقه
وتتبعه غرثى السباع لعلها
وقد وثقت ان لا تعود خوامصاً

لنا ملكا منا سمي المناقب
بهمته العليا وجرد شواذب
وقود الهجان اليعملات النجائب
فأم إلى هاماتها والغوارب
طوال العوالي أو طوال السبابسب
إذا استعرت نار الوغى في الكتابب
وقد هابه شوس الملوك المصاعب
ويحطمه بالمرهفات السوابب
بنيل المعالي الساميات المراتب
وضاق بحال الصافيات السلاهب
به النقم يسمو كارتكالم السحابب
هزبر أبي شبلي حجن المخالب
تراوحها الاشبال من كل ساغب
كأمة العدى جزراله بالقواضب
لتحظى باشلاء العدو المشاغب
تروح بطاننا من لحوم المحارب
وان لها جزراً كأمة الكتابب

٥ — ضياء الشارق

فلنا المنى من بعد ان كادت العدى
بعبد العزيز بن الامام ابن فيصل
فلله من نذب همام مذهب
ومن المعى أحوذي ومصقع
يقود أسودا في الحروب ضياغما
حنيفية في دينها حنيفة
سما بهمو نحو المعالي سميدع
إذا هو أعطى ذمة لم يخس بها
فان رمت أخبارا له ووقائعا
وحربا وسل عنها مطيرا وغيرهم
فمزقهم أيدي سبا فتفرقوا
وما بين منكوب وقد خال انه
فما نال إلا الخزي والعار والردى
بلطف من المولى له وإعانة
وعز وإسعاف على كل من بغى
ونصر له بالرعب في كل مأزق
إذا أمّ أمراً واعتلى متسامياً
وما ذاك إلا أنه لا ترده
ولا غرو من هذا ولا بدع انما
ومن والد ساي الذرى ذي مائر
له فتكات بالاعادي شهيرة
أدام لنا ربي بهم كل بهجة
وسنة خير العالمين محمد
عليه صلاة الله ثم سلامه
وأصحابه والآل ما نحن راعد

تحيط بنا من كل قطر وجانب
حليف العلى نسل الكرام الأتاب
أغاظ العدى من عجمها والأعرب
بلغ بما قد شاءه في المقاب
تغير على الأعدا كأسد سواغب
وليس لهم إلا العلى من مآرب
أبي وفيّ فاضل ذو مناقب
وما كان ذا غدر وليس بكاذب
فسل شمرا عنها بصدق المضارب
من العجم والأعراب من كل ناكب
فما بين مقتول وما بين هارب
بقوته قد حاز كل المآرب
وآب حسيرا خاسئا غير راغب
على كثرة الأعدا له والمحارب
عليه وتسد يد لدى كل نائب
من الملك العلام مولي المواهب
تمزقت الأعداء من كل جانب
طوال العوالي أو طوال السباب
حواها من الشوس الكرام الأتاب
حسان وأخلاق يفاع المراتب
يقصر عن تعدادها كل كاتب
على السنن الحاوي لكل المطالب
نبي الهدى السامي لأعلى المناقب
بعدّ وميض البرق جنح الغياهب
وما انهل وبل من خلال السحائب

فصل

قال "عراقي :

عقيرة الوهابية

لما رأى ابن عبد الوهاب ان قاطني بلاد نجد بعيدون عن عالم الحضارة لم يزالوا على البساطة والسذاجة في الفطرة ، قد ساد عليهم الجهل حتى لم يبق للعلوم العقلية عندهم مكانة ولا رواج وجد هنالك من قلوبهم ماهو صالح لأن يزرع فيه بذور الفساد مما كانت نفسه تنزع اليه وتمنيه به من قديم الزمان ، وهو الحصول على رياسة عظيمة ينالها باسم الدين ، إذ كان لحاه الله يعتقد ان النبوات لم تكن الا رياسة وصل اليها دهاة البشر حتى ساعدتهم الظروف عليها بين ظهرا في قوم جاهلين ليس لهم من العلم نصيب ، وحيث ان الله تعالى قد أخرج باب النبوة بعد خاتم الانبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يجد للوصول الى أمنيته طريقا بين أولئك الانعام الا أن يدعي انه مجدد في الدين مجتهد في أحكامه فحمله هذا الامر أن كفر جميع طوائف المسلمين وجعلهم مشركين ، بل أسوء حالا ، وأشد كفرا وضلالا ، فعمد الى الايات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين الذين يزورون قبر نبيهم صلى الله عليه وسلم ويستشفعون به إلى ربهم نابذاً وراء ظهره كل ماخالف أمانيه الباطلة وسواته له نفسه بالسوء من أحاديث سيد المرسلين ، وأقوال أئمة الدين والمجاهدين حتى إنه لما رأى الاجماع مصادما لما ابتدئه أنكره من أصله وقال لا أرى للناس بعد كتاب الله الذي جمع فأوعى كل رطب ويابس وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

(والجواب أن يقال) ما أعظم جراءة هذا العراقي على الكذب وتعمد الفجور ، وقول الزور ، وهذه حال كل متمرد كفور ، وقد قدمنا من حال نشأة الشيخ ودعوته الى الله ما يبين افك هذا العراقي وتمرده وفجوره ، وانه انما أخذ هذه

المجنونات والحرقرة والا كاذيب والزندقة من كتب قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل، وأشربت قلوبهم عداوة هذا الدين وأهله ومن دعا إليه وكرهته وكرهاته من دان به ، فأخذوا يضعون هذه الاوضاع ليصدوا عن سبيل الله من آمن به ويبلغونها عوجاً ، ومن أعظم مقتريات هؤلاء الكفرة أعداء الله ورسوله حيث انبعث أشقاها ، وتفوه بما لفقوه أغواها ، حيث زعم ان الشيخ يزرع في قلوب أهل نجد بذور الفساد ، مما كانت نفسه تنزع إليه وتمنيه به من قديم الزمان وهو الحصول على رآسة عظيمة ينالها باسم الدين ، إذ كان يعتقد ان النبوات لم تكن إلا رآسة وصل إليها دهاة البشر حين ساعدتهم الظروف عليها بين ظهري قوم جاهلين

وهذا القول لا يقوله ويحكيه عن الشيخ من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه موقوف بين يدي الله تعالى وقد كان من المعلوم أن هذا الاعتقاد من عقائد الملاحدة الذين يقولون إن الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس بحيث يتوهمها اصواتا تخاطبه وربما قوي ذلك ببعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج وهذا يكون عندهم بتجرد النفوس عن العلائق واتصالها بالمفارقات من العقول والنفوس المجردة وهذه الخصائص تحصل عندهم بالاكتساب ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء ، وهؤلاء عندنا وعند الشيخ رحمه الله اكفر من اليهود والنصارى وابتعد عن الاسلام من غيرهم من طوائف الكفر

ولما توهم هذا الملحد أن الشيخ ينتحل هذا المذهب الملعون قال وحيث ان الله قد ارتج باب النبوة بعد خاتم الانبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يجد للحصول على امنيته طريقاً بين أولئك الانعام إلا أن يدعي انه مجدد في الدين مجتهد في أحكامه

فيقال لهذا الملحد قد كان من المعلوم بالضرررة من دين الاسلام وبما ورد في الكتاب والسنة أن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لا نبي بعده فمن توهم حصولها لأحد بعده فهو كافر ولكن قد أخبر صلى الله عليه وسلم « إن الله يبعث

لهذه الامة على رأس كل قرن من يجدد لها امر دينها » وفي الحديث « ما جعل الله من نبوة الا كانت بعدها قفرة » وهذا معلوم معروف عند أهل العلم كما قل الامام أحمد في خطبته « الحمد لله الذي جعل في كل زمان قفرة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون منهم على الاذى يحيون بكتاب الله الموتى ، ويصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لابلis قد أحيوه ، ومن ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أقبح أثر الناس عليهم » إلى آخر كلامه ، وقد شهد أهل العلم والفضل من أهل عصره أنه أظهر توحيد الله وجدد دينه ، ودعا اليه كما تقدم ذكره عن الامام حسين ابن غنام ومحمد بن اسماعيل الصنعائي ومحمد بن احمد الحفظي وغيرهم من علماء أهل الأمصار ، وقد كان من المعلوم عند كل عاقل خبير الناس وعرف أحوالهم ، وسمع شيئاً من أخبارهم وتواريخهم أن أهل نجد وغيرهم ممن تبع دعوة الشيخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب كانوا على غاية من الجهالة والضلالة ، والفقر والعالة ، لا يسترىب في ذلك عاقل ، ولا يجادل فيه عارف ، كانوا من أمر دينهم في جاهلية ، يدعون الصالحين ، ويعتقدون في الأشجار والاحجار ، والغيران يطوفون بقبور الأولياء ، ويرتجون الخير والنصر من جهتها ، وفيهم من كفر الاتحادية والحولية ، وجهالة الصوفية ما يرون أنه من الشعب اليمانية والطريقة المحمدية ، وفيهم من إضاعة الصلوات ، ومنع الزكاة ، وشرب المسكرات ما هو معروف مشهور ، فمحا الله بدعوة الشيخ شعار الشرك ومشاهده ، وهدم بيوت الكفر والشرك ومعابده ، وكبت الطواغيت والملحدین ، وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرى بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد والهدى ، وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفاء ، وأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وترك المنكرات ، ونهى عن الابتداع في الدين ، وأمر بمتابعة السلف الماضين في الاصول والفروع من مسائل الدين حتى ظهر دين الله واستعلن واستبان بدوته منهاج الشريعة والسنن ، وقام قائم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحدت الحدود الشرعية ، وعزرت التعازير الدينية ،

وانتصب علم الجهاد ، وقاتل لاعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد حتى سارت دعوته ، وثبت نصحه لله ، ولكتبه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وجمع الله به القلوب بعد شتاتها ، وتألفت بعد عداوتها ، وصاروا بنعمة الله اخواناً فاعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور ما لا يعرف مثله لسكان تلك الفياض والصخور ، وقهروا سائر العرب من عمان إلى عقبة مصر ، ومن اليمن إلى العراق والشام ، ودانت لهم عربها فأصبحت نجد تضرب اليها أكباد الابل في طلب الدنيا والدين ، وتمتخر بما نالها من العز والنصر والاقبال . وبالجملة فلا يقول مثل هذا في الشيخ رحمه الله إلا رجل مكابر لا يتحاشى من البهت والافتراء ، وإلى الله ترجع الامور ، وعنده تنكشف السرائر

ولما كان هذا العراقي الملقب من جملة من نشأ على عقائد الملاحدة أعداء الله ورسوله ومن نحأ نحوهم من المتكلمين الذين يزعمون أن العقل مقدم على النقل وأن نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنيية ، وأن معقولاتهم التي هي نحاتة الافكار ، وزبالة الأذهان ، وريح المقاعد هي البراهين اليقينية ، واعتقد أن من لم يكن على هذا المذهب الملعون أنه قد خرج عن عالم الحضارة ، ولم يزل على البساطة والسذاجة في الفطرة ، وقد كان من المعلوم أن جفاة العرب أسلم فطرة وأصح عقولا من هؤلاء الملاحدة ، ولذلك لما دخلوا في دين الله وعرفوا هذا الدين كانوا على طريقة السلف في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته ، وفي باب العمل والعبادة ، وتقديم كتاب الله وسنة رسوله على قول كل أحد كائناً من كان ، وجمع الله لمن طلب العلم منهم من العلوم والمعارف ما لا يعرفه هؤلاء من سائر العلوم والفنون مع أن كثيراً من علوم هؤلاء الخارجين عن طريقة أهل الاسلام من العلوم التي لا يستفيع بها في معرفة ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب ، إنما هي أوضاع اليونان والفلاسفة ، والمجوس والصابئين ، ولذلك كان الغالب على من دخل في هذه العلوم الحيرة والشك نعوذ بالله من الخروج عن الصراط المستقيم وأما قوله فحمله هذا الأمر أن كفر جميع طوائف المسلمين وجعلهم مشركين بل اسوأ حالا ، وأشد كفرأ وضلالاً - يعني - أن الشيخ ادعى انه مجدد لدين

الله مجتهد في أحكامه فحمله على أن كفر جميع طوائف المسلمين
فأقول : أما كونه مجتهداً لدين الله فهو من المعلوم بالضرورة ولا ينكره إلا
مكابر في الحسيات ، مباحث في الضروريات ، وأما كونه كفر جميع طوائف
المسلمين فجعلهم مشركين ، فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب ووقاحة تامة
وفي الحديث «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»
وصريح هذه العبارة أن الشيخ كفر جميع هذه الامة من المبعث النبوي إلى قيام
الساعة ، وهل يتصور هذا عاقل قد عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا اليه ،
بل كان من المعلوم أن هذا العراقي كان لا يعرف ما جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم من دين الاسلام ، ولو كان يعرف دين الاسلام لما تجاوز به هذه المجازفة ،
ومحرق بهذه الخرقه المارجة ، والشيخ رحمه الله لا يعرف له قول انفرد به عن
سائر الامة ، بل ولا عن أهل السنة والجماعة منهم ، وجميع أقواله في هذا الباب
أعنى مادعا اليه من توحيد الاسماء والصفات ، وتوحيد العمل والعبادات مجمع عليه
عند المسلمين لا يخالف فيه إلا من خرج عن سبيلهم ، وعدل عن منهاجهم كالجهمية
والمعتزلة ، وغلاة عباد القبور ، بل قوله مما أجمعت عليه الرسل ، واتفقت عليه
الكتب كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ما جاؤا به وتصوره ، ولا يكفر إلا
على هذا الاصل بعد قيام الحجة المعتبرة فهو في ذلك على صراط مستقيم متبع
لامتدع ، وهذا كتاب الله وسنة رسوله ، وكلام أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى معروف مشهور مقرر في محله في
حكم من عدل بالله وأشرك به ، وتقسيمهم الشرك إلى أكبر وأصغر ، والحكم على
المشرك الشرك الأكبر ، بالكفر مشهور عند الامة ، لا يكابر فيه إلا جاهل
لا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم وما جاءت به الرسل وقد أفرد هذه المسألة
بالتصنيف غير واحد من أهل العلم وحكى الاجماع عليها وأنها من ضروريات
الاسلام كما ذكره تقي الدين بن تيمية وابن قيم الجوزية وابن عقييل وصاحب
الفتاوى البرازية وصنع الله الحلبي والمقرزي الشافعي ومحمد بن حسين النعمي
الزبيدي ومحمد بن اسماعيل الصنعاني ومحمد بن علي الشوكاني وغيرهم من أهل

العلم . والشيخ رحمه الله لم يكفر طوائف المسلمين وإنما كفر طوائف المشركين والخارجين المارقين من دين الاسلام ، فان الأحداث لاتزال موجودة في الامة تقل وتكثر من عهد الصحابة إلى أن تقوم الساعة ، فقد كفر الصحابة رضي الله عنهم من كفروه من أهل الردة على اختلافهم ، وكفر علي الغلاة ، وكفر من بعدهم من العلماء القدرية ونحوهم كتكفيرهم للجهمية ، وقتلهم لجعد بن درهم وجهم ابن صفوان ، ومن على رأيهم وقتلهم للزنادقة ، وهكذا في كل قرن وعصر من أهل العلم والفقه والحديث طائفة قائمة تكفر من كفره الله ورسوله وقم الدليل على كفره لا يتحاشون عن ذلك ، بل يرونه من واجبات الدين وقواعد الاسلام وفي الحديث « من بدل دينه فاقتلوه » وبعض العلماء يرى أن هذا والجهاد عليه ركن لا يتم الاسلام بدونه ، وقد سلك سبيلهم الأئمة الأربعة المقلدون وأتباعهم في كل عصر ومصر . وكفروا طوائف أهل الأحداث كالقرامطة والباطنية ، وكفروا العميد بين ملوك مصر وقتلوه وهم يبنون المساجد ، ويصلون ، ويؤذنون ويدعون نصر أهل البيت . وصنف ابن الجوزي كتاباً سماه « النصر على مصر » ذكر فيه وجوب قتالهم وردتهم ، وأن دارهم دار حرب ، وقد عتمد الفقهاء في كل كتاب من كتب الفقه المصنفة على مذاهبهم باباً مستقلاً في حكم أهل الأحداث التي توجب الردة وسماه أكثرهم باب الردة وعرفوا المرتد بأنه الذي يكفر بعد اسلامه . وذكروا أشياء دون مانحن فيه من المكفرات حكموا فيه بكفر فاعلمها ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم فما المانع من تكفير من أشرك بالله وعدل به سواء ، واتخذ معه الآلهة والانداد ، وإنما يهمل هذا من لم يؤمن بالله ورسوله ، ولم يعظم أمره ، ومن لم يسلك صراطه ، ولم يقدر الله ورسوله حق قدره ، بل ولا قدر علماء الامة وأئمتها حق قدرهم

وأما قوله فعمد إلى الآيات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين الذين يزورون قبر نبيهم صلى الله عليه وسلم ويستشفعون به إلى ربهم نابذاً وراء ظهره كل ماخالف أمانيه الباطلة ، وسوات له نفسه الامارة بالسوء من أحاديث سيد المرسلين ، وأقوال أئمة الدين والمجاهدين

فالجواب أن يقال هذا كذب على الشيخ فإنه ما عمد إلى الآيات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين ، وإنما استدل بالآيات القرآنية النازلة في المشركين وجعلها عامة شاملة لمن أشرك بالله وعدل به سواء وبذل دينه ، وفعل كما فعل المشركون من صرف خالص حق الله لمن أشركوا به واتخذوهم شفعا ، من دونه ، وسيأتي الكلام على هذا في محله ان شاء الله تعالى وقوله نابذاً وراء ظهره إلى آخره

أقول إنما نبذ وراء ظهره كل ما خالف كتاب الله وسنة رسوله وخالف أقوال أئمة الدين المجتهدين وهو - والله الحمد - متبعم لا مبتدع ، وإنما أمانه القيام بأوامر الله وشرعه ، ودينه ، ودعوة الناس إلى ذلك ، والجهاد على ذلك ، ولم تسول له نفسه ما يخالف الكتاب والسنة ، وإنما قام أشد القيام في اتباع الكتاب والسنة ورد ما خالفهما ، وترك ما ألغى أعداء الله ورسوله الزنادقة من الأحاديث المكذوبة الموضوعة ، وإذا لم يجد في كتاب الله وسنة رسوله شيئاً اعتمد على أقوال أئمة الدين والعلماء المجتهدين ، وذلك معروف في رسائله ومصنفاته ولا ينكره إلا كابر وأما قوله حتى أنه لما رأى الإجماع صادماً لما ابتدعه أنكره من أصله

فأقول ما أنكر الشيخ إلا إجماع أهل الكفر بالله والأشراك به على عبادة غير الله وجعلهم معه آلهة وأنداداً يستغيثون بهم ويلجئون إليهم في الرغبات والرهبات والطلبات ويطلبون منهم تفرج الكربات وأغاثة اللهفات ويصرفون لهم خالص حق الله من الدعاء والحب والتعظيم والخوف والرجا والتوكل والابانة والاستغاثة والذبح والنذر والاتجا ، وسائر أنواع العبادة التي صرفها المشركون لغير الله ، وخرق هذا الإجماع واجب على كل مسلم وليس هذا هو الإجماع الذي يشير اليه العلماء الذي من خالفه فقد ضل وإنما هذا هو إجماع من ضل عن الصراط المستقيم وهم الأكثرون كما قال الله تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) ، وقال تعالى (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله) . وقال تعالى (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) ، وقال تعالى (لقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين)

وأما قوله ولا أرى للناس بعد كتاب الله الذي جمع فأوعى كل رطب وريابس وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين قوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

فأقول هذا الكلام بهذا اللفظ لا يثبت عن الشيخ ولم يرد في شيء من كتبه ولا في كلامه ولا في رسائله بل الذي في كتبه ومصنفاته الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة . قال رحمه الله تعالى في مصنفه (أصول الإيمان) باب الوصية بكتاب الله عز وجل . وقول الله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال « وأهل بيتي » وفي لفظ « كتاب الله هو حبل الله من أتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة » رواء مسلم وله في حديث جابر الطويل انه صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم عرفة « وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ان اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك قد بلغت واديت ونصحت قال بأصبعه السبابة يرفعه إلى السماء وينكبها إلى الناس « اللهم اشهد » ثلاث مرات وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انها ستكون فتنة » فقلنا ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به إلا هواء ولا تلتبس به إلا لسة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » رواه الترمذي وقال غريب هو عن أبي الدرداء مرفوعا قال « ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو

حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن ينسي شيئاً وما كان ربك نسياً ، رواه البزار وابن أبي حاتم والطبراني الى آخر الباب — ثم قال باب تحريضه صلى الله عليه وسلم على لزوم السنة والترغيب في ذلك وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك ، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة فقال رجل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا » قال وصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم فسبري اختلافاً كبيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » صححه الترمذي ، ولمسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه وسلم « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه « كل أمي يدخلون الجنة الا من أبي » قيل ومن أبي؟ قال « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي » الى آخر الباب وله مصنفات ورسائل مملوءة بكلام الأئمة المهتدين والعلماء المجتهدين وله مختصر الشرح الكبير والأصناف على مذهب أحمد ولكن الهوى يعمي ويصم

وأما قوله وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى) الآية

فالجواب أن نقول ان اتباع سبيل المؤمنين لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله والاجماع لا يخالف ما أمر الله به ورسوله فمن خرج عن كتاب الله وسنة رسوله لم يكن من المؤمنين ، واتباع سبيل المؤمنين هو تقديم كتاب الله وسنة رسوله على قول كل أحد كائناً من كان ، قال الامام الشافعي رحمه الله أجمع الناس على أن من استبان له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائناً من كان وقد اتبع رحمه الله سبيل المؤمنين فبكان على ما كان عليه السلف الصالح والأئمة المهتدون في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وباب العمل والعبادة لا يخالفهم في ذلك لكن من خرج عن سبيلهم وعدل عن منهاجهم كالجمية والمعتزلة وغلاة

عباد القبور وكان في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله كما هو مشهور في الرسالة التي اختصرت لأهل مكة قال : ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والأمامية ونحوهم ولا نقرهم على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة ولا نستخف بمرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها إلا أننا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب كأثر الجد والاخوة فانا تقدم الجد وان خالف مذهب الحنابلة ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض الا اذا طلعتنا على نص جلي كذلك مخالف لمذهب بعض الأئمة وكانت المسألة مما يحصل به شعار ظاهر كإمام الصلاة فأمر الحنفي والمالكي بالمحافظة على نحو الطائفة في الاعتدال والجلوس بين السجدين لوضوح دليل ذلك بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة وشتان بين المسألتين فاذا قوي الدليل أمرناهم للنص وأن خالف المذهب وذلك انما يكون نادراً جداً ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في المسائل مخالفين للمذهب ملتزمين تقليد صاحبه انتهى

وأما قوله على أنه لم يأخذ من كتاب الله إلا ما نزل في المشركين من الآيات فأولها ظلم منه وتجاسراً على الله تأويلاً يسهل له الحصول على أمنيته وذلك بأن حماها على المسلمين فكفرهم منذ ستائة عام وهدر دماءهم ، وأباح أموالهم ، وجعل بلادهم بلاد حرب

(فالجواب أن تقول) قد تقدم الجواب عن هذا فلا فائدة في الجواب عنه وما نعلم أن له أمنية في دعوته الخلق الى الله يتمنى حصولها إلا أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأن يخلعوا الانداد التي اتخذها المشركون أولياء من دونه (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم واتبعوا أهواءهم بغير علم ومن أضل ممن اتبع أهواءه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين) والله الهادي الى صراط مستقيم

(وأما قوله) وقد قل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل كما في الصحيحين « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله » الحديث وفي الصحيحين من حديث عمر « بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله » الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم لو قد عبد القيس « أمركم بالإيمان بالله وحده ؟ أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله » الحديث كما في الصحيحين وقوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم « كفوا عن أهل لا إله إلا الله » انتهى

مراده بإيراد هذه الأحاديث أن من أتى بناقض من نواقض لا إله إلا الله كدعاء الغائبين والاموات والنذر لهم والذبح أنه لا يكفر (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) وسيأتي الكلام عليها في محلها فيما بعد إن شاء الله تعالى

فصل

قال العراقي الملهد ومن عجيب أمره أنه يموه على الناس بدعوى توحيد الله وتنزيهه قائلاً إن التوسل بغير الله شرك مع أنه يفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل الجلوس عليه ويثبت له اليد والوجه والجهة ويقول بصحة الإشارة إليه في السماء ويدعي أن نزوله إلى السماء الدنيا حقيقة فيجسمه (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) . فإين تنزيه الله تعالى بعد جعله جسماً يشترك معه حتى أخس الجمادات وفي ذلك من التنقص والازراء بالوهيته سبحانه ما هو منزّه عنه

فالجواب أن يقال لهذا الجهمي المشرك بالله في عبادته النافي لصفاته ونعوت جلاله قد بينا فيما تقدم أن الشيخ لا يكفر بمجرد التوسل الذي يعرفه أهل العلم من لفظ التوسل . وأما التوسل باصطلاح هؤلاء الغلاة فسيأتي الكلام عليه في محله إن شاء الله تعالى

وأما قوله مع أنه يفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل الجلوس عليه (فالجواب أن نقول) قد جاء الخبر بذلك عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضي الله عنه الذي ضرب الله الحق على لسانه كما رواه الامام عبد الله بن الامام
أحمد بن حنبل في كتاب السنة له في الرد على الجهمية قل حدثني أبي وعبد الأعلى
ابن حماد النمرسي قالا حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبي اسحاق
عن عبد الله بن خليفة عن عمر قال : اذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع
له أطيط كأطيط الرجل الجديد، وهذا الحديث حدث به أبو اسحاق السبيعي مقررًا
له كغيره من أحاديث الصفات وحدث به كذلك سفيان الثوري وحدث به
أبو أحمد الزيري وكشد بن أبي بكر ووكيع عن اسراييل ورواه أبو عبد الرحمن
عبد الله بن أحمد بن حنبل أيضا عن أبيه حدثنا وكيع بحديث اسراييل عن أبي
اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه : اذا جلس الرب على الكرسي
فاقشعر رجل سماه أبي عند وكيع فغضب وكيع وقل أدركنا الاعمش وسفيان
يحدثون بهذا الحديث ولا ينكرونه قلت وهذا الحديث صحيح عند جماعة من
المحدثين أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي وإذا كان هؤلاء الأئمة أبو اسحاق
السبيعي والثوري والاعمش واسراييل وعبد الرحمن بن مهدي وأبو أحمد الزيري
ووكيع وأحمد بن حنبل وغيرهم ممن يطول ذكرهم وعددهم الذين هم سرج الهدى
ومصابيح الدجى قد تلقوا هذا الحديث بالقبول وحدثوا به ولم ينكروه ولم يطعنوا
في اسناده فمن نحن حتى ننكره ونتحذلق عليهم بل نؤمن به . قال الامام أحمد
لا نزيل عن ربنا صفة من صفاته بشناعة شنت وان نبت عنه الاسماع فانظر
الى وكيع بن الجراح الذي خلف سفيان الثوري في علمه وفضله وكان يشبه به في
سمته وهديه كيف انكر على ذلك الرجل وغضب لما رآه قد تلون لهذا الحديث
وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية

واذكر كلام مجاهد في قوله	أقم الصلاة وتلك في سبحان
في ذكر تفسير المقام لأحمد	ما قيل ذا بالرأي والحسبان
ان كان تجسما فان مجاهداً	هو شيخهم بل شيخه الفوقاني
ولقد أتى ذكر الجلوس به وفي	أثر رواه جعفر الرباني
أعني ابن عم نبينا وبغيره	أيضاً أتى والحق ذو تبيان

والدارقطني الامام يثبت ان آثار في ذا الباب غير جبان
وله قصيد ضمنت هذا وفيها لست المروي ذا نكران
وجرت لذلك فتنة في وقته من فرقة التعطيل والعدوان
والله ناصر دينه وكتابه ذا حكمه مذ كانت الفتان
وهذا نص الأبيات التي أشار اليها ابن القيم رحمه الله تعالى من كلام
الدارقطني رحمه الله تعالى .

حديث الشفاعة في أحمد الى أحمد المصطفى نسنده
وأما حديث باقعاده على العرش أيضا فلا نجحده
فلا تنكروا أنه قاعد ولا تنكروا أنه يقعه
أمروا الحديث على وجهه ولا تدخلوا فيه ما فسده
فاذا ثبت هذا عن أئمة أهل الاسلام فلا عبرة بمن خالفهم من الطغام أشباه الانعام
وأما قوله ويثبت له اليد والوجه ويقول بصحة الإشارة اليه في السماء
(فالجواب أن نقول) نعم قد كان الشيخ محمد رحمه الله واتباعه يثبتون اليد
والوجه لله تعالى ويصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وما وصفه به
السابقون الأولون لا يتجاوزون القرآن والحديث كما قال الامام احمد رضي الله
عنه لا يوصف الله إلا بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم
لا يتجاوز القرآن والحديث، ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه
وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم
أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا احاجي بل معناه
يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لاسيما اذا كان المتكلم أعلم الخلق
بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة
والارشاد وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لافي نفسه المذكورة باسمائه
وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة
فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في
أفعاله فكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله منزّه عنه حقيقة فالله سبحانه مستحق

تملك الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لا امتناع العدم عليه واستمرار الحدوث
سابقة العدم ولافتقار المحدث إلى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى
ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه
كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله
فيعلمون أسماء وصفاته العليا ويحرفون الكلام عن مواضعه ويلحدون في أسماء
الله وآياته فإذا عرفت هذا فإنا نثبت لله اليد كما أثبتها لنفسه كما قال تعالى (وقالت
اليهود يد الله مغلوطة غلت أيديهم واعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف
يشاء) وقال تعالى (يا بليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال تعالى
(يد الله فوق أيديهم) وقال تعالى (والسماوات مطويات بيمينه) إلى غير ذلك
من الآيات ونثبت أن لله وجهها كما قال تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وقوله
(ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقوله (فاينما تولوا فثم وجه الله) إلى
غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه « أنت
موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده » وفي لفظ « وكتب لك
التوراة بيده » وقال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم « وغرس كرامة أوليائه
في جنة عدن بيده » وقوله صلى الله عليه وسلم « تكون الأرض يوم القيامة خبزة
واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفى أحدكم خبزته في سفره نزلا لأهل الجنة »
ومثل أحاديث آخر « بيده الأمر والخير في يدك - والذي نفس محمد بيده - وإن
الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل »
وقوله « المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين » وقوله
« يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين
الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون
أين المتكبرون » وقوله « يمين الله ملائ لا يغيبها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم
ما انفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء وبيده
الأخرى القسط بخفض ويرفع » وكل هذه الأحاديث في الصحاح

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال « ان الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه »

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنتان من ذهب آيتهما وما فيها وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » رواه البخاري ، والاحاديث في هذا المعنى كثيرة

وقول الامام عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية : لما فرغ المريسي من انكار اليدين ونفيهما عن الله عز وجل أقبل قبل وجه الله ذي الجلال والاكرام ينفيه عنه إلى ان قال : واستمر الجحود به حتى ادعى ان وجه الله الذي وصفه بانه ذو الجلال والاكرام مخلوق لانه ادعى انه أعمال مخلوقة يتوجه بها اليه وثواب وانعام مخلوق يشيب به العامل وزعم انه قبلة الله وقبلة الله لاشك مخلوقة ثم ساق الكلام في الرد عليه وان القول بأن لفظ الوجه مجاز باطل . انتهى

(وأما الجهة) فقال شيخ الاسلام في المنهاج : فان مسمى لفظ الجهة يراد به أمر وجودي كالفلك الأعلى ويراد به أمر عدي كما وراء العالم ، فان أريد الثاني ان يقال كل جسم في جهة ، واذا أريد الاول امتنع أن يكون كل جسم في جسم آخر ، فمن قال الباري في جهة وأراد بالجهة أمرا موجودا فكل ما سواه مخلوق له في جهة بهذا التفسير فهو مخطيء ، وان أراد بالجهة أمرا عديا وهو مافوق العالم وقال ان الله فوق العالم فقد أصاب ، وليس فوق العالم موجود غيره فلا يكون سبحانه في شيء ، من الموجودات ، وأما اذا فسرت الجهة بالامر العدي فالعدم لاشي . وهذا ونحوه من الاستفسار وبيان ما يراد به اللفظ من معنى صحيح وباطل يزيل عامة الشبه ، فاذا قال نافي الرؤية لو روي المكان في جهة وهذا ممتنع ، فالرؤية ممتنعة ، قيل له : ان أردت بالجهة أمرا وجوديا فالمقدمة الاولى ممنوعة ، وان أردت بالجهة أمرا عديا فالثانية ممنوعة ، فيلزم بطلان أحد المقدمتين على

كل تقدير ، فتكون الحجة باطلة ، وذلك انه ان أراد بالجهة أمرا وجوديا لم يلزم ان كل مرئي في جهة وجودية ، فان سطح العالم الذي هو أعلاه ليس في جهة وجودية ومع هذا تجوز رؤيته فانه جسم من الاجسام فبطل قولهم كل مرئي لابد أن يكون في جهة ان أراد بالجهة أمرا وجوديا ، وان أراد بالجهة أمرا عدميا منع المقدمة الثانية ، فانه اذا قال الباري ليس في جهة عدمية وقد علم ان العدم ليس بشيء كان حقيقة قوله ان الباري لا يكون موجودا قائما بنفسه حيث لا موجود إلا هو وهذا باطل ، وان قال أحد يستلزم أن يكون جسما أو متحيزا عاد الكلام معه في مسمى الجسم المتحيز ، فان قال هذا يستلزم أن يكون مركبا من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة وغير ذلك من المعاني الممتنعة على الرب لم يسلم له هذا التلازم ، وان قال يستلزم أن يكون الرب يشار اليه برفع الأيدي في الدعاء ، وتخرج الملائكة والروح اليه ، ويعرج محمد صلى الله عليه وسلم اليه ، وتنزل الملائكة من عنده ، وينزل منه القرآن ونحو ذلك من اللوازم التي نطق بها الكتاب والسنة وما كان في معناها ، قيل له لانسلم انتفاء هذه اللوازم ، فان قال : ما استلزم هذه اللوازم فهو جسم ، قيل ان أردت انه يسمى جسما في اللغة والشرع فهذا باطل ، وأن أردت أن يكون جسما مركبا من المادة والصورة أو من الجواهر المركبة ، فهذا أيضا ممنوع في العقل فانما هو جسم باتفاق العقلاء كالاكسام لانسلم انه مركب بهذا الاعتبار كما قد بسط في موضعه وتام ذلك بمعرفة البحث العقلي في تركيب الجسم الاصطلاحي من هذا وهذا ، وقد بسط في غير هذا الموضع وتبين به ان قول هؤلاء ، وهؤلاء باطل مخالف للأدلة العقلية القطعية . انتهى ، وقال في كتابه (موافقة العقل الصحيح للنقل الصحيح) وكذلك إذا قالوا ان الله منزله عن الحدود والأحياز والجهات أو هموا الناس بأن مقصودهم بذلك انه لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات وهذا المعنى صحيح ومقصودهم انه ليس مبائنا للخلق ، ولا منفصلا عنه ، وانه ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله وان محمدا لم يعرج به اليه ولم ينزل شيئا ولا يصعد اليه شيء ولا يتقرب اليه شيء ولا ترفع الأيدي اليه في الدعاء ولا غيره وغير ذلك من معاني الجهة ، واذا قالوا انه ليس

بجسم أو هموا الناس انه ليس من جنس المخلوقات ولا مثل أبدان الخلق وهذا المعنى صحيح ، ولكن مقصودهم بذلك انه لا يرى ولا يتكلم بنفسه ولا تقوم به صفة ولا هو مبائن للخلق وأمثال ذلك . انتهى

فاذا تبين هذا وتحققته فهذه الألفاظ لم يرد بها نص عن رسول الله صلى عليه وسلم ولا عن أصحابه ولا عن السلف الصالح ولا الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة الحديث فاذا انضح لك هذا فلفظ الجهة لا تثبته مطلقا ولا تنفيه مطلقا ، لانه محتمل لمعنيين باطل وصحيح ، فمن أطلقه نفيا أو اثباتا سئل عما أراد به ، فان قال أردت بالجهة انه منزّه عن جهة وجودية تحيط به وتحويه احاطة الظرف بالمظروف ، قيل له نعم هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى ، ولكن لا يلزم من كونه على عرشه هذا المعنى ، وان أراد بالجهة أمراً يوجب مباينة الخالق للمخلوق وعلاوه على خلقه واستواءه على عرشه ، فنفيه بهذا المعنى باطل ، وتسميته جهة اصطلاحية منه توصل به الى نفي ما دل عليه العقل والنقل فسمى ما فوق العالم جهة وقال منزّه عن الجهة اه وبهذا يندفع عنا ما ألزمننا به من لم يعرف حقيقة ما عندنا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

وأما قوله : ويقول بصحة الاشارة اليه في السماء

(فالجواب أن تقول) نعم نقول به ونعتقد وندين الله به ونشهد الله وملائكته وجميع خلقه على اعتقاد ذلك ، عليه نحى وعليه نموت وعليه نبعث ان شاء الله تعالى لأنه ليس في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الاهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصاً ولا ظاهراً ولم يقل أحد منهم قط ان الله ليس في السماء ولا انه ليس على العرش ولا انه بذاته في كل مكان ولا ان جميع الامكنة بالنسبة اليه سواء ولا انه لا داخل العالم ولا خارجه ولا منفصل عنه ولا متصل ، ولا انه لا تجوز الاشارة اليه بالأصابع ونحوها ، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول صلى الله

عليه وسلم جعل يقول « ألا هل بلغت ؟ » فيقولون : نعم ، فيرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول « اللهم اشهد » غير مرة

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في اعلام الموقعين في بيان رد الجهمية للنصوص المحكمة: الثالث عشر الاشارة اليه حسا الى العلو كما أشار اليه من هو أعلم به وما يجب له ويمتنع عليه من افراخ الجهمية والمعتزلة والفلاسفة في أعظم مجمع على وجه الارض برفعه أصبعه الى السماء ويقول « اللهم اشهد » يشهد الجمع ان الرب الذي أرسله ودعا اليه واستشهده هو الذي فوق سموانه على عرشه . انتهى

فتبين من هذا ان هذا المذهب الملعون — أعني انكار الاشارة اليه بالأصبع الى السماء — مذهب افراخ الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وقد استدل هذا الملحد بكلام شيخ الاسلام وابن القيم على عدم تكفير أهل الاهواء ورأى أنهما من العلماء المجتهدين الذين يعمل بأقوالهم ، فاذا لم يكن ما قاله هنا حقا انتقض عليه الاستدلال بكلامهما هنالك

وقوله : ويدعي ان نزوله الى السماء الدنيا حقيقة فيجسمه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . فأين تنزيه الله تعالى بعد جعله جسماً يشترك فيه معه أخس الجمادات وفي ذلك من النقص والازراء بألوهيته سبحانه ما هو منزّه عنه

فالجواب أن تقول : نعم قد ثبت ذلك بالكتاب والسنة وأجمع على ذلك أهل السنة والجماعة ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أحاديث النزول في الصواعق المرسلة وذكر من كلام الأئمة ومن الاجوبة العقلية والنقلية ما يكفي ، وذكر في حادي الأرواح الاحاديث الواردة في ذلك ، فمن أراد الوقوف عليها فليراجعها وذكر هنا شيئاً يسيراً من كلام الأئمة ليتبين لهذا الجاهل انه قد اتبع سبيل افراخ الجهمية والفلاسفة والمعتزلة وانه قد حاد عن سبيل المؤمنين :

قال شيخ الاسلام قال أبو عبدالله محمد بن عبدالله الدميني الامام المشهور من أئمة المالكية في كتابه الذي صنّفه في أصول السنة في باب الايمان بالنزول قال : ومن قول أهل السنة ان الله ينزل الى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حداً ، وذكر الحديث من طريق مالك وغيره الى أن قال : وأخبرني

وهب عن ابن وضاح عن الزهري عن ابن عباد قال : ومن أدركت من المشايخ مالك وسفيان وفضيل بن عياض وعيسى^(١) بن المبارك ووكيع كانوا يقولون ان النزول حق . قال ابن وضاح : وسألت يوسف بن عدي عن النزول قال نعم أو من به ولا أحد فيه حداً . وسألت عنه ابن معين فقال نعم أو من به ولا أحد فيه حداً . اهـ وقال أبو عثمان الصابوني فلما صح خبر النزول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا تشبيهها له بنزول خلقه وعلموا وعرفوا وتحققوا واعتقدوا ان صفات الرب تبارك وتعالى لا تشبه صفات الخلق كما ان ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً ، ولعنهم الله لعنا كثيراً ، وقال الامام العارف معمر بن أحمد الاصبهاني شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة قل : أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة ، وموعظة من الحكمة ، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر بلا كذب ، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها : وان الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول ، وانه عز وجل بائن عن خلقه والخلق منه بائون بلا حلول ولا مازجة ، ولا اختلاط ولا ملاصقة ، لانه الفرد البائن من الخلق الواحد الغني عن الخلق وان الله عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضي ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فأستجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر ، ونزول الرب الى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة على هذا . اهـ

وقال الشيخ الامام ابو بكر احمد بن هارون الخلال في كتاب السنة حدثنا ابو بكر الاثرم حدثنا ابراهيم بن الحارث يعني العبادي حدثنا الليث بن يحيى قال سمعت ابراهيم ابن الاشعث قال : ابو بكر - هو صاحب الفضيل - قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو لأن الله تعالى

(١) كذا في الاصلين وفي هامش أحدهما . وأظنه عبد الله

وصف نفسه فبلغ فقال (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة تبلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول والضحك ، وهذه المباهاة ، وهذا الاطناع كما يشاء أن ينزل ، وكما يشاء أن يباهي ، وكما يشاء أن يضحك ، وكما يشاء أن يطلع . فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف ، فإذا قل الجهمي أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل ، بل أو من برب يفعل ما يشاء . ونقل هذا عن الفضيل جماعة منهم البخاري في كتاب خلق أفعال العباد انتهى

وقال الامام أبو عبدالله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه اعتقاد التوحيد في اثبات الاسماء والصفات قال : ومما نعتقده أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيسط يده فيقول هل من سائل الحديث . وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه الأبانة في أصول الديانة ، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه . فقال فصل في ابانة قول أهل الحق والسنة ، فان قال قائل قد انكر ، ثم قول المعتزلة والقدريّة والجهمية ، والحرورية ، والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون ، قيل له قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا ، وسنة نبينا ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبدالله احمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته قائلون وما خالف قوله ، مخالفون لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ، ورفع به الضلالة ، وأوضح به المنهاج ، وقع به بدعة المبتدعين ، وزيع الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمه الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم ، إلى أن قال : وإنه مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وإب له وجهاً كما قال (ويمنى وجه ربك ذوا الجلال والاكرام) وأن له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدي ، وقال بل يدها مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء ، إلى أن قال ونصدق بجميع الروايات التي أثبتتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا ، وإن الرب عز وجل

يقول : هل من سائل ، هل من مستغفر . وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قال :
أهل الزيف والتضليل انتهى

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المعروف بنقض عثمان بن سعيد على
المريسي الجهمي العنيد فيما اقترى على الله في التوحيد . قال : وادعى المعارض
أيضاً أن قول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يمضي
ثلث الليل فيقول هل من مستغفر ، هل من تائب ، هل من داع قل فادعى ان
الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته وهو على العرش ، وبكل مكان من غير
زوال لأنه الحي القيوم ، والقيوم بزعمه من لا يزول ، قال : فيقال لهذا المعارض ،
وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان ، ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ،
لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال النبي صلى الله
عليه وسلم يحد لنزوله الليل دون النهار ، ويوقت من الليل شطره أو الاسحار ،
فأمره ورحمته يدعو العباد إلى الاستغفار ، أو بقدر الأمر والرحمة أن يتكلموا
دونه فيقولوا هل من داع فأجيبه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فأعطيه ،
فإن قررت مذهبك لزمك أن تدعي أن الرحمة والأمر هما اللذان يدعوان إلى
الاجابة والاستغفار بكلامه دون الله وهذا محال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء ،
قد علمتم ذلك ولكن تكابرون ، وما بال رحمة وأمره ينزلان من عنده شطر
الليل ، ثم يمشان إلى طلوع الفجر ، ثم يرفعان لأن رفاعة راويه يقول في حديثه
حتى ينفجر فجر ، قد علمتم إن شاء الله أن هذا التأويل باطل ولا يقبله إلا
جاهل ، وأما دعواك أن تفسير القيوم الذي لا يزول من مكانه ولا يتحرك ، فلا
يقبل منك هذا التفسير إلا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو عن بعض أصحابه ، أو التابعين لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك اذا
شاء ، ويهبط ويرتفع اذا شاء ، ويقبض ، ويبسط ، ويقوم ، ويجلس اذا شاء ،
لأن أماره ما ين الحى والميت التحرك كل حى متحرك لا محالة ، وكل ميت غير
متحرك لا محالة ، ومن يلتفت إلى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة
ورسول رب العزة ، إذ فسر نزوله مشروعا منصوصا ، ووقت نزوله وقتا

مخصوصاً لم يدع لك ولا لأصحابك فيه لعباً ولا عويصاً انتهى . ولو ذهبنا ننقل أقوال العلماء أهل السنة والجماعة المتفق على إمامتهم ودرأيتهم لطال الكلام ، وبما ذكرناه يندفع الخصام ، وينجلي تلبس هؤلاء الجهلة الطغام ، فنقتصر على ما ذكر من كلام أئمة الاسلام

وأما قوله فيجسمه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

فيقال في جوابه انك أيها الضال المضل لا تفهم من كون الله على العرش إلا ما ثبت لأي جسم كان على أي جسم كان ، وهذا الكلام اللازم بعينه تابع لهذا المفهوم ، وأما استواء يليق بجلال الله ، ونزول ، وهبوط ، وارتفاع يليق بجلال الله ويختص به ، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم سائر الاجسام ، وصار هذا مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع ، فاما أن يكون جوهرأ أو عرضاً ، وكلاهما محال إذ لا يعقل موجود إلا هذان

وقوله اذا كان مستويًا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير ، والفلك إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا ، فان كليهما مثل ، وكلاهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه ، وامتاز الاول بتعطيل كل اسم لاستواء الحقيقة . وامتاز الثاني باثبات استواء هو من خصائص المخلوقين ، والقول الفاصل هو ما عليه الامة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به ، ونزول وارتفاع يليق به ويختص به ، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، وانه سميع بصير ونحو ذلك — ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التي كعلم المخلوقين وقدرتهم — فكذلك هو سبحانه فوق العرش وينزل منه كل آخر ليلة إلى سماء الدنيا ولا يثبت افوقيته ، ونزوله وصعوده خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ، ونزوله وصعوده وملزوماتها

وأما زعمه أنا نجسمه اذا اثبتنا ما اثبتته الله لنفسه فهذا ليس بيدع من ألقاب أهل الضلال ثم اعلم أنه ليس أحد منا يقول إن الله جسم فان هذا اللفظ عندنا مبتدع محدث في الاسلام لم يقل به أحد من السلف الصالح والصدر الأول وأول مآظير اطلاق لفظ الجسم من متكلمة الشيعة كهشام بن الحكم كذا نقل ابن حزم

وغيره قال أبو الحسن الأشعري في كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف النصابين
 اختلف الروافض أصحاب الأمامية في التجسيم وهم ست فرق (فالفرقة الاولى)
 الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضي يزعمون أن معبودهم جسم وله نهاية
 وحد طويل عريض عميق طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه لا يرفي بعضه عن
 بعض وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار في مكان دون مكان كالسبيكة
 الصافية يتلألؤ كالؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ذوا لون وطعم ورائحة ومجسة
 وذكر كلاما طويلا . (والفرقة الثانية) من الرافضة يزعمون أن ربهم ليس بصورة
 ولا كالأجسام وإنما يذهبون في قولهم إنه جسم الى انه موجود ولا يثبتون
 الباري ذا اجزاء مؤتلفة وأبعض متلاصقة يزعمون أن الله على العرش مستويلا
 مماثلة ولا كيف (والفرقة الثالثة) من الروافض يزعمون أن ربهم على صورة
 الانسان ويمنعون أن يكون جسما (والفرقة الرابعة) من الرافضة الهشامية أصحاب
 هشام بن سالم الجواليقي يزعمون أن ربهم على صورة الانسان وينكرون أن يكون
 لحما ودما ويقولون إنه نور ساطع يتلألأ بياضا وإنه ذو حواس كحواس الانسان
 له يد ورجل وأنف واذن وفم وعين وإنه سميع بغير مابه يعصر وكذلك سائر
 حواسه متغيرة عندهم قال وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم كان يزعم
 أن لربه وفرة متغيرة سوداء وأن ذلك نور اسود (والفرقة الخامسة) يزعمون أن لرب
 العالمين ضياء خالصا ونورا بحتا وهو كالصباح الذي من حيث ما جئته يلقاك بنور
 وليس بذي صورة ولا أعضاء ولا اختلاف في الأجزاء وانكروا أن يكون على
 صورة الانسان أو على صورة شيء من الحيوان قال (والفرقة السادسة) من الرافضة
 يزعمون أن ربهم ليس بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ولا يتحرك ولا يسكن
 ولا يماس وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج قال أبو الحسن الأشعري
 وهؤلاء قوم من متأخريهم فأما أوائلهم فأنهم كانوا يقولون بما حكينا عنهم
 قال شيخ الاسلام ابن تيمية وهذا الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن
 قدماء الشيعة من القول بالتجسيم قد اتفق على نقله عنهم أرباب المقالات حتى
 نفس الشيعة كابن النوبختي ذكر ذلك عن هؤلاء الشيعة ثم ذكر من قال بالتجسيم

من المتكلمين وغيرهم ممن يزعم أنه من أهل السنة الى أن قال وأئمة النفاة يعني نفاة التجسيم هم الجهمية من المعتزلة ونحوهم يجعلون من أثبت الصفات مجسماً بناءً عندهم على أن الصفات عندهم لا تقوم إلا بجسم ويقولون إن الجسم مركب من الجواهر المنفردة ومن المادة والصورة فقال لهم أهل الاثبات قولكم منقوض بإثبات الاسماء الحسنى فإن الله تعالى حي عليم قدير وإن أمكن إثبات حي عليم قدير وليس بجسم أمكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وليس بجسم وإن لم يمكن ذلك فما كان جوابكم عن إثبات الاسماء كان جوابنا عن إثبات الصفات انتهى المقصود منه . فاذا تبين لك أن هذا المذهب أعني القول بالتجسيم هو مذهب هؤلاء المبتدعة الضلال ومن وافقهم من اتباع الأئمة فمذهب الوهابية هو مذهب السلف المحضة كالامام احمد وذويه فلا يطلقون لفظ التجسيم لانفيًا ولا اثباتًا لوجهين أحدهما أنه ليس مأثورًا لافي كتاب ولا سنة ولا أثر عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا غيرهم من أئمة المسلمين فصار من البدع المذمومة (الثاني) أن معناه يدخل فيه حق وباطل انتهى من المنهاج لشيخ الاسلام رحمه الله وتام الكلام فيه فمن أراد الوقوف عليه فليراجع

فصل

قل العراقي ومن عظيم سفهه أنه لما رأى العقل مخالفًا لجميع ما يدعيه خلع الحياء فعطل العقل ولم يحكمه في شيء وتصدى الى جعل الناس كالبهائم الى آخر ما هذى به

(والجواب أن تقول) لما رأى الشيخ رحمه الله أن هؤلاء الذين هم افراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين واشكالهم واشباههم فيما يعتقدونه أنهم في معرفة ذلك اعتمدوا على مجرد عقولهم ودفعوا بما اقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً ولم يحكموا كتاب الله وسنة رسوله ولم يلتفتوا الى أقوال الصحابة ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان ولم يسلكوا طريق الأئمة في باب معرفة الله

وأنه به وصفاته وأفعاله وفي باب العمل والعبادة وأنهم خالفوا صحيح العقل
الموافق لصريح النقل مما أجمع عليه سلف الامة وأئمتها عطل عقول هؤلاء ولم
يحكمها في شيء، فإن البهائم التي لا تعقل شيئاً اهتدى سبيلاً من عقول هؤلاء، كما قال
تعالى (إن هم إلا كلالا نعماء بل هم أضل سبيلاً) لأنها قد تهتدى الى بعض منافعها
وقد كان من المعلوم بالضرورة أن أصح الناس عقولاً وأكملهم آراءً أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان ومن بعدهم من السلف
الصالح والصدر الأول وأئمة الدين والحديث ومن على طريقهم فمن خالفهم فعتله
فاسد ورأيه كاسد. ومن المعلوم أيضاً أن الشيخ رحمه الله لم ينف معقول هؤلاء، الأئمة
بل حكم ما وافق المقول من معقولهم واعتمده في رد أباطيل هؤلاء، الملاحد
واشباعهم وكذلك ما أصلوه من الاصول وبنوا عليه من الفروع الموافق لقواعد
الشرعية المطهرة يعمل به وبحكم به فمن نسب اليه غير ذلك فقد أخطأ وظلم نفسه
واقترى عليه وقد خاب من اقترى

فصل

قل العراقي قد آن لنا أن نذكر ههنا خلاصة ماتمذهبت به الفرقة المارقة
والوهابية من الأباطيل ثم نتكلم عليها في المباحث الآتية بما يردّها ويدحض حججها
فنقول قد اشتملت عقيدتهم الباطلة على أمور (الاول) اثبات الوجه واليد
والجبهة للباريء سبحانه وجعله جسماً ينزل ويصعد (الثاني) تقديم النقل على
العقل وعدم جواز الرجوع اليه في الامور الدينية (الثالث) نفي الاجماع وانكاره
(الرابع) نفي القياس (الخامس) عدم جواز التقليد للمجتهدين من أئمة الدين
وتكفير من قدم (السادس) تكفيرهم لكل من خالفهم من المسلمين (السابع)
النهي عن التوسل الى الله تعالى بالرسول أو بغيره من الأولياء والصالحين
(الثامن) تحريم زيارة قبور الأنبياء والصالحين (التاسع) تكفير من حلف بغير الله
وعده مشركاً (العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو ذبح عند مرأقداً لنبياء والصالحين
(فالجواب أن نقول) نعم قد اشتملت عقيدة الوهابية على اثبات الوجه

واليد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف كما هو معروف مشهور في عقائدهم وفيما صنفوه من الرد على الجهمية وغيرهم من أهل البدع وذكرنا من ذلك طرفاً فيما تقدم

وأما لفظ الجهة وجعله سبحانه وتعالى جسماً فهذا من الكذب على الوهابية وقد تقدم الكلام على ذلك قريباً وفيه بحث وتفصيل
وأما كونه تعالى ينزل ويصعد فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة أحاديث النزول وقد تقدم الكلام على ذلك وهو مما نعتقد وندين الله به على ما يليق بجلاله وعظمته ولو كره الكافرون

(وأما قوله الثاني) تقديم النقل على العقل

(فأقول) وهذا أيضاً مما ندين الله به ونعتقد ومن لم يقدم النقل على العقل فما آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ومع ذلك نقول: إن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصحيح فإن اختلفا فالعقل إما فاسد أو النقل غير صحيح ولا صريح
وأما عدم جواز الرجوع إليه في الأمور الدينية فمأذوك إلا لمخالفة النقل الصحيح الصريح. وأما إذا وافق النقل فلا مانع من جوازه عندنا بل نعتضد بذلك ونعتمده
(وقوله الثالث) نفي الإجماع وإنكاره

(فأقول) هذا كذب فانا نعتقد أنه الأصل الثالث وأن الأمة لا تجمع على ضلالة لكن ننكر إجماع عبّاد القبور وأفراخ المتفلسفة وأنباط الفرس والروم ومن نحاً نحوهم، وحذا حذوهم. وأيضاً ننكر دعوى الإجماع على أن الاجتهاد قد انقطع، وأن التقليد واجب

(وقوله الرابع) نفي القياس

(فأقول) أما نفي القياس مطلقاً فمن الكذب فإن فيه ما هو صحيح وفيه ما هو باطل
(وقوله الخامس) عدم جواز التقليد للمجتهدين من أئمة الدين وتكفير من قلدهم
(فأقول) وهذا أيضاً من الكذب على الوهابية فإنهم كانوا على مذهب أحمد بن حنبل ولكن ربما يوجد ذلك في كتب بعض من ينسبونه هؤلاء اليهم لاعتقاده أنهم على الحق وأنهم مخالفون لعبّاد القبور ولأهل الأهواء من أهل

البدع كما قد يوجد ذلك في كتب صديق الهندي وغيره

(وقوله السادس) تكفيرهم كل من خالفهم من المسلمين

(فأقول) وهذا أيضا كذب على الوهابية فانهم لا يكفرون المسلمين وإنما

يكفرون من كفر الله ورسوله وأهل العلم من غلاة عبّاد القبور وغلاة الجهمية

وغلاة القدرية والمجبرة وغلاة الروافض وغلاة المعتزلة وغيرهم ممن كفره السلف

الصالح بعد قيام الحجة

(وقوله السابع) النهي عن التوسل الى الله تعالى بالرسول وبغيره من

الأولياء والصالحين

(فأقول) نعم كانوا ينهون عن التوسل بالرسول وبغيره من الأولياء والصالحين

بعد مماتهم وفي حال غيبتهم اذا كانت التوسل على ما يعرف في لغة الصحابة

والتابعين والأئمة المهتدين . وأما في حال حياتهم بهذا العرف فلا ينهون عنه

ولا ينكرونه . وأما على عرف غلاة عبّاد القبور واصطلاحهم الحادث فيهم ينهون

عنه ويكفرون من دعا أهل القبور واستغاث بهم والتجأ اليهم بعد قيام الحجة عليهم

(وقوله الثامن) تحريم زيارة قبور الأنبياء والصالحين

(فأقول) وهذا أيضا من الكذب على الوهابية فانه يجوز عندهم زيارة القبور

على الوجه الشرعي . وأما شد الرحال اليها فيمنعون من ذلك وينكرونه لقوله

صلى الله عليه وسلم « لاتشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد » الحديث

(وقوله التاسع) تكفير من حلف بغير الله وعده مشركا

(فأقول) هذا كذب على الوهابية فانهم لا يكفرون بمجرد الحلف بغير

الله وفيه بحث

(وقوله العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو ذبح عند مرقد الانبياء والصالحين

(فأقول) نعم يكفرون من نذر لغير الله وذبح لغيره فان النذر والذبح من

خصائص الالهية فمن أشرك بالله أحداً من المخلوقين في خصائص الخالق فلا مانع

من تكفيره بعد قيام الحجة عليه وسيأتي الكلام على كلامه عليها ان شاء الله تعالى

فصل

قال العراقي : تجسيم الوهاية

إن الوهاية التي كفرت من زار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم متوسلاً إلى الله تعالى وعدت ذلك شركاً في الوهيته وقالت بوجوب تنزيهه تعالى قد خبطت كل الخبط في تنزيه الله تعالى حيث أثبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ، واستقراراً وعلوً فوقه وأثبتت له الوجه واليدين وبعضه سبحانه فجعلته ماسكاً بالسموات على أصبع ، والارضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والملك على أصبع ثم أثبتت له الجهة فقالت هو فوق السموات ثابت على العرش يشار إليه بالأصابع إلى فوق إشارة حسية وينزل إلى السماء الدنيا ويصعد قال بعضهم

لئن كان تجسماً ثبوت استوائه على عرشه إني إذاً لمجسم
وان كان تشبيهاً ثبوت صفاته فعن ذلك التشبيه لا اتلعم
وان كان تنزيهاً جحد استوائه وأوصائه أو كونه يتكلم
فمن ذلك التنزيه نزهت ربنا بتوقيفه والله أعلى وأعظم

(والجواب أن تقول) بل الذي خبط كل الخبط ، وهام في مهامه الخبط والهمط ، وكشف جلياب الحياء ، وسلك مسالك أهل الغي والردى ، هذا العراقي الملحد حيث جعل اثبات صفات الله ذي الجلال والإكرام تجسماً وتشبيهاً ومن وصفه بها فقد بعثه وصرح بعدم علوه على عرشه وارتفاعه عليه عناداً وجحوداً ، وتمرداً وتكبراً وسموداً فتعالى الله عما يقول هذا الجاحد علواً كبيراً فلما كون الوهاية أثبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه واستقراراً وعلوً فوقه فنعم وبذلك أنزل الله كتبه وأرسل رسله واجمع على ذلك سلف الأمة وأئمتها . فالوهاية يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ، ولا تمثيل فيثبتون لله ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات وينفون عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات اثباتاً

بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيها
إذا تبين لك هذا وتحققته فنذكر من كلام الأئمة ما يبين غلط هذا الملحد
وخروجه عن الصراط المستقيم ، وسلكه طريق أصحاب الجحيم ، ممن نكب عن
الدين القويم ، واتبع غير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين
قال شيخ الاسلام رحمه الله ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها وألفاظ
من نقل مذهبهم الى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع ما يعلم به
مذهبهم روى أبو بكر البیهقي في الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الأوزاعي
قال : كنا والتابعون متوافرون نقول : ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما
وردت فيه السنة من الصفات . قال الشيخ : وفي كتاب الفقه الاكبر المشهور عند
أصحاب أبي حنيفة الذي رووه بالاسناد عن أبي مطيع ابن عبد ^(١) البلخي
قال سألت أبا حنيفة عن الفقه الاكبر فقال : لا تكفرن أحدا بذنوب ولا تنفي أحدا
به من الايمان ، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتعلم ان ما أصابك لم يكن
ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . إلى أن قال : قال أبو حنيفة عن قل
لا أعرف ربي في السماء أم في الارض فقد كفر لان الله يقول (الرحمن على العرش
استوى) وعرشه فوق سبع سموات . قلت : فان قل انه على العرش استوى ولكنه
يقول : لا أدري العرش في السماء أم في الأرض قال هو كافر لانه أنكر أن يكون
في السماء لانه تعالى في أعلى عليين وانه يدعى من أعلى لامن أسفل . وفي لفظ :
سألت أبا حنيفة عن يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض قل : قد كفر
قال لان الله يقول (الرحمن على العرش استوى) لكن لا يدري العرش في الأرض
أم في السماء قال إذا أنكر انه في السماء فقد كفر . ففي هذا الكلام المشهور عن
أبي حنيفة عند أصحابه انه كفر الواقف الذي يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في
الارض فكيف يكون النافي الجاحد الذي يقول ليس في السماء ولا في الارض ،

(١) بياض بالاصل واسم أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي

واحتج على كفره بقوله (الرحمن على العرش استوى) قال وعرشه على سبع سموات وبين هذا ان قوله (الرحمن على العرش استوى) دال على ان الله نفسه فوق العرش ، ثم انه أردف ذلك بتكفير من قال انه على العرش استوى ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الارض قال لانه أنكر انه في السماء لان الله في أعلى عليين وانه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وهذا تصریح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر ان يكون الله في السماء ، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين وانه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فان القلوب مغلوبة على الاقرار بأن الله في العلو وعلى انه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وقد جاء اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك فقال : إذا أنكر انه في السماء فقد كفر . وروى هذا اللفظ بالاسناد عنه شيخ الاسلام أبو اسماعيل الانصاري الهروي في كتاب الفاروق . وروى أيضا ابن أبي حاتم ان هشام بن عبد الله الرازي صاحب محمد بن الحسن قاضي الري الذي حبس رجلا في التجهم فتاب فجيء به إلى هشام ليطلقه فقال : الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام فقال : أشهد ان الله على عرشه بائن من خلقه ، فقال : أشهد انه على عرشه ولا أدري ما بائن من خلقه ، فقال : رده إلى الحبس فانه لم يتب

وروى أيضا عن يحيى بن معاذ الرازي انه قال : ان الله على العرش بائن من الخلق وقد أحاط بكل شيء ، علماً وأحصى كل شيء عدداً ، لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل وهالك مرتاب يمزج الله تعالى بخلقه ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان

وروى أيضاً عن ابن المديني لما سئل : ما قول أهل الجماعة ، قال : يؤمنون بالرؤية والكلام ، وان الله فوق السموات على العرش استوى ، فسئل عن قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فقال : إقرأ ما قبلها (ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض)

وروى أيضاً عن أبي عيسى الترمذي قال : هو على العرش كما وصف في كتابه وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان

وروى عن أبي زرعة الرازي انه لما سئل عن تفسير قوله (الرحمن على العرش استوى) فقال تفسيره كما تقرأ هو على العرش وعلمه في كل مكان ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله إلى أن قال : وروى عبد الله بن أحمد وغيره باسناد صحيح عن ابن المبارك انه قيل له بماذا نعرف ربنا فقال بأنه فوق السموات على عرشه بائن من خلقه ولا تقول كما تقول الجهمية انه ههنا في الارض وهكذا قال الامام أحمد وغيره وروي باسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكروا هؤلاء الجهمية فقال : إنما يحاولون أن يقولوا : ليس في السماء شيء.

وروى ابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن سعيد بن عامر الضبي إمام أهل البصرة علماء ديناً من شيوخ الامام أحمد انه ذكر عنده الجهمية فقال : هم شر قولاً من اليهود والنصارى ، وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس على شيء.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة : من لم يقر أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ثم أُلقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة ، ذكره عنه الحاكم باسناد صحيح وذكر كلاماً طويلاً ثم قال : وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب محجة الواثقين ومدرجة الواثقين تأليفه : وأجمعوا أن الله فوق سمواته عال على عرشه مستوعليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية إنه بكل مكان. ثم ذكر الشيخ كلاماً إلى أن ذكر عن الشيخ الامام أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني قال في كتاب الغنية أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد ، إلى أن قال : وهو بجهة العلو مستول على العرش محتول على الملك محيط علمه بالأشياء ، اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش استوى كما قال (الرحمن على العرش استوى) وذكر آيات وأحاديث إلى أن قال : وينبغي اطلاق الاستواء

من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش قال : وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسله بلا كيف وذكر كلاما طويلا لا يحتمله هذا الموضع وقال ابو الحسن الاشعري في الابانة :

﴿ باب ذكر الاستواء على العرش ﴾

فان قال قائل ماتقولون في الاستواء ؟ قيل له نقول : إن الله مستوعب عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وذكر آيات ثم قال فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات (قال أأنتم من في السماء) لانه مستوعب العرش الذي هو فوق السموات وكل ما علا فوق فهو سماء فالعرش أعلى السموات الى أن قال

(فصل) وقد قال قائلون من المعزلة والجهمية والحرورية إن معنى قوله (الرحمن

على العرش استوى) انه استولى وقهر وملك وأن الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء الى انه القدرة فلو كان كما ذكروه كان لافرق بين العرش والارض السابعة لأن الله قادر على كل شيء والارض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لانه قادر على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقال إن الله مستول على الحشوش والأخيلية ولم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها وذكر دلالات من القرآن والأحاديث والاجماع والعقل انتهى وقال شيخ الاسلام أيضا في الكتاب المسمى ببيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول قال إسحق بن راهويه حدثنا بشر بن عمر سمعت غير واحد من المفسرين يقول الرحمن على العرش استوى أي ارتفع وقال البخاري في صحيحه قال أبو العالية استوى الى السماء قال وقال مجاهد استوى على العرش وقال الحسين ابن مسعود البغوي في تفسيره المشهور قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف

استوى إلى السماء ارتفع إلى السماء وكذلك قال الخليل بن أحمد وروى البيهقي في كتاب الصفات قال الفراء ثم استوى أي صعد قاله ابن عباس وهو كقولك للرجل كان قاعداً فاستوى قائماً وروى الشافعي في مسنده عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند يوم الجمعة وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش والتفاسير المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري وتفسير عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف بدحيم وتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم وتفسير ابن المنذر وتفسير أبي بكر عبد العزيز وتفسير أبي الشيخ الأصبهاني وتفسير أبي بكر بن مردويه وما قبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم وبقي بن مخلد وغيرهم ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد وتفسير عبد الرزاق ووكيع ابن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول الثبوتين مالا يكاد يحصى وكذلك الكتب المصنفة في السنة التي فيها آثار النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وقال أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني في مسائله المعروفة التي نقلها عن أحمد وإسحاق وغيرهما وذكر معها من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وغيرهم ما ذكر وهو كتاب كبير صنفه على طريقة الموطأ ونحوه من المصنفات قال في آخره في الجامع باب القول في المذهب هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الآثار وأهل السنة المعروفين المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وبقي بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا منهم العلم وذكر الكلام في الإيمان والقدر والوعيد والأمامة وما أخبر به الرسول من أشراط الساعة وأمر البرزخ والقيامة وغير ذلك إلى أن قال وهو سبحانه بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان والله عرش وللعرش حملة يحملونه وله حد الله أعلم بحده والله على عرشه عز ذكره وتعالى جده ولا إله غيره والله تعالى سميع لا يشك

بصير لا يرتاب عليم لا يجهل جواد لا يبخل حلیم لا يعجل حفيظ لا ينسى يقظان
لايسو ورقب لا يغفل ، يتكلم ، ويتحرك ، ويسمع ، ويبصر ، وينظر ،
ويقبض ، ويسط ، ويفرح ، ويحب ، ويكره ويغض ، ويرضى ، ويسخط ،
ويغضب ، ويرحم ، ويغفر ، ويعفو ، ويعطي ، وينع ، وينزل كل ليلة الى سماء
الدنيا كيف شاء وكما شاء ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ولم يزل الله متكلماً عالماً
فتبارك الله أحسن الخالقين انتهى ولو ذهبنا نذكر أقوال أهل العلم من الأئمة
لاحتمل مجلدًا فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضلّه
يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور
وأما تفسير الاستواء بالاستقرار فهو من تفاسير أهل السنة والجماعة قال ابن القيم
رحمه الله في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

فصل

هذا وسادس عشرها اجماع أهل العلم أغنى حجة الازمان
من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن
لا عبرة بمخالف لهمو ولو كانوا عديد الشاء والبعران
ان الذي فوق السموات العلى والعرش وهو مبائن الا كوان
هو ربنا سبحانه وبمحمدده حقا على العرش استوا الرحمن
ثم اقوال الأئمة الى ان قال

ولهم عبارات عليها اربع قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقدعلا وكذلك ارفع الذى مافيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع وابو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره ادرى من الجهمي بالقرآن

واما قوله واثبت له الوجه واليدين

فاقول قد تقدم الكلام على ذلك وبه الكفاية

وأما قوله وبعضه سبحانه فجعله ماسكاً بالسموات على أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والملك على أصبع الخ
 فالجواب أن يقال لمن وقف على هذا الجواب عليك أولاً أن تعلم أن هذا الكلام أعنى قوله وبعضه سبحانه ليس هو من كلام أهل السنة المحضة الذين لم يشوبوا عقائدهم بدم التشبيه وعذرة التحريف ونجاسة التعطيل بل هو من مقدرات الافكار ونتائج قياسات عقول أفراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصائين وأشكالهم واشباههم الذين يزعمون انهم ينزهون الله تعالى عن الابعاض والحدود والعجبات فيسمع الغر الخدوع هذه الالفاظ يتوهم منها انهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الاطلاق من العيوب والنقائص والحاجة فلا يشك انهم يمجّدونه ويعظمونه ويكشف الناقد البصير ماتحت هذه الالفاظ يرى تحتها الالحاد وتكذيب الرسل وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله

فأما الابعاض فمرادهم تنزيهه عنها أنه ليس له وجه ولا يدان ولا يمسك السموات على أصبع ، والارض على أصبع ، والشجر على أصبع ، والماء على أصبع ، فان ذلك كله ابعاض والله منزه عن الابعاض كما ذكره ابن القيم رحمه الله عنهم في الصواعق المرسلّة فاذا عرفت هذا من قيلهم وعقائد قلوبهم وانهم إنما ينزهوه عما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه وإحاطته بجميع مخلوقاته وانهم ما عرفوا الله حق معرفته ولا قدره حق قدره ولا عظمه حق عظمته تخرجوا عن المعقول ونبذوا المنقول وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون فجاء هؤلاء الضلال الغلاة والملاحدة الجهال فتوهموا أن هذا من قول الوهابية وانهم خرجوا بهذا القول عن جماعة أهل السنة المحضة وما علم هؤلاء الجهلة ان هذا صريح الكتاب والسنة قال الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) قال العماد بن كثير رحمه الله ، يقول الله تعالى ما قدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء وكل شيء تحت

قهره وقدرته قال السدي ماعظموه حق عظمته وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكليف ولا تحريف و ذكر حديث ابن مسعود الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال جاء خبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والماء على أصبع والثري على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر قرأ (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية وفي رواية لمسلم والجبال والشجر علي أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله وفي رواية البخاري يجعل السموات على اصبع والماء والثري على اصبع وسائر الخلق على اصبع قال ابن كثير رحمه الله ورواه البخاري في صحيحه في غير موضع ومسلم والامام أحمد والترمذي والنسائي كلهم من حديث سليمان بن مهران وهو الاعمش عن ابراهيم بن عبيدة عن ابن مسعود بنحوه قال جاء رجل من أهل الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والثري على اصبع فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال وانزل الله (وما قدروا الله حق قدره) الآية وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طريق عن الاعمش له وقال الامام أحمد حدثنا الحسين بن حسن الاشقر حدثنا ابو كدينة عن عطاء عن أبي الضحاح عن ابن عباس قال مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السموات على ذه وأشار بالسبابة والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه

كل ذلك يشير باصبعه فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره وكذا رواه الترمذي في التفسير بسنده عن أبي الضحى مسلم بن صبيح به وقال حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ثم قال البخاري حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن إن أبا هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه فيقول أنا الملك أين ملوك الارض » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقال البخاري في موضع آخر حدثنا مقدم ابن محمد حدثني عمي القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك » تفرد به أيضاً من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقد رواه الامام أحمد من طريق آخر بلفظ أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ورواه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها ويقبل بها ويدبر ويمجد الرب تعالى نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به انتهى وهذه الاحاديث تدل على عظمته سبحانه وتعالى وتبين ان الله تعالى على عرشه ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في شيء منها ان ظاهرها غير مراد وانها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه ولو كان هذا حقاً لبلغه أمته فان الله أكمل به الدين وأتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن يتبعهم الى يوم الدين وتلقى الصحابة رضي الله عنهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ما وصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله فأمنوا به وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا وهذا الملحد الجاهل جعل ما تضمن كتاب الله

وسنة رسوله اباعاضاً وسمى اثبات علو الله على عرشه وفوقيته ونزوله وصعوده
تجسماً ومن تمسك بكتاب الله وسنة رسوله وكلام الأئمة مجسماً

وأما قوله حتى قال بعضهم

لئن كان تجسماً ثبوت استوائه على عرشه اني اذا تجسماً
وان كان تشبيهاً ثبوت صفاته فعن ذلك التشبه لا أتلعثم
وان كان تنزيهاً جحد استوائه وأوصافه أو كونه يتكلم
فمن ذلك التنزيه نزعت ربنا بتوقيفه والله أعلى وأعلم

فالجواب انا نعتقد هذا وندين الله به وأزيد ذلك تقريراً له بقولي

أقول نعم هذا هو الحق والهدى وعن وصفه بالحق لا أتلعثم
ومن حاد عن هذا وقال سفاهة طريقة جهنم والمريسي أسلم
فقد حاد عن نهج الشريعة واعتدى وضل عن الحق الذي هو أحكم
وأشهد ان الله جل ثناؤه على عرشه والله أعلى وأعظم
وأشهد ان الله ليس كمثل شبيهه ولا مثل ولا كفو يعلم
فمن جحد الاوصاف لله ربنا ونزعه عن كونه يتكلم
وعن كونه فوق السموات قد علا على عرشه فهو الكفور المذم
فليس يتجسم ثبوت استوائه لأفضل خلق الله من هو أعلم
ويعلم من نص الكتاب وسنة وأهل الحجالو كنت وبحك تفهم
أليس على هذا صحابة أحمد فمن ذا الذي منه الهدي يتعلم
وان لم يكن ما بلغوه هو الهدي وان لم يكونوا المهتدين فمن هم
أولئك هم أهدي سبيلاً ومنهجاً وأتباعه من هم أضل وأظلم
أجهم بن صفوان اللعين وحزبه ومن صار فيما أصلوا يتكلم
أم الحق ما قال الفلاسفة الأولى وهم في موامى الغي والبغي هو م
اولئك في بحر الضلالة قد ههوا زنادقة من بعدهم حين أوهموا
فسار على منهاجهم في ضلالهم هو الكفر والتعطيل والقوم عموماً
بتنزيهه فيما يزون وقصدهم

بالزام أهل الحق بالبغي والهوى
والزامهم ما ألزموه تعنت
وما ذاك إلا أنه ليس عندهم
وما هذه الأوصاف إلا لمن له
فإن كان تجسيمياً ثبوت صفاته
فسبحانه عن أفكهم وضلالهم
فله وجه بل يدان حقيقة
ويضحك ربي من قنوط عباده
وكلم فيما قد مضى من عباده
سميع بصير ذو اقتدار ورفعة
وينزل شطر الليل نحو سمائه
كما شاءه سبحانه وبحمده
وفصل بين الخلق يوم معادهم
ونؤمن أن الله جل ثناؤه
إلى غير ذامن كل أوصافه التي
وصحت بها الأخبار عن سيد الورى

لوازم لا ترضي ولا هي ترضي
وبغي والحاد وإفك ومأثم
إله بهذا الوصف حقاً يعظم
صفات وجسم وهو عنها يفخم
لديكم فأي اليوم عبد مجسم
وطغيانهم فالله أعلى وأعظم
ويغضب بل يرضي ويعطي ويرحم
ويرح ان تابوا ويولي وينعم
لمن شاء منهم قابلاً ويحكم
ويعلم ما نبذ جهراً ونكتم
ويصعد والرحمن أعلى وأعظم
وسوف يجي يوم القيامة يحكم
يوم به تبدو عياناً جهنم
يرى ويرى يوم المزيد وينعم
بها نطق القرآن والكل محكم
تقول بها جهراً ولا تتلعم

فصل

قال العراقي نحن ننقل لك ههنا بعض عباراتهم التي وردت في هذا الشأن،
مستورة في كتاب الدين الخالص قال صاحبه ان أردتم بالجسم المركب من المادة
والصورة أو المركب من الجواهر الفردة فهذا منفي عن الله تعالى قطعاً والصواب
فيه عن الممكنات أيضاً فليس الجسم المخلوق مركباً من هذه ولا هذه
قال العراقي فأقول فانظر الى ما في هذه العبارة من الخطأ فانه انكر فيها وجود جسم
بالمعنى الذي ذكره سواء كان واجباً أو ممكناً والظاهر أن غرضه من هذا الانكسار

هو التوصل الى نفي الجسمية التي تلزم من معتقده في الله تعالى فلتلا يقال إنه شبه الخالق بمخلوقه نفي الجسمية بالمعنى المذكور عن مخلوقه أيضاً وأنت تعرف أن الجسم أن لم يكن مركباً من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركباً من الجواهر الفردة (والجواب أن يقال) هذا الكلام ليس هو من كلام صاحب الدين الخالص بل هو كلام شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى نقله صديق من الصواعق الرسالة على الجهمية والمعتلة وهو في الصواعق أبسط من هذا بأدلة العقلية والنقلية فنسبة هذا الكلام إلى الوهابية وإن كانوا يعتقدون صحته جهل عريض وعدم معرفة بالرجال ومقالاتهم فإن ابن القيم رحمه الله تعالى في القرن السابع وشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر فصار من المعلوم عند هؤلاء أن من تكلم بالحق وبما نطق به الكتاب والسنة وكان عليه سلف الامة وأئمتها وإن كان ممن تقدم زمانه فهو وهابي فصار هذا الاسم علماً على أهل الحق في كل زمان ومكان (فضلاً من الله ونعمة ، والله ذو الفضل العظيم)

(وأما قوله) فإنه انكر فيها وجود جسم بالمعنى الذي ذكره الى آخره (ف نقول) نعم ما ذكره من لفظ الجسم وما يتبع ذلك لم ينطق به في صفات الله لا كتاب ولا سنة لا نفي ولا اثبات ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم وقوله والظاهر أن غرضه من هذا الانكار هو التوصل به الى نفي الجسمية التي تلزم من معتقده في الله تعالى الى آخره

(فأقول) نعم ولا يلزم من اثبات الصفات التي أثبتها الله ورسوله هذه اللوازم التي سميتوها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان إنما هي نخامة أفكار وزبالة أذهان لا حقيقة لها في التحقيق ولا تثبت على قدم الحق والتصديق فهذه اللوازم منفية عن الله قطعاً وعن الممكنات أيضاً كما يأتي بيانه وتفصيله ثم انه من المعلوم أن أصل الكلام في المادة والصورة والهيولي والجواهر الفردة وغيرها من التراكيب المحدث في الاسلام ليس هو من كلام أهل السنة العامة فضلاً عن أن يكون من كلام محققي أهل السنة المحضة وإنما أصله من كلام الفلاسفة واليونان الخارجين عن شريعة الاسلام فلا احتجاج به والاستدلال به ممن يدعي

انه من أهل السنة على أهل السنة المحضة خروج من الدين والعقل وإنما تكلم فيه أئمة الاسلام لما دخل فيه بعض أهل السنة العامة وبعض أهل السنة المحضة واعتمدوا عليه في العقلية فاحتاج أئمة الاسلام الى الكلام فيه لرد معقولاتهم الفاسدة بالنقل والعقل واذ كان أصله ومادته كذلك فبطالانه معلوم بالاضطرار من دين الاسلام عقلا ونقلا

قال شيخ الاسلام رحمه الله في تفسير سورة الاخلاص (قل هو الله أحد) بعد كلام له سبق وكان الذين امتحنوا احمد رحمه الله وغيره من هؤلاء الجاهلين فابتدعوا كلاما متشابها نفوا به الحق فأجابهم احمد لما ناظروه في المحنة ونحو ذلك وذكروا الجسم فأجابهم بأني أقول كما قال الله تعالى (الله أحد * الله الصمد) وأما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ليس على أحد أن يتكلم فيه البتة والمعنى الذي يراد به مجمل ولم تبينوا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح فقال مادري ماتقولون لكن أقول (الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) يقول مادري ماتعنون بلفظ الجسم فأنا لا وافقكم على اثبات لفظ ونفيه اذا لم يرد الكتاب والسنة باثباته ولا نفيه ان لم يدر معناه المتكلم به فان عني في النفي والاثبات ما يوافق الكتاب والسنة في النفي والاثبات لم نوافقه ولفظ الجسم والجوهر لم يأت في كتاب ولا سنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسائر أئمة الدين التكلم بها في حق الله تعالى لا بنفي ولا باثبات . ولهذا قال احمد في رسالته الى المتوكل لاحب التكلم في شيء من ذلك الا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة والتابعين

وأما غير ذلك فان الكلام فيه غير محمود . وذكر أضافيا حكمه عن الجهمية انهم يقولون ليس فيه كذا وكذا وهو كما قال فان لفظ الجسم في اللغة التي نزل بها القرآن معنى كما قال تعالى (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم) وقال تعالى (وزاده بسطة في العلم والجسم) قال ابن عباس كان طائوت اعلم بني اسرائيل في الحرب وكان يفوق الناس بمنكبه وعنقه ورأسه

والبسطة السعة قال ابن قتيبة هو من قولك بسطت الشيء إذا كان مجموعاً ففتحته ووسعته قال بعضهم والمراد بتعظيم الجسم فضل القوة إذ العادة أن من كان أعظم جسماً كان أكثر قوة فهذا لفظ الجسم في لغة العرب التي نزل بها القرآن قال الجوهري قال أبو زيد الانصاري الجسم الجسد وكذلك الجثمان والجثمان وقال الاصمعي الجسم والجثمان والجسد والجثمان قال وجماعة جسم الانسان يقال له الجثمان وقد جسم الشيء أي عظم فهو جسيم وجسام والجسام بالكسر جمع جسم قال أبو عبيدة تجسمت فلانا من بين القوم أي اخترته كأنك قصدت جسمه كما تقول نائبته أي قصدت ابنه وشخصه وانشد أبو عبيدة

* تجسسته من يذهن بمرهف *

وتجسمت الأرض إذا أخذت نحوها تريدتها وتجسم من الجسم وقال ابن السكيت تجسمت الأمر أي ركبت أجسمه وجسيمه أي معظمه قال وكذلك تجسمت الرمل والجمال أي ركبت أعظمه والأجسم الأضخم قال عامر بن الطفيل لقد علم الحمي من عامر بأن لنا الذروة الأجسام

فهذا الجسم في لغة العرب وعلى هذا فلا يقال للهوى جسم ولا للنفس الخارج من الانسان جسم ولا لروحه المنفوخة جسم ومعلوم أن الله سبحانه لا يماثل شيئاً من ذلك لا بدن الانسان ولا غيره فلا يوصف الله بشيء من خصائص المخلوقين ولا يطلق عليه من الاسماء ما يختص بصفات المخلوقين فلا يجوز أن يقال هو جسم ولا جسد انتهى

وإذا كان هذا الجسم في لغة العرب كان منتفياً عن الله بهذا المعنى لان الله أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد فلا يماثله شيء من مخلوقاته ولا يطلق عليه من الاسماء ما يختص بصفات المخلوقين فان من شبه الله بمخلقه فقد كفر لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

(وأما قوله) وانت تعرف أن الجسم ان لم يكن مركباً من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركباً من الجواهر الفردة
فالجواب أن نقول هذا على اصطلاح أهل الكلام وقد عرفت مافي كلامهم

من الاختلاف والتزعاج بينهم والواجب على كل مسلم أن ينظر في هذا الباب فما أثبتته الله ورسوله أثبتته وما نفاه الله ورسوله نفاه والالفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الاثبات والنفي فتثبت ما أثبتته النصوص من الالفاظ والمعاني وتنفي ما نفته النصوص من الالفاظ والمعاني . وأما هذه الالفاظ الذي تنازع فيها من ابتدعها فقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : وأما أهل الكلام فالجسم عندهم أعم من هذا وهم مختلفون في معناه اختلافاً كثيراً عقلياً واختلافاً لفظياً اصطلاحياً فهم يقولون كل ما يشار اليه إشارة حسية فهو جسم ثم اختلفوا بعد هذا فقال كثير منهم كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر المنفردة ثم منهم من قال الجسم أقل ما يكون جوهرأ بشرط أن ينضم اليه غيره وقيل بل هو الجوهران والجواهر فصاعداً وقيل بل أربعة فصاعداً وقيل بل ستة وقيل بل ثمانية وقيل بل ستة عشر وقيل بل اثنان وثلاثون وهذا قول من يقول ان الاجسام كلها مركبة من الجواهر التي لا تنقسم وقال آخرون من أهل الفلسفة كل الاجسام مركبة من الهيولى والصورة لا من الجواهر المنفردة وقال كثير من أهل الكلام ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا وهذا قول الهشامية والكلابية والضرارية وغيرهم من الطوائف الكبار لا يقولون بالجواهر الفردية ولا بالمادة والصورة وآخرون يدعون اجماع المسلمين على اثبات الجوهر الفرد كما قال أبو المعالي وغيره اتفق المسلمون على ان الاجسام تنتهي في تجزئتها وانقسامها حتى تصير أفراداً ومع هذا فقد شك فيه وكذلك شك فيه أبو الحسين البصرى وأبو عبد الله الرازى ومعلوم ان هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين لا من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا أحد من أئمة العلم المشهورين بين المسلمين وأول من قال ذلك في الاسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة وهذا من الكلام الذي ذمّه السلف وعابوه ولكن حاكى هذا الاجماع لما لم يعرف أصول الدين الا ما في كتب الكلام ولم يجد الا من يقول بذلك اعتقد هذا اجماع المسلمين والقول بالجواهر الفرد باطل والقول بالهيولى والصورة باطل وقد بسط الكلام على هذه المقالات في مواضع أخر وقال آخرون الجسم هو القائم بنفسه

وكل قائم بنفسه جسم وكل جسم فهو قائم بنفسه وهو مشار اليه واختلافوا في الاجسام هل هي متماثلة أم لا على قولين مشهورين واذا عرف ذلك فمن قل انه جسم وأراد انه مركب من الاجزاء فهذا قوله باطل وكذلك إن أراد انه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل ان الله ليس كمثله شيء في شيء من صفاته فمن أثبت لله مثلاً في شيء من صفاته فهو مبطل ومن قال انه جسم بهذا المعنى فهو مبطل ومن قال ليس بجسم بمعنى انه لا يرى في الآخرة ولا يتكلم بالقرآن وغيره من الكلام ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ولا ترفع الأيدي اليه في الدعاء ولا عرج بالرسول اليه فهذا قول باطل وكذلك من نفى ما أثبت الله ورسوله وقال ان هذا مجسم فنفى باطل واسميته ذلك تجسماً فليس منه فان أراد ان هذا يقضى أن يكون جسماً مركباً من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة أو أن هذا يقضى أن يكون جسماً والاجسام متماثلة قيل له أكبر العقلاء يخالفونك في تماثل الاجسام المخلوقة وفي انها مركبة فلا يقولون إن الهوى مثل الماء وأبدان الحيوان مثل الحديد والجال فكيف يوافقونك على ان الرب تعالى يكون مماثلاً لخلقه اذا أثبتوا له ما أثبتته الكتاب والسنة والله تعالى قد نفى المماثلة في بعض المخلوقات وكلاهما جسم كقوله (وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) مع ان كليهما بشر فكيف يجوز أن يقال اذا كان لرب السموات علم وقدرة انه يكون مماثلاً لخلقه والله تعالى ليس كمثله شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ونكته الأمر ان الجسم في اعتقاد هذا النافي يستلزم مماثلة سائر الاجسام ويستلزم أن يكون مركباً من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة قلت وهذا هو نتيجة قول هذا العراقي ومراميه حيث قال وأنت تعرف ان الجسم لم يكن مركباً من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركباً من الجواهر الفردة ثم قال شيخ الاسلام وأكبر العقلاء يخالفونه فالتلازم منتف باتفاق الفريقين وهو المطلوب فاذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفي عن الله شرعاً وعقلاً بقي بحثهم في الجسم الاصطلاحى هل هو مستلزم لهذا المحذور وهو بحث عقلى كبحث الناس في الاعراض هل تبقى أو لا تبقى وهذا البحث

العقلي لم يرتبط به دين المسلمين بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر عن السلف بلفظ الجسم في حق الله تعالى لانفياً ولا اثباتاً فليس لأحد أن يتدع اسم مجمل يحتمل معاني مختلفة لم ينطق بها الشرع ويعلق به دين المسلمين ولو كان قد نطق باللغة العربية فكيف اذا أحدث اللفظ معنى آخر والمعنى الذي يقصده اذا كان حقاً عبر عنه بالعبارة التي لا لبس فيها فاذا كان معتقده ان الاجسام متماثلة فان الله ليس كمثله شيء، وهو سبحانه لا سمي له ولا كقوله ولا ند له فهذه عبارة القرآن تؤدي هذا المعنى بلا تليس ولا نزاع وان كان معتقده ان الاجسام غير متماثلة وان كان يرى ما يقوم به من الصفات فهو جسم فان عليه أن يثبت ما أثبتته الله ورسوله من علمه وقدرته وسائر صفاته كقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله في حديث الاستخارة اللهم اني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك على الخلق ويقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ترون ربكم يوم القيامة عياناً كاترون الشمس والقمر لاتضامون في رؤيته فشبه الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرئي كالمرئي فهذه عبارات الكتاب والسنة عن هذا المعنى الصحيح بلا تليس ولا نزاع بين أهل السنة المتبعين للكتاب والسنة وأقوال الصحابة ثم بعد هذا من كان تبين له معنى من جهة العقل انه لازم للحق لم يدفعه عن عقله فلازم الحق حق لكن ذلك المعنى لا بد أن يدل الشرع عليه فيشبهه بالالفاظ الشرعية وان قدر ان الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب على الناس اعتقاده وحينئذ فليس لأحد أن يدعو الناس اليه وان قدر انه في نفسه حق ومسئلة تماثل الاجسام وتركيبها من الجواهر المنفردة قد اضطرب فيها جماهير أهل الكلام وكثير منهم يقول بهذا تارة وبهذا تارة وأكثر ذلك لأجل الألفاظ المجملة والمعاني المتشابهة وقد أبسط الكلام عليه في غير هذا الموضع لكن المقصود هنا انه لو قدر ان الانسان تبين له ان الاجسام ليست متماثلة ولا مركبة لامن هذا ولا من هذا لم يكن له أن يتدع في دين الاسلام قوله ان الله جسم وينظر على المعنى الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة بل يدفعه اثبات ذلك المعنى بالعبادات الشرعية ولو قدر انه تبين له ان

الاجسام مماثلة وان الجسم مركب لم يكن له أن يتدع النفي بهذا الاسم ويناظر على معناه الذي اعتقده بعقله بل ذلك المعلوم بالشرع والعقل يمكن اظهاره بعبارة لاجماع فيها ولا تلبس والذين يقولون الجسم مركب من الجواهر يدعي كثير منهم أنه كذلك في لغة العرب لان العرب يقولون هذا اجسم من هذا يريدون به انه أكثر أجزاء منه ويقولون هذا جسيم أي كثير الأجزاء قال والتفضيل بصيغة أفعل انما يكون لما يدل عليه الاسم فاذا قيل هذا أعلم أو أسلم كان ذلك دالا على الفضيلة فيما دل عليه لفظ العلم والحلم فلما قالوا أجسم لما كان أكثر أجزاء دل على ان لفظ الجسم عندهم المراد به المركب فمن قال جسم وليس مركب فقد خرج من لغة العرب قالوا وهذه مخطئة في اللفظ وان كنا لا نكفره اذا لم يثبت خصائص الجسم من التركيب والتأليف وقد نازعهم بعضهم في قولهم هذا أجسم من هذا وقالوا ليس هذا اللفظ من لغة العرب كما يحكي عن ابن زيد فيقال له لا ريب ان العرب تقول هذا جسيم أي عظيم الجثة وهذا أجسم من هذا أي أعظم جثة لكن كون العرب تعتقد ان ذلك لكثرة الأجزاء التي هي الجواهر المفردة انما يكون اذا كان أهل اللغة قاطبة يعتقدون ان الجسم مركب من الجواهر المنفردة والجواهر الفرد هو شيء قد بلغ من الصغر والحقارة الى أنه لا يتميز يمينه من يساره ومعلوم ان أكثر العقلاء من بنى آدم لا يتصور الجوهر الفرد والذين يتصورونه أكثرهم لا يثبتونه والذين أثبتوه انما أثبتوه بطريقة خفيفة ، طويلة بعيدة ، فيمتنع أن يكون لفظ الشائع في اللغة التي ينطق بها خواصها وعوامها أرادوا به هذا ، وقد علم بالاضطرار أن أحدا من الصحابة والتابعين لهم باحسان لم ينطق بأثبتات الجوهر الفرد ، ولا بما يدل على ثبوته عنده ، بل ولا العرب قبلهم ، ولا سائر الأمم الباقين على الفطرة ولا اتباع الرسل فكيف يدعي عليهم أنهم لم يقولوا لفظ الجسم إلا لما كان مركبا مؤلفا ، ولو قلت لمن شئت من العرب الشمس والقمر والسماء مركب عندك من أجزاء صغار كل منها لا يقبل التجزي ، أو الجبال ، أو الهوى ، أو الحيوان والنبات لم يتصور هذا المعنى إلا بكافة ، ثم اذا تصوره قديكذب بفطرته ويقول كيف يمكن أن يكون شيء لا يتميز منه جانب عن جانب وأكثر العقلاء من

طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد والفقهاء قاطبة تنكره ، وكذلك أهل الحديث والتصوف ، ثم ذكر كلاما في استحالة بعض الأجسام إلى بعض ثم ذكر بعد ذلك ما يراد بالجسم في لغة العرب ، وأنهم إنما يريدون بقولهم هذا أجسم من هذا ، أي أغلظ وأعظم منه ونفى أن يكون ذلك لزيادة الاجزاء ، ثم قال فقد تبين أن من قال الجسم هو المؤلف والمركب ، واعتقد أن الاجسام مركبة من الجواهر المنفردة فقد ادعى معنى عقليا ينازعه فيه أكثر العقلاء من بني آدم ولم ينتقل عن أحد من السلف أنه وافقه عليه ، وأنه جعل لفظ الجسم في اصطلاحه يدل على معنى لا يدل عليه اللفظ في اللغة فقد غير معنى اللفظ في اللغة وادعى معنى عقليا فيه نزاع طويل وليس معه من الشرع ما يوافق ما ادعاه من معنى اللفظ ولا ما ادعاه من المعنى العقلي فاللغة ماتدل على ما قال والشرع لا يدل على ما قال والعقل لم يدل على مسميات الألفاظ وإنما يدل على المعنى المجرد وذلك فيه نزاع طويل ونحن نعلم بالاضطرار ان ذلك المعنى الذي وجب نفيه عن الله لا يحتاج نفيه الى ما أحدثه هذا من دلالة اللفظ ولا ما ادعاه من المعنى العقلي بل الذي جعلوه عمدتهم في تنزيه الرب على نفي مسمى الجسم لا يمكنهم أن ينزهوه عن شيء من النقائص البتة فانهم اذا قالوا هذا من صفات الأجسام فكل ما يثبتونه هو أيضا من صفات الأجسام مثل كونه حيا عليما قادرا بل كونه موجودا قائما بنفسه فانهم لا يعرفون هذا في الشاهد إلا جسما فاذا قال المنازع انا أقول فيما نفيتموه نظير قولكم فيما أثبتموه انقطعوا انتهى

والمقصود ان الاجسام المحدثه المخلوقة ليست مركبة لا من المادة والصورة ولا من الجواهر المنفردة فلو كان فوق العرش جسم مخلوق ومحدث لم يلزم أن يكون مركبا بهذا الاعتبار فكيف ذلك في حق خالق الفرد والمركب الذي يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويؤلف بين الاشياء فيركبها كما يشاء ؟ والعقل انما دل على اثباته واحد ورب واحد لا شريك له ولا شبيه له لم يلد ولم يولد ، ولم يدل على ان ذلك الرب الواحد لا اسم له ولا صفة ولا وجه ولا يدين ولا هو فوق خلقه ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء ، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هي كذب صريح على الوحي

فصل

قال العراقي : ثم قال - يعني صاحب الدين الخالص - وإن أردتم بالجسم ما يوصف بالصفات، ويرى بالابصار، ويتكلم ويكلم، ويسمع ويعصر، ويرضى ويفض، فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى، وهو موصوف بها فلا تنفيها عنه بتسميتكم الموصوف بها جسماً إلى آخر ما قال، قال فأقول : لم نعرف أحداً عرف الجسم بأنه المتكلم المكلم، السميع البصير، الذي يرضى ويفض، وإنما هذه صفات تقوم بالحي العاقل، نعم أن الجسم يرى بالأبصار كما قال ولكن اثبات الجسم له تعالى بهذه المعنى تنزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما ينافي الألوهية، فإن كون الله تعالى جسماً بهذا المعنى نقص يجب تنزيهه عنه .

والجواب أن يقال : ومن أنت يا لکم بن لکم حتى يلتفت إلى قولك وتعريفك ونفيك وإثباتك وتأصيلك وتفصيلك لأنك إنما أخذت هذه المباحث الملعونة عن قوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل، فإن أحداً من أئمة الاسلام ومن على طريقهم ومنهاجهم لا يقول إن الله جسم بل لا يطلقون هذا اللفظ نفيًا ولا إثباتاً حتى يستفصلوه عما أراد به، ومن أعظم الناس شمس الدين ابن القيم الذي تصديت لرد كلامه نفيًا لهذه الاشياء، وله بحوث في هذا المقام يطول ذكرها، وقد ذكرها في الصواعق وفي غيرها من كتبه، كالكافية الشافية وغيرها .

(وأما قوله) وإنما هذه صفات تقوم بالحي العاقل إلى آخره

(فأقول) قولك هذا منقوض بإثبات الاسماء والصفات، فإن الله حي عليم قدير، وإن أمكن إثبات حي عليم قدير وليس بجسم أمكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وليس بجسم، وإن لم يمكن ذلك فما كان جوابكم عن إثبات الاسماء كان جوابنا عن إثبات الصفات .

(ويقال أيضاً) ليس في هذا النفي ما يدل على صحة مذهب أحد من نفاة الصفات أو الاسماء، بل ولا يدل ذلك على تنزيهه سبحانه عن شيء من النقائص

فان من نفى شيئا من الصفات لكون اثباته تجسيدا وتشبيها يقول له المثل قولي فيما أثبتته من الاسماء والصفات كقولك فيما أثبتته من ذلك ، فان تنازعا في الصفات الخبرية أو العلوية أو الرؤية ونحو ذلك ، وقال له هذا يستلزم التجسيم والتشبيه لانه لا يعقل ما هو كذلك إلا الجسم ، قال له المثبت لا يعقل ماله حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر وكلام واردة الا ما هو جسم ، فاذا جاز لك أن تثبت هذه الصفات وتقول الموصوف بها ليس بجسم جاز لي مثل ما جاز لك من اثبات تلك الصفات مع أن الموصوف بها ليس بجسم فاذن جاز ان يثبت مسمى بهذه الاسماء ليس بجسم فان قال له هذه معان وتلك أبعاض قال له الرضا والغضب والحب والبغض معان ، واليد والوجه وان كان بعضا فالسمع والبصر اعراض لا تقوم إلا بجسم فان جاز لك اثباتها مع أنها ليست أعراضا ومحملها ليس بجسم جاز لي اثبات هذه مع أنها ليست أبعاضا ، فان قال نافي الصفات أنا لا أثبت شيئا منها قال له أنت أبهمت الاسماء فانت تقول هو حي عليم ، ولا يعقل حي عليم قدير الاجسام. وتقول إنه هو ليس بجسم فاذا جاز أن تثبت مسمى هذه الاسماء ليس بجسم مع أن هذا ليس معقولا لك جاز لي أن اثبت موصوفا بهذه الصفات وان كان هذا غير معقول لي . فان قال الملمد أنا أنفي الاسماء والصفات ، قيل له اما ان تقر بان هذا العالم المشهود مفعول مصنوع له صانع فاعله ، او تقول انه قديم أزلي واجب الوجود بنفسه عن الصانع ، فان قلت بالأول فصانعه ان قلت هو جسم وقعت فيما نفيت وان قلت ليس بجسم فقد أثبتت فاعلا صانعا للعالم ليس بجسم وهذا لا يعقل في الشاهد فان أثبتت خالقا فاعلا ليس بجسم وأنت لا تعرف فاعلا الاجسام كان لمنازعتك أن يقول هو حي عليم ليس بجسم وان كان لا يعرف حيا عالما إلا جسما ، بل لزمك أن تثبت له من الاسماء والصفات ما يناسبه . وان قال الملمد بل هذا المشهود قديم واجب بنفسه غني عن الصانع فقد أثبت واجبا بنفسه قديما أزليا هو جسم حامل الأعراض ، متحيز في الجهات ، تقوم به الأكوان وتحله الحوادث والحركات ، وله أبعاض وأجزاء فكان مافر منه من اثبات جسم قديم قد لزمه مثله وما هو أبعد منه ولم يستغند بذلك الانكار الاجحد الخالق وتكذيب رسله ومخالفة صريح

المعقول، والضلال المبين، الذي هو متتهى ضلال الضالين ، وكفر الكافرين . فقد تبين أن قول من نفى الصفات أو شيئا منها لأن اثباتها تجسيم قول لا يمكن أحد أن يستدل به بل ولا يستدل أحد على تنزيه الرب عن شيء من النقائص بأن ذلك يستلزم التجسيم لانه لا بد أن يثبت شيئا يلزمه فيما اثبتته نظير ما ألزمه غيره فيما نفاه . وإذا كان اللازم في الموضعين واحدا وما أجاب هو به أمكن المنازع أن يجيب مثله لم يمكن أن يثبت شيئا وينفي شيئا على هذا التقدير وإذا انتهى إلى التعطيل المحض كان ما ألزمه من تجسيم الواجب بنفسه القديم أعظم من كل تجسيم نفاه ، فعلم أن مثل الاستدلال على النفي لما يستلزم التجسيم لا يضمن ولا يغني من جوع انتهى من كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى .

(وأما قوله) نعم إن الجسم يرى بالابصار كما قال ، ولكن اثبات الجسم له تعالى بهذا المعنى تنزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما ينافي الوهيته .

(فيقال) قد تقدم أنا لا تثبت الجسمية بهذا المعنى لأن اثبات الصفات لا تستلزم الجسمية لأن الموصوف به ليس بجسم ، وقد تقدم بيان ذلك وإن اثباتها ليس بنقص يجب تنزيه الله عنه بالعقل والنقل مع أنا لا نسلم أن الجسم بهذه الاوضاع الاصطلاحية الحادثة مجمع على صحته عند العقلاء ، بل قد تنازعوا في ذلك مع مخالفته لصريح اللغة فإن الجسم معناه في لغة العرب هو البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسم سواه ، فلا يقال للهوى جسم لغة ، ولا للنار ، ولا للماء ، فهذه اللغة وكتبها بين أظهرنا .

(وأما قوله) أما عقلا فلأن الرؤية كما تحقق في علم البصر إنما تتم بوقوع أشعة النور على سطح المرئي وانعكاسها عنه إلى البصر فيلزم منه كون المرئي ذا سطح وذلك يستدعي تركيبه من أجزاء إلى آخره .

فالجواب أن يقال هذا العقل فاسد بالعقل والنقل ، أما فساد بالعقل فلأنه ليس في المعقول أن كل مرئي لا يكون إلا مركبا من المادة والصورة أو من الجواهر الفردة لأن أكثر العقلاء ينكرون هذا ولا يثبتونه في الممكنات ، فكيف بفاطر الارض والسموات؟ وإذا كان في اعتقاد هذا النافي أن الجسم يستلزم مماثلة سائر

الاجسام ويستلزم أن يكون مركبا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة ، واكثر العقلاء يخالفونه ، فالتلازم منتف باتفاق الفريقين وهو المطلوب ، فاذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفي عن الله شرعا وعقلا بقي بحثهم في الجسم الاصطلاحي هل هو مستلزم لهذا المحذور ، وهو بحث عقلي كبحث الناس في الأراض هل تبقى أولا تبقى وهذا البحث العقلي لم يرتبط به دين المسلمين ، بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر عن السلف بلفظ الجسم في حق الله تعالى لانفيا ولا اثباتا فليس لاحد أن يتدعرا اسما مجملا محتمل معاني مختلفة لم ينطق به الشرع ويعلق به دين المسلمين وقد تقدم بيان هذا .

(ويقال أيضا) كل ما يستدعى تركيبه من أجزاء متفرقة - كما يقوله الفلاسفة والمتكلمون - أو من الجواهر الفردة - كما يقوله كثير من أهل الكلام - ممنوع ، لأن جمهور العقلاء عندهم أن الاجسام المحدثه ليست مركبة لامن هذا ولا من هذا ، فلو كان فوق العرش جسم مخلوق ومحدث لم يلزم أن يكون مركبا بهذا الاعتبار فكيف ذلك في حق خالق الفرد والمركب ، الذي يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ، ويؤلف بين الأشياء فيركبها كما يشاء ؟ والعقل انما دل على اثبات إله واحد ورب واحد لا شريك له ، ولا شبيه له ، (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) ولم يدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له ، ولا صفة له ، ولا وجه له ، ولا يدين ولا هو فوق خلقه ، ولا يصعد اليه شيء ، ولا ينزل منه شيء ، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هي كذب على الوحي . قاله ابن القيم رحمه الله فهذا ما نفاه العقل

وأما النقل ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر » قالوا : لا يا رسول الله ، قال « هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحب » قالوا : لا ، قال « فانكم ترونه كذلك » الحديث بطوله ، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا المرئي بالمرئي وفي لفظ في الصحيح « إنكم ترون ربكم عيانا » فاجبر ان انراه عيانا بأبصارنا

(وأما قوله) وأما نقلا فلقوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار)
 فالجواب أن يقال : است ممن يعرف أدلة النقل الماثورة عن السلف الصالح
 ولا تعرف ما ذكره المفسرون على هذه الآية كما أنك لا تعرف من الأدلة العقلية
 إلا ما يذكره الفلاسفة والمتكلمون الخارجون عن سبيل المؤمنين ، وأما ما يذكره
 أهل السنة والجماعة من المعقولات والمقوليات فاست منه في شيء . قال شيخ
 الاسلام رحمه الله تعالى بعد ذكره أقوال الفرق المخالفة ، قال : وأما الصحابة
 والتابعون وأئمة الاسلام المعروفون بالامامة في الدين كمالك والثوري والاوزاعي
 والليث بن سعد واحمد واسحاق وابي حنيفة وابي يوسف وأمثال هؤلاء وسائر
 أهل السنة والحديث ، والطوائف المنتسبين إلى السنة والجماعة ، كالكلابية ،
 والكرامية ، والاشعرية ، والسالمية وغيرهم ، فهؤلاء كلهم متفقون على اثبات
 الرؤية لله تعالى والاحاديث متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم
 بحديثه ، وأما احتجاج النفاة بقوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار)
 فالآية حجة عليهم لاهم لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية
 المقيدة بالاحاطة والاول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال أنه أدركه كما
 لا يقال أحاط به ، كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال : أأنت ترى
 السماء ، قال بلى ، قال : أكلها ترى ، قال لا ، ومن رأى جوانب الجيش أو
 الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال أنه أدركها ، وإنما يقال أدركها إذا أحاط
 بها رؤية . ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك ، وإنما ذكرنا هذا بيانا لسند
 المنع ، بل المستدل بالآية عليه أن يبين أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية
 وأن كل من رأى شيئا يقال في لغتهم أنه أدركه ، وهذا لا سبيل اليه ، كيف وبين
 لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص ، فقد تقع رؤية بلا إدراك ، وقد يقع
 إدراك بلا رؤية ، أو اشتراك لفظي ، وأن الإدراك يستعمل في إدراك العلم ،
 وإدراك القدرة ، فقد يدرك الشيء بالقدرة ، وإن لم يشاهد كالأعمى الذي يطلب
 رجلا هاربا فأدركه ولم يره ، وقد قال تعالى (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب
 موسى أنا لم ندركوك * قال كلا ان معي ربي سيهدين) فنفى موسى الإدراك مع

اثبات اترائي، فعلم أنه قد يكون رؤية بلا ادراك، والادراك هنا هو ادراك القدرة أي ملحقون محاط بنا، وإذا انتفى هذا الادراك فقد تنقني احاطة البصر أيضاً ومما يبين ذلك أن الله تعالى ذكر هذه الآية يمدح بها نفسه سبحانه وتعالى ومعلوم أن كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح لأن النفي المحض لا يكون مدحاً إن لم يتضمن أمراً ثبوتياً لأن المعلوم أيضاً لا يرى، والمعلوم لا يمدح، فعلم أن مجرد نفي الرؤية لا مدح فيه وإن كان النفي هو الادراك فهو سبحانه لا يحاط به رؤية كما لا يحاط به علماً، ولا يلزم من نفي احاطة العلم والرؤية نفي الرؤية، بل يكون ذلك دليلاً على أنه يرى ولا يحاط به، فإن تخصيص الاحاطة يقتضي أن مطلق الرؤية ليس بمنفي، وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم، وقد روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره فلا تحتاج الآية إلى تخصيص ولا خروج عن ظاهر المعنى فلا نحتاج أن نقول لانراه في الدنيا، أو نقول لا تدركه الابصار، بل المبصرون، أو لا يدركه كلها بل بعضها، ونحو ذلك من الاقوال التي فيها تكلف (وأما قوله) ولا تعارض هذه الآية بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة) لأن كيفية رؤيته تعالى يوم القيامة مجهولة كما هو معتقد أهل الحق

فالجواب أن يقال هذه الآية لا تعارض الآية المتقدمة فان كلام الله لا يتعارض، بل يصدق بعضه بعضاً، قال البغوي رحمه الله في تفسيره على هذه الآية . قال ابن عباس وأكثر الناس تنظر إلى ربها عياناً بلا حجاب، وقال الحسن تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى الخالق . أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي أنا عبد الله بن أحمد الحمودي أخبرنا إبراهيم بن خريم الشاشي أخبرنا عبد الله بن حميد حدثنا شاذان عن إسرائيل عن ثوبان قال سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى جناته ، وأزواجه ، ونعيمه ، وخدمه ، وسرره ، مسيرة ألف سنة ، وأكثرهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) وهذا الحديث يطل تأويل

من تأول من الجهمية والمعتزلة وأشباههم ، ويبطل أيضاً قول هذا الملحد في قوله ويدل على ذلك قوله وجوه ولم يقل عيون

(وأما قوله) كما هو معتقد أهل الحق فيمكن أن تكون الرؤية يومئذ بنوع من الانكشاف والتجلي من غير حاجة للباصرة ، ولا محاذاة لها ، ويدل على ذلك قوله وجوه ، ولم يقل عيون ، وفي قوله (ناضرة) ما يفصح عن فضول السرور التام لها بذلك الانكشاف

فالجواب أن نقول إن أهل الحق عند هذا الملحد غلاة الجهمية كاللرسي وأشباهه وكالمعتزلة والرافضة وهم عند أهل السنة والجماعة من أكفر أهل الأرض ، بل هم أهل الباطل المحض ، وهؤلاء الملاحدة يؤولون الآيات والأحاديث الواردة في ذلك كقولهم هي زيادة علم وانكشاف بحيث نعلم ضرورة ما كان يعلم نظراً وهذا الملحد نحاسو هؤلاء الملاحدة بهذه التأويلات الباطلة الخارجة عن أقوال سلف الأمة وأئمتها . وإذا تبين ذلك فاضافة النظر الى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة الى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقة موضوعه في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه الى الرب جل جلاله فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديته بنفسه فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله (انظرونا نقبس من نوركم) وإن عدى بقي فمعناه التفكير والاعتبار كقوله (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) وإن عدى بالي فمعناه المعاينة بالابصار كقوله تعالى (انظروا الى ثمرة اذا أثمر) فكيف اذا أضيف الى الوجه الذي هو محل البصر ؟ ويؤيد ذلك الحديث الذي في الصحيح قوله « انكم ترون ربكم عيانا » فأخبرنا نراه عيانا بأبصارنا ، وقد أخبرنا الله أنه قد استوى على العرش فهذه النصوص يصدق بعضها بعضها والعقل أيضاً يوافقها ويدل على أنه سبحانه مبين لمخلوقاته فوق سمواته . وإن وجود موجود لا مبين للعالم ولا مجانس له محال في بديهة العقل فاذا كانت الرؤية مستلزمة لهذه المعاني فهذا حق واذا سميتم أنتم هذا قولاً بالجهة وقولاً بالتجسيم لم يكن هذا القول نافياً لما علم بالشرع والعقل إذ كان معنى هذا القول والحال هذه

ليس منتفيا لا بشرع ولا عقل فان تسميتكم ماسمية، وه وجها وتجسيدا اسما، سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وما أحسن ما قال عبد العزيز بن عبد الله ابن أبي سلمة الماجشون أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبي ذئب فقال رحمه الله في كلام له سنذكره إن شاء الله تعالى فلم يزل يملئ له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر الى وجهه ونظرتهم إياه في مقعد صدق عند مليك مقتدر قد قضى انهم لا يموتون فهم بالنظر اليه ينظرون الى ان قال وقد عرف انه اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا قبل ذلك مؤمنين به وما كان له جاحداً انتهى

فصل

قال العراقي ثم قال - أي صاحب الدين الخالص - وان اردتم بالجسم ما يشار اليه اشارة حسية فقد أشار أعرف الخلق بالله تعالى اليه بأصبعه رافعا لها الى السماء الى آخره - قال العراقي - فأقول ان بداهة العقل حاكمة بأن المشار اليه بالاشارة الحسية لا بد أن يكون في جهة ومكان وان يكون مرثيا وكل ذلك مستحيل على الله تعالى لانه تعالى لو كان في مكان أو جهة لزم قدم المكان أو الجهة وقد قام البرهان على أن لا قديم سوى الله تعالى

والجواب ان يقال (أولا) أن بداهة العقل حاكمة بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به وحاكمة بان من رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله أو أنهم فيما فعله وأمر به فهو كافر حلال المال والدم وقام البرهان من الكتاب والسنة على أن الله يرى في الآخرة عيانا كما ترى الشمس والقمر وهذا ليس بمستحيل في العقول الصحيحة الموافقة لصريح المنقول عن الرسول ونحن نعلم بضرورة العقل ان الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول ، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتقاؤه بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته وقام البرهان من الكتاب والسنة على ان الله تعالى قدس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه فمن قال غير

هذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .
ويقال ثانيا لهؤلاء الملاحدة ماتعنون بان هذا اثبات للجهة والجهة فممتنعة ؟
أتعنون بالجهة امرا وجوديا او امرا عدميا ؟ فان اردتم امراً وجوديا وقد علم أنه
مأمم موجود الا الخالق والمخلوق والله فوق سمواته بائن من مخلوقاته لم يكن والحالة
هذه في جهة موجودة فقولكم إن المرثي لا بد أن يكون في جهة موجودة قول باطل
فان مسطح العالم مرثي وليس هو في عالم آخر وان فسرتم الجهة بامر عدمي كما
تقولون ان الجسم في حيز والحيز تقدير مكان وتجعلون ما وراء العالم حيزاً - فيقال
لكم الجهة والحيز اذا كان امرا عدميا فهو لا شيء ، وما كان في جهة عدمية او حيز
عدمي فليس هو في شيء ، ولا فرق بين قول القائل هذا ليس في شيء وبين
قوله هو في العدم او امر عدمي فاذا كان الخالق تعالى مبائنا للمخلوقات عالياً
عليها ومأمم موجود الا الخالق أو المخلوق لم يكن معه غيره من الموجودات فضلا
عن أن يكون هو سبحانه في شيء ، موجود يحصره أو يحيط به فطريقة السلف
والأئمة انما يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل ويراعون أيضاً
الالفاظ الشرعية فيعتدون بها ما وجدوا اليها سبيلاً ، ومن تكلم بما فيه معنى
باطل بخالف الكتاب والسنة ردوا عليه ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً
نسبوه الى البدعة أيضاً وقالوا انه قابل بدعة ببدعة ورد باطلا بباطل انتهى من كلام
شيخ الاسلام ابن تيمية وقد تبين لكل من له أدنى مسكة من عقل ومعرفة ان ما
الزم به هذا الملحد من هذه اللوازم من لفظ المكان والجهة وقوله لو كان في مكان
لكان محتاجا الى مكانه الى آخر ما هبذي به في كلامه انها من أقوال الجهمية
والمعتزلة والفلاسفة والمتكلمين وقد تقدم الكلام عليها

وأما لفظ المكان فقال شيخ الاسلام رحمه الله وأما القائل الذي يقول ان
الله تعالى لا ينحصر في جوف المخلوقات وانه لا يحتاج الى شيء منها فقد أصاب
وان أراد أن الله سبحانه وتعالى ليس فوق السموات ولا هو مستو على العرش
استواء لا ثقابذاته وليس هناك إله يعبد ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يعرج به الى
الله تعالى فهذا جهمي فرعوني معطل ومنشأ الضلال أن يظن الظان ان صفات

الرب سبحانه كصفات خلقه فيظن ان الله تعالى على عرشه كملك المخلوق على سريرته فهذا تمثيل وضلال، وذلك ان الملك مفتقر الى سريرته ولو زال سريرته لسقط والله عز وجل غني عن العرش وعن كل شيء وكل ما سواه محتاج اليه وهو حامل العرش وحملته العرش وعلوه عليه لا يوجب افتقاره اليه فان الله تعالى قد جعل المخلوقات عاليا وسافلا وجعل العالي غنيا عن السافل كما جعل الهواء فوق الارض وليس هو مفتقر اليها وجعل السماء فوق الهواء وليست محتاجة اليه فالعالي الأعلى رب السموات والارض وما فيهما اولى أن يكون غنيا عن العرش وسائر المخلوقات وان كان عالياً عليه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً والاصل في هذا الباب ان كل ما ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وجب التصديق به مثل علو الرب واستوائه على عرشه ونحو ذلك وأما الالفاظ المبتدعة في النفي والاثبات مثل قول القائل هو في جهة أو ليس في جهة وهو متعيز أو ليس متعيزاً ونحو ذلك من الالفاظ التي تنازع فيها الناس وليس مع أحد منهم نص لاعتقاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة رضي الله عنهم ولا عن التابعين لهم باحسان ولا أئمة المسلمين هؤلاء لم يقل أحد منهم ان الله تعالى في جهة ولا قال ليس هو في جهة ولا قال هو متعيز ولا قال ليس بمتعيز بل ولا قال هو جسم أو جوهر ولا قال ليس بجسم ولا بجوهر فهذه الالفاظ ليست منصوصة في الكتاب ولا السنة ولا الاجماع الى آخر كلامه رحمه الله تعالى

(وأما قوله) وأيضاً لو جاز ان يشار اليه بالاشارة الحسية لجاز ان يشار اليه من كل نقطة من سطح الارض وحيث ان الارض كرية يلزم ان يكون سبحانه محيطاً بها من جميع الجهات وإلا ما صحت الاشارة اليه ولما كان تعالى مستوياً على عرشه ومستقراً عليه كما تزعمه الوهابية كان عرشه محيطاً بالسموات السبع فيلزمه من نزوله الى السماء الدنيا وصعوده منها كما تقوله الوهابية ان يصغر جسمه تعالى عند النزول ويكبر عند الصعود فيكون متغيراً من حال الى حال تعالى الله عما يقول الجاهلون

فالجواب أن تقول قد أشار اليه بالاشارة الحسية اعرف الخلق به بأصبعه

رافعا بها الى السماء بمشهد الجمع الاعظم مشهد آله وهو سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام وهو أعلم الناس بربه وأعظم تنزيها له وتقديسا وتعظيما . ولما كان هذا العراقي جهما معتزليا واعتقد أن الارض اذا كانت كرية انه يلزم أن يكون الله سبحانه محيطا بها من جميع الجهات والا ماصحت الاشارة اليه وكلام العراقي يقتضي أن يكون الله تعالى تحت بعض خلقه واذا كان ذلك من كلامه مفهوما فقد قال شيخ الاسلام في بعض أجوبته : وقد يظن بعض الناس ان ما جاءت به الآثار النبوية من أن العرش سقف الجنة وان الله على عرشه مع مادات عليه من أن الافلاك مستديرة متناقض أو مقتض أن يكون الله تعالى تحت بعض خلقه كما احتج بعض الجهمية على انكار ان يكون الله تعالى فوق العرش باستدارة الافلاك وان ذلك يستلزم كون الرب تعالى أسفل ، وهذا من غلطهم في تصور الامر ومن علم أن الاجسام المستديرة بان المحيط الذي هو السقف هو أعلا عليين وان المركز الذي هو باطن ذلك وجوفه وهو قعر الارض وهو سجين وأسفل سافلين علم بسبب مقابلة الله تعالى بين أعلا عليين وبين سجين مع أن المقابلة انما تكون في الظاهر بين العلو والسفول أو بين السعة والضيق وذلك أن العلو مستلزم للسعة والضيق مستلزم للسفول وعلم أن السماء فوق الارض مطلقا لا يتصور أن تكون تحتها قط وان كانت مستديرة محيطة وكذلك كلما علا كان ارفع واشمل وعلم أن الجهة قسمان قسم ذاتي وهو العلو والسفول فقط وقسم إضافي وهو ما ينسب الى الحيوان بحسب حركته فما امامه يقال له امام وما خلفه يقال له خلف وما عن يمينه يقال له اليمين وما عن يساره يقال له اليسار وما فوق رأسه يقال له فوق وما تحت قدميه يقال له تحت وذلك امر اضافي أرأيت لو ان رجلا علق رجلاه الى السماء ورأسه الى الارض أليست السماء فوقه وان قابلهما برجليه وكذلك النملة وغيرها لو مشي تحت السقف مقابلا له برجليه وظهره الى الارض لكان العلو محاذيا لرجليه وان كان فوقه فاسفل سافلين ينتهي الى جوف الارض والكواكب التي في السماء وان كان بعضها محاذيا لرؤسنا وبعضها في النصف الاخر من الفلك فليس شيء منها تحت شيء بل جميعها فوقنا في السماء ولما كان الانسان اذا تصور هذا يبقى الى

وهو السفلى الاضافي كما احتج به الجهمي الذي أنكر أن الله على عرشه وخيل الى من لا يدري ان من قال ان الله فوق العرش فقد جعله تحت نصف المخلوقات أو جعله فلما آخر تعالى الله عما يقول الجاهل انه لازم لأهل الاسلام من الامور التي لا تليق بالله تعالى ولا هي لازمة

وقال أيضاً : واعلم أن العرش إن كان هذا الفلك التاسع أو جسماً محيطاً به ، أو كان فوقه من جهة وجه الارض محيطاً به ، أو قيل فيه غير ذلك فيجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض » وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « يطوى الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول انا الملك أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الارضين بشماله ، ثم يقول أين الملوك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ » وفي لفظ ويتميل برسول الله صلى الله عليه وسلم على يمينه وعلى شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفله شيء . وفي رواية أخرى قال : قرأ على المنبر (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية . قال « مطوية في كف يرمي بها كإرمي الغلام بالكرة » ففي هذه الاحاديث وغيرها المتفق على صحتها ما بين أن السموات والارض وما بينهما بالنسبة إلى عظمته عز وجل أصغر من أن تكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير في يد أحدنا حتى يدحوها كما تدحى الكرة ، ثم قال في الجواب فما وصف الله تعالى من نفسه وأسمائه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه كما سماه ولم نتكلف علم ما سواه فلا نجحد ما وصف ، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف ، وإذا كان كذلك فهو قادر على أن يقبضها ويدحوها كالكرة ، وفي ذلك من الاحاطة بها ، ما لا يخفى وإن شاء لم يفعل ، وبكل حال فهو مبين لها ليس بمحيث لها . ومن المعلوم أن الواحد ما والله المثل الأعلى إذا كان عنده خردة إن شاء قبضها

فأحاطت بها قبضته وإن شاء لم يقبضها ، بل جعلها تحته فهو في الحالين مبين لها
وسواء قدر أن العرش محيط بالخلق كحاطة الكرة بما فيها ، أم قيل أنه فوقها
وليس محيطاً بها كوجه الأرض الذي نحن عليها بالنسبة إلى جوفها ، أو كالتبعية
بالنسبة إلى ما تحته أو غير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق المخلوقات والخالق
سبحانه فوقه ، والعبد في توجهه إليه عز وجل يقصد العلو دون التحت ، ثم قال
رحمه الله : وأما إذا قدر أنه ليس بكري الشكل ، بل هو فوق العالم من الجهة التي هي
وجه الأرض وأنه فوق الأفلاك الكرية كما أن وجه الأرض الموضوع للأنام فوق
نصف الأرض الكري أو غير ذلك من التقادير التي يقدر فيها أن العرش فوق
ماسواه ، فعلى كل تقدير لا يتوجه إلى الله تعالى إلا إلى العلو مع كونه على عرشه
مبائناً لخلق ، وعلى ما ذكرنا لا يلزم شيء من المحذور والتناقض وهذا يزيل كل
شبهة نشأت من اعتقاد فاسد وهو أن يظن أن العرش إذا كان كرياً والله تعالى
فوقه كما تقتضيه ذاته سبحانه عن مشابهة المخلوقين وجب فيما عند الزاعم أن يكون
سبحانه كرياً ، ثم يعتقد أنه إذا كان كرياً فيصح التوجه إلى ما هو كري كالفلك
التاسع من جميع الجهات وهذا خطأ ، فإن القول بأن العرش كري لا يجوز أن يظن
أنه مشابه للأفلاك في أشكالها ، وفي أقدارها ، أو في صفاتها ، بل قد تبين أنه
سبحانه أعظم وأكبر من أن تكون المخلوقات عنده أصغر من الحصاة مثلاً في يد
أحدنا ، فإذا كانت الحصاة مثلاً في يد الإنسان أو تحته أو نحو ذلك هل يتصور
عقل إذا استشعر على الإنسان على ذلك وأحاطته به بأن يكون الإنسان كالفلك
فالله تعالى وله المثل الأعلى أعظم من أن يظن به ذلك ، وإنما يظنه الذين لم يقدروا
الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
سبحانه وتعالى عما يشركون وإن لم يكن كرياً فالأمر ظاهر مما تقدم انتهى

فصل

(وأما قول العراقي) ولما كان تعالى مستويا على عرشه ومستقراً عليه كما تزعمه الوهابية كان عرشه محيطاً بالسموات السبع فيزعم من نزوله إلى السماء وصعوده منها كما تقوله الوهابية أن يصغر جسمه تعالى عند النزول ويكبر عند الصعود فيكون متغيراً من حال إلى حال تعالى الله عما يقول الجاهلون فالجواب أن يقال قد كان من المعلوم أن هذا الجهمي لا يعرف من صفات الخالق إلا ما يعرف من صفات المخلوقين . انه ما عرف الله حق معرفته ، ولا قدره حق قدره ، ولا عظمه حق عظمته ، فذلك نزوه عما يليق بجلاله وعظمته ، وألزم من أثبت ما وصف الله به نفسه ، وما وصفه به رسوله باللاوازم التي لا تليق إلا بالمخلوق ولا تليق بالخالق ، مما قد علم أهل العلم بالله أنهم من اوضاع الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والمتكلمين الذين هم ورثتهم ، وذلك أن في أصول ضلالهم ظنهم أن هذا تنزيه عن التشبيه وأنهم متى وصفوا بصفة اثبات أو نفي كان فيه تشبيه بذلك ولم يعلموا أن التشبيه المنفي عن الله ابعد مما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين أو ان يجعل شيء من صفاته مثل صفات المخلوقين بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم أو يجب له ما يجب لهم ، او يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقاً ، فان هذا هو التمثيل الممتنع منه المنفي بالعقل مع الشرع فيمتنع عليه وصفه بشيء من النقائص ويمتنع مماثلة غيره له في شيء من صفات الكمال فهذان إجماع لما ينزهه الرب تعالى عنه فاذا علمت ذلك فالوهابية لا يقولون بشيء من هذه الاقوال ولا يعتقدونها ، ولا يدينون الله بها ، فان جمهور أهل السنة يقولون أنه ينزل ولا يخلو من العرش كما نقل ذلك عن اسحاق ابن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما وتقلوه عن احمد بن حنبل في رسالته ، وهم متفقون على أن الله ليس كشيء شيء وأنه لا يعلم كيف ينزل ، ولا تمثل صفته بصفات خلقه فلا يلزم الوهابية شيء من هذه اللوازم الباطلة ، وقولهم واعتقادهم في ذلك قول أهل السنة والجماعة كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف لأن الله وصف نفسه فابلق فقال (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ،

ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة ابلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل ، وكما شاء أن يباهي ، وكما شاء أن يطلع ، وكما شاء أن يضحك ، فليس لنا أن نتوهم فيه كيف وكيف ، وإذا قال لك الجهمي انا اكفر برب يزول عن مكانه ، قل أنت انا أو من برب يفعل ما يشاء .

وقال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون وهو أحد الائمة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبي ذئب وقد سئل عما جحدت به الجهمية ، أما بعد فقد فهمت ماسألت فيما تتبأث الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتدبير وكلت الألسن عن تفسير صفته وانحسرت العقول دون معرفة قدرته وردت عظمته العقول فلم تجد مساعداً فرجعت خاسئة وهي حسيرة وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير وإنما يقال لمن لم يكن مرة ثم كان ، فاما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فانه لا يعلم كيف هو الا هو وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لم يمت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شيء منه حداً أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين لاحق أحق منه ولا شيء ايبين منه الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصفر خلقه لا تكاد تراه صفراً يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك واخفى عليك فإظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير ، اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة مالم يصف الرب من نفسه لعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها إذ لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم مالم يصف هل تستدل بذلك على شيء من طاعته أو تنزجر به عن شيء من معصيته فاما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا قد استهونه الشياطين في الأرض حيران فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف به الرب وسمى من نفسه بان قال لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا ، فعبي عن البين بالخفي وبجحد ما وصف الرب من نفسه بصمت الرب عما لم نسم منها فلم يزل يعملي له الشيطان حتي جحد قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)

فقال لا يراه أحد يوم القيامة فحمد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ، ونظرته أياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، قد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنظر اليه ينظرون الى أن قل ، وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة اقامة للحجة الضالة المضلة لانه قد عرف أنه اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا قبل ذلك مؤمنين به وكان له جاحداً وقال المسلمون يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا قال « فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا لا قال « فانكم ترون ربكم يومئذ كذلك » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تملي ، النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتنول ، قط قط وينزوي بعضها إلى بعض » وقال الثابت بن قيس « لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة » وقال فيما بلغنا « إن الله تعالى ليضحك من أزلكم وقذوكم وسرعة اجابتكم » فقال لهرجل من العرب : إن ربنا ليضحك ؟ قال « نعم » قال لن نعدم من رب يضحك خيراً . في اشباه لهذا مما لا نحصىه وقال تعالى (وهو السميع البصير * واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) وقال (ولتصنع على عيني) وقال تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال تعالى (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) فوالله ما دلهم على عظم ما وصف به نفسه وما تحيط به قبضته الا صغر نظرها منهم عندهم ، ان ذلك الذي القى في روعهم ، وخلق على معرفته قلوبهم ، فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه ، ولم نتكلف منه صفة ما سواه ، لهذا ولهذا لا نجحد ما وصف ، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف ، اعلم رحمك الله أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهى بك ولا تجاوز ما حد لك ، فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر ، فما بسطت عليه المعرفة ، وسكنت اليه الافئدة ، وذكر أصله في الكتاب والسنة ، وتوارثت علمه الأمة ، فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً ، ولا تكلفن لما وصف لك من ذلك قدراً ، وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ، ولا في حديث عن نبيك من ذكر صفة ربك ، فلا تتكلفن

علمه بعقلك ، ولا تصفه بلسانك ، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه ، فإن تكلفك معرفة مالم يصف من نفسه كانكارك ما وصف منها ، فكما أعظمت ما جحدك الجاحدون مما وصف من نفسه ، فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ، فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف ، وينكرون المنكر وبانكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم ، ولا يكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن ، وما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سماه من صفة ربه ، فهو بمنزلة ماسمى ووصف الرب تعالى من نفسه ، والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم ؛ الواصفون لربهم ما وصف من نفسه ، التاركون لما ترك من ذكرها ، لا ينكرون صفة ماسمى منها جحدا ، ولا يتكافون وصفه مما لم يسم تعمقا ، لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ماسمى (ومن يتبع^(١) غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وهب الله لنا ولكم حكما والحثنا بالصالحين قال شيخ الاسلام وهذا كله كلام ابن الما جشون الامام فتدبره وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقا لغيره من الاثمة ؟ وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزمهم من اثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية أنه يلزم أن يكون جسما أو عرضا فيكون محدثا انتهى فتحصل لنا مما ذكره ائمة الاسلام ، وقدوة الانام ، أن هذا الملحد جهمي معتزلي وهذا يكفي العاقل من ضلاله وعتوه وخروجه عن الصراط المستقيم والحمد لله رب العالمين .

فصل

قال العراقي وأما ما تمسكت به الوهابية من النقول التي تثبت الاشارة اليه تعالى فهي ظواهر ظنية لا تعارض اليقينية فتؤول اما اجمالا ويفوض تفصيلها إلى الله كما عليه أكثر السلف واما تفصيلا كما هو رأي الأكثرين فما ورد من

(١) نص الآية (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير

سبيل المؤمنين) الخ

الإشارة إليه في السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء وإن السماء مظهر قدرته ، اشتملت عليه من العوالم العظيمة التي لم تكن أرضنا الحقيرة الاذرة بالنسبة إليها وكذلك العروج إليه تعالى هو بمعنى العروج إلى موضع يتقرب إليه بالطاعات فيه إلى غير ذلك من التأويلات .

فالجواب أن نقول قد كان من المعلوم أن طريقة الوهابية التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال سلف الأمة وأئمتها فيثبتون ما أثبتته الله ورسوله وينفون ما نفاه الله ورسوله ولا يعترفون صواب ما ذهب إليه المتكلمون من تأويل آيات الصفات وأحاديثها حيث قالوا إن نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض اليقينية وما أشبه ذلك من التوهمات . وهذا الضرب من الناس هم الذين كثروا في باب الدين اضطرابهم . وغالط عن معرفة الله حجابهم ، وإذا كان أدلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض العقلية اليقينية فهلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الدهر أو أحد من سلف الأمة إن هذه الآيات والأحاديث ظواهر ظنية فلا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه عقولكم ومقاييسكم أو أولوها بكذا وكذا فانه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره وانظروا فيما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه لان العقل مقدم على النقل اذ هو أدلة . ثم كيف يجوز أن يقال في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يعلم زيد وعمر بعقله أنه باطل وأن يكون كل من اشتبه عليه شيء مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قدم رأيه على نص الرسول صلى الله عليه وسلم في انباء الغيب وما أخبر به عن ربه وما وصف به من صفات كماله ونعوت جلاله ، بمجرد رأيه بدون الاستهداء بهدي الله ، والاستضاءة بنور الله الذي أرسل به رسوله ، وأنزل به كتبه ، مع علم كل أحد بقصوره ، وتقصيره في هذا الباب ، وبما وقع فيه الاكثرون من الاضطراب ، ففي الجملة النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول قط ، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب ، وما علم أنه حق لا يعارضه ما فيه اضطراب واشتباه لم يعلم أنه حق ، بل نقول قولاً عاماً كلياً إن النصوص الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعارضها قط صريح معقول فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها وإنما

الذي يعارضها شبه وخيالات مبنها على معان متشابهة ، وألفاظ مجملة ، فتمت وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سوفسطية ، لا براهين عقلية

ثم كيف تكون أدلة كتاب الله وسنة رسوله ظواهر ظنية وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن عمار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انها ستكون قتن » قلت فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، وهو جبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء » وفي رواية « ولا يختلف به الآراء هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا (إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي إلى الرشـد) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » وهذا الملحد يقول ان أدلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات ، واليقينيات عنده نحاتة أفكار الفلاسفة ، وفروخ اليونان ، وورثة المجوس ، وزبالة أذهانهم

فالحمد لله الذي أخذ بنواصي الوهابية فلم يسلكوا طريقة هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ، بل سلك بهم طريق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسلف الأمة وأئمتها ، فله الحمد لا نحصى ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يثني عليه أحد من خلقه . قال شمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى في اغاثة اللہمان : ومن حيله ومكايده الكلام الباطل ، والآراء المتهافة ، والخيالات المتناقضة ، التي هي زبالة الأذهان ، ونحاتة الأفكار ، والزبد الذي تقذف به القلوب المظلمة المتحيرة التي تعدل الحق بالباطل ، والخطأ بالصواب ، قد تقاذفت بها أمواج الشبهات ، ورائت عليها غيوم الخيالات ، فركبها القيل والقال ، والشك والتشكيك ، وكثرة الجدال ليس لها حاصل من اليقين يعول عليه ، ولا معتمد مطابق للحق يرجع إليه ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، فقد اتخذوا لأجله ذلك القرآن مهجوراً ، وقالوا من عند أنفسهم فقالوا منكرآ من القول وزوراً ، فهم في شكهم يعمهون ، وفي حيرتهم

يترددون ، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تلتسه الشياطين على السنة أسلافهم من أهل الضلال فهم اليه محاكمون ، وبه مخلصون ، فارقوا الدليل (واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل)

ومن كيده بهم وتحيله على اخراجهم من العلم والدين أن ألقى على ألسنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تنفيذية ، وأوحى اليهم أن القواطع العقلية ، والبراهين اليقينية ، في المناهج الفلسفية ، والطرق الكلامية ، فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن ، وأحالهم على منطق يونان ، وعلى ما عندهم من الدعاوي الكاذبة العريضة عن البرهان ، وقال لهم تلك علوم قديمة صقلتها العقول والأذهان ، ومرت عليها القرون والأزمان ، فانظر كيف تلتطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الايمان كما أخرج الشعرة من العجين انتهى .

(وأما قوله) فتؤول اما اجمالاً ويفوز تفصيلها إلى الله تعالى كما عليه أكثر السلف فالجواب أن نقول : قد أجاب عن هذا الكلام شيخ الاسلام قدس الله روحه فقال : ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن تسطيره في هذه الفتوى وأضعافها يعرف ذلك من طلبه وتبعه ، ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السابقين كما يقوله بعض الاغبياء ممن لا يعرف قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة بالمأمور بها من أن طريقة السلف اسلم ، وطريقة الخلف اعلم وأحكم ، فان هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف ، انما اتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني) وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التي مضمونها نبذ الاسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال

بتصويب طريقة الخلف ، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دخلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها اخوانهم من الكافرين ، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الامر ، وكان مع ذلك لا بدّ للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمونها طريقة السلف ، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع التكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف ، فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع فان النفي انما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات ، والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه . فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين ، وكانت النتيجة استجهال السابقين ، واستبلاهم ، واعتقاد أنهم كانوا قوماً أميين بمنزلة الصالحين العامة لم يتجردوا في حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الالهي ، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله إلى أن قال - ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف اذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة له خبر ، ولم يقفوا من ذلك على عين ولا أثر ، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون ، الحيارى المتهوكون ، اعلم بالله وأسمائه وصفاته ، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين ، والمهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الانبياء ، وخلفاء الرسل ، وأعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الانبياء فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، وأحاطوا من حقائق المعارف ، وبواطن الحقائق ، بما لو جمعت حكمة نبيهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة ؟ ثم كيف يكون خير قرون الامة اتقوا في العلم والحكمة - لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته - من هؤلاء الاصاغر بالنسبة اليهم ؟ ام كيف يكون افراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركيين ، وضلال اليهود والنصارى والصابئين ، وأشكالهم وأشباههم ، اعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن . - وذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال :

فان كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً فكيف يجوز على الله ، ثم على رسوله ، ثم على خير الامة ، أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا ييوحون به قط ، ولا يدلون عليه لانصاً ولا ظاهراً ، حتى يجيء انباط فارس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للامة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكاف أو فاضل أن يعتقدوها؟ لان كل ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلمون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم ، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدي لهم وانفع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين ، فان حقيقة الامر على ما يقوله هؤلاء أنكم يامعشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفيًا وإثباتاً من الكتاب ، ولا من السنة ، ولا من طريق سلف الامة ، ولكن انظروا انتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن موجوداً ، وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به ،

ثم هم ههنا فريقان أكثرهم يقولون : ما لم تثبتة عقولكم فانفوه ، ومنهم من يقول : بل توقفوا فيه ، وما انفاه قياس عقولكم الذي انتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافًا أكثر من جميع اختلاف على وجه الارض فانفوه ، واليه عند التنازع فارجعوا ، فانه الحق الذي تعبدتم به ، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبتة ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا آتي امتحتكم لالتعلموا بتنزيله ، ولا لتأخذوا الهدى منه ، لكن لتجتهدوا في تخرجه على شواذ اللغة ، ووحشي الالفاظ ، وغرائب الكلام ، وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالة على شيء من الصفات . هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين : إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى

وقال أيضاً في موافقة العقل الصحيح للنقل الصريح : وهؤلاء الذين يعارضون الكتاب والسنة بأقوالهم بنوا أمرهم على أصل فاسد وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها هي الاقوال المحكمة التي جعلوها أصول دينهم وجعلوا قول الله ورسوله من المجهول الذي لا يستفاد منه علم ولا هدى ، فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه كما جعل الجهمية من المتفلسفة والمعتزلة ونحوهم ما أحدثوه من الاقوال التي نفوا بها صفات الله ، ونفوا بهارؤيته في الآخرة وعلوه على خلقه ، وكون القرآن كلامه ونحو ذلك جعلوا تلك الاقوال محكمة ، وجعلوا قول الله ورسوله مؤولاً أو مردوداً ، أو غير ملتفت اليه ولا متلقى للهدى منه ، فتجدهم يقولون : ليس بجسم ، ولا جوهر ، ولا عرض ، ولا له كم ولا كيف ، ولا تحمله الاعراض والحوادث ، ونحو ذلك ، وليس بمباين للعالم ، ولا خارج عنه — إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى

وسياتي الكلام على مسألة التفويض وبطلان قول من زعم أن هذه طريقة السلف . وبما ذكرناه هنا من كلام أهل العلم يتبين لكل منصف بطلان تأويل هذا الملحد بقوله فما ورد من الاشارة اليه في السماء محمول على انه تعالى خالق السماء وأن السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من العوالم العظيمة التي لم تكن أرضنا الحقيرة الاذرة بالنسبة اليها ، وكذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج الى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه الى غير ذلك من التأويلات ، وانه بهذا التأويل قد خرج عن سبيل المؤمنين ، وانتحل طريقة المتكلمين الذين ليس لهم قدم صدق في العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

ثم من العجب انه يدعي تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرمي الوهابية المعظمين له في الحقيقة بالتنقص للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قد تنقص رسول الله صلى الله عليه وسلم وهضمه أعظم الهضم وأشد التنقص بزعمه انه لم يعرج برسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله بذاته الى أن وصل فوق السماء السابعة ورأى من آيات ربه الكبرى ما رأى وانه ما زاغ منه البصر وما طغى لكماله عليه الصلاة

والسلام ، فله الحمد على ما من به من الايمان وبما أخبر به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يليق بالله وبنعوت جلاله وعظمته

فصل

قال العراقي الوهابية ونبذها للعقل لما كان صريح العقل وصحيح النظر مصادما كل المصادمة لما اعتقدته الوهابية اضطروا الى نبذهم العقل جانبا وأخذهم بظواهر النقل فقط وان نتج منه المحال ونجم عنه الغي والضلال فاعتقدوا متمسكين بظواهر الآيات ان الله تعالى ثبت على عرشه وعلاه علواً حقيقياً وان له تعالى وجها ويدان وأنه ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولا وصعوداً حقيقيين وأنه يشار اليه في السماء اشارة حسية بالأصبع الى غير ذلك مما يؤل الى التجسيم البحت (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) فالوهابية التي تسمى زائري القبور عباد الأوثان انما هي قد عبدت الوثن حيث انها جعلت معبودها جسماً كالحيوان جالساً على عرشه ينزل ويصعد نزولا وصعوداً حقيقيين وله وجه ، ويد ، ورجل ، وأصابع حقيقة مما يتنزه عنه المعبود الحق ، واذا رد عليهم بالبراهين العقلية وأثبت لهم أن ذلك مناف للألوهية عند العقل قالوا في الجواب لا مجال للعقل الحقير البشري في مثل هذه الأمور التي طورها فوق طور العقل فاشبهوا في ذلك النصارى في دعوى التثليث فأنك اذا سألتهم قائلاً كيف يكون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة قالوا ان معرفة هذا فوق طور العقل ولا يجوز إعمال الفكر في ذلك

والجواب أن يقال نعم لما كان صريح العقل من هؤلاء الملاحدة وصحيح النظر منهم على ما زعموه مصادما كل المصادمة لما اعتقدته الوهابية من التمسك بصريح الكتاب وصحيح السنة وصريحها والسلوك على طريقة سلف الأمة وأثمتها نبذوا ما جاءت به عقول هؤلاء الملاحدة من نخاعة الأفكار وزبالة الأذهان وريح المقاعد وراء ظهورهم ، ولم يلفتوا الى ما موهوا به من هذه الشبهات التي زعموا أنها عقليات و يقينيات فاعتقدوا متمسكين بنصوص الكتاب والسنة ان الله تعالى على عرشه وعلاه عليه علواً حقيقياً وأن الله تعالى له وجه ويدان ، وأنه

ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولا وصعوداً حقيقين على ما يليق بعظمته وجلاله وعظيم سلطانه كما يشاء أن ينزل وكما يشاء أن يصعد وأنه يشار اليه في السماء اشارة حسية بالأصبع كما أشار اليه أعرف الخلق به بأصبعه رافعاً الى السماء بمشهد الجمع الأعظم مستشهداً له لا للقبلة الى غير ذلك مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله لأن ذلك ليس بمستحيل في العقول الصحيحة الموافقة لصريح المنقول عن الرسول ونحن نعلم بضرورة العقل ان الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول فلا يخبرون بما يعلم العقل انتقاده بل يخبرون بمعجز العقل عن معرفته (وأما قوله) مما يؤل الى التجسيم البحت

(فنقول) ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، وأما من أثبت لله ما أثبتته لنفسه فذلك لا يؤل الى التجسيم فان القرآن قد دل على أنه ليس بجسم لانه احد ، والأحد الذي لا ينقسم ، وهو واحد والواحد لا ينقسم ، وهو صمد والصمد الذي لا جوف له فلا يتخلله غيره ، وإنما يؤل الى التجسيم ، من قال إن له وجهاً كوجهي ويدين كيدي مما يماثل صفات المخلوقين أو يشبهها بصفاتهم . بل نحن على مذهب السلف أهل السنة المحضة ، ونقول إن الله تعالى فوق عرشه حقيقة مع نفي اللوازم التي يلزم بها أعداء الله ورسوله أهل الحق وهي لا تلزم لا بعقل ولا بتقل ، وقد تقدم الكلام على ذلك

(وأما قوله) فاما الوهابية التي تسمى زائري القبور عباد الأوثان إنما هي عبدة الوثن حيث أنها جعلت معبودها جسماً كالحيوان جالساً على عرشه ينزل ويصعد نزولاً وصعوداً حقيقيين وله وجه ويد ورجل وأصابع حقيقة مما ينزه عنه المعبود الحق .

(فنقول) ما جعلت الوهابية زائري القبور مطاقاً لعباد الأوثان ومعاذ الله من ذلك وإنما جعلت الوهابية من أشرك بالله في عبادته غيره عابداً للوثن سواء زار القبور أو قعد في بيت أمه . وذلك بان يدعو مع الله أو يرجوه أو يخافه أو يحبه كمحبة الله أو يستغيث به أو يلتجئ اليه في رفع كربة أو كشف ملمة أو يطلب منه جلب منفعة أو يذبح له أو ينذر له الى غير ذلك من أنواع العبادة التي هي

مختصة بالله فمن أشرك بالله فيها أحداً من خلقه نبيا أو ملكا أو ولياً أو صالحا أو شجراً أو حجراً فهو مشرك بالله في عبادته غيره

(وقوله) إنما هي قد عبدت الوثن حيث أنها جعلت معبودها جسماً إلى آخره

(فاقول) قد تقدم نفى الجسمية عن الله تعالى والوهابية ما عبدت إلا إلهاً

واحداً أحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) ولا تعقل إلهاً أحداً صمداً

ليس على السماء فوق العرش بائناً من خلقه لا وجه له ولا يدين ولا ينزل إلى سماء

الدنيا ولا يصعد ولا يشار إليه في السماء ، وإنما تعقل إلهاً موجوداً واحداً فوق سماواته

بجميع أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وأنتم إنما معبودكم العدم المحض ولا تثبتون إلا

إلهاً مقدرآ في الأذهان لا حقيقة له في الخارج فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

(وأما كونه) جالساً على عرشه فقد جاء الخبر بذلك ، قال الامام عبد الله

ابن الامام أحمد في كتاب السنة في الرد على الجهمية : قال حدثني أبي وعبد الأعلى

ابن حماد النرسي ، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان عن أبي

اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه قال ، إذا جلس ربنا تبارك

وتعالى على الكرسي سمع له أديط كلطيظ الرحل الجديد ، وقد تقدم بيان ذلك

فخصدق بما قاله الله ورسوله ، وبما قاله الصحابة والتابعون لهم باحسان وما كان عليه

سلف الأمة وأئمتها وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون

لهم باحسان ، وأهل السنة والجماعة من أهل الحديث وغيرهم من الائمة المقتدين

والسادة المعظمين قد وصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، فهم

عند هذا الملحد الضال قد عبدوا وثناً بهذه اللوازم التي ابتدعها قدماء الفلاسفة

وورثتهم من المتكلمين الخارجين عن سبيل المؤمنين فلعنة الله على الظالمين

(ثم قال الملحد) وإذا رد عليهم بالبراهين العقلية وأثبت لهم أن ذلك مناف

للألوهية عند العقل قالوا في الجواب ، لا مجال للعقل الحقير البشري في مثل هذه

الأمور التي طورها فوق طور العقل فاشبهوا في ذلك النصارى في دعوى

التثليث إلى آخره .

(والجواب أن يقال) إن هذه البراهين التي تزعمون أنها عقلية إنما هي شبه

خيالية مبناها على معان متشابهة والفاظ مجملة، فتمى وقع الاستسفار والبيان ظهر أنها شبه سوفسطائية لأبراهين يقيدية عقلية، ودعواه أن من نفاها قد شابه في ذلك النصارى. والنصارى عليهم لعنة الله، انما نزعوا الى ما نزعوا اليه من أمر التثليث انما هو بمجرد عقولهم ونتائج قياساتهم وتركهم ما أنزله الله في كتبه على السنة رسوله وبغلوهم في أنبيائهم كما غلوهم أنتم في الانبياء والأولياء والصالحين فانتم الذين أشبهتم النصارى في دعوى التثليث فانهم انما أثبتوا ذلك بمجرد معقولاتهم ونتائج قياساتهم وقدموا حكم العقل على النقل الذي أنزله الله في كتبه وعلى السنة رسوله وأنتم نفيتهم ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من اثبات صفات كماله ونعوت جلاله بمجرد معقولاتكم ونتائج قياساتكم ونبذتم كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهوركم وزعمتم أن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لا تفيد اليقين وانما يفيد اليقين نتائج عقول الملاحدة التي هي نحاتة الأفكار وزبالة الأذهان وريح المقاعد فمن أشباه النصارى حينئذ إن كنتم تعلمون،

فصل

(ثم قال العراقي) لا ريب أنه إذا تعارض العقل والنقل أول النقل بالعقل اذ لا يمكن حينئذ الحكم بثبوت مقتضى كل منهما لما يلزم عنه من اجتماع النقيضين ولا بانتفاء ذلك لاستلزامه ارتفاع النقيضين لكن بقي أن يقدم النقل على العقل أو العقل على النقل والأول باطل لانه أبطل للأصل بالفرع، وإيضاحه أن النقل لا يمكن اثباته إلا بالعقل وذلك لان اثبات الصانع ومعرفة النبوة وسائر ما يتوقف صحة النقل عليه لا يتم الا بطريق العقل فهو أصل للنقل الذي يتوقف صحته عليه، فإذا قدم على العقل وحكم بثبوت مقتضاه وحده فقد أبطل الأصل بالفرع ويلزم منه ابطال الفرع أيضاً إذ تكون حينئذ صحة النقل متفرعة على حكم العقل الذي يجوز فسادده وإطلانه فلا يقطع بصحة النقل فلزم من تصحيح النقل بتقديمه على العقل عدم صحته واذا كان تصحيح الشيء منجزاً الى افساده كان مناقضاً لنفسه

فكان باطلا فاذا لم يمكن تقديم النقل على العقل بالدليل السابق فقد يعين تقديم العقل على النقل وهو المطلوب

(والجواب أن نقول) إذا تعارض النقل والعقل وجب تقديم النقل لان العقل مصدق للنقل في كل ما أخبر به والنقل لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل فالواجب رد ما أثبتته الى نصوص الكتاب والسنة ولا يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة أو بقول من يقول العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل والعقل أصل النقل فاذا عارضه قدمنا العقل، وهذا لا يكون قط لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك فإن كان النقل صحيحاً فذلك الذي يدعى أنه معقول انما هو مجهول، ولو حقق النظر لظهر ذلك وان كان النقل غير صحيح فلا يصلح المعارضة فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح ابداً وتعارض كلام من يقول ذلك بنظره

فيقال اذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل لان الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين ورفعهما رفع للنقيضين وتقديم العقل ممتنع لان العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فلو أبطلنا النقل لكننا قد أبطلنا دلالة العقل ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل لان ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الاشياء فكان تقديم العقل موجبا عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه وهذا بين واضح فان العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته وان خبره مطابق لمحبره فان جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحاً واذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يلزم أن يتبع بحال فضلاً عن أن يقدم فصار تقديم العقل على النقل قدحا في العقل فالواجب كمال التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم والالتقياد لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولا أو نحمله بشبهة أو شك أو تقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل وهو أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد بل هو دون ذلك بكثير فان العامي يمكنه أن يصير عالماً ولا يمكن العالم أن يصير نبياً رسولا

فاذا عرف العامي المقلد عالما فدل عليه عاميا آخر ثم اختلف المفتي والدال فان
المستفتي يجب عليه قبول قول المفتي دون الدال فلو قال الدال الصواب معي دون
المفتي لاني انا الأصل في علمك بأنه مفت فاذا قدمت قوله على قولي قدحت في
الأصل الذي به عرفت أنه مفت فلزم القدح في فرعه فيقول له المستفتي أنت لما
شهدت له بأنه مفت ودلت عليه شهدت له بوجود تقليده دونك فموافقتي لك
في هذا العلم المعين لا يستلزم موافقتك في كل مسألة وخطأك فيما خالفت فيه المفتي
الذي هو أعلم منك لا يستلزم خطأك في علمك لانه مفت هذا مع علمه ان ذلك
المفتي قد يخطأ والعقل يعلم أن الرسول معصوم في خبره عن الله تعالى لا يجوز
عليه الخطأ فيجب عليه التسليم له والالتقياد لأمره وقد علمنا بالاضطرار من دين
الاسلام أن الرجل لو قال للرسول هذا القرآن الذي تلقيه علينا والحكمة التي
جئتنا بها قد تضمنت كل منها أشياء كثيرة تناقض ما علمناه بعقولنا ونحن انما
علمنا صدقك بعقولنا فلو قبلنا جميع ما تقوله مع ان عقولنا تناقض ذلك لكان
ذلك قدحا فيما علمنا به صدقك فنحن نعتقد موجب الاقوال المناقضة لما ظهر من
كلامك وكلامك نعرض عنه لانتأق منه هديا ولا علما لم يكن مثل هذا الرجل
مؤمنا بما جاء به الرسول ولم يرض منه الرسول بهذا بل يعلم أن هذا لو ساع لا يمكن
كل أحد أن لا يؤمن بشيء مما جاء به الرسول إذ العقول متفاوتة والشبهات كثيرة
والشياطين لاتزال تلقى الوسواس في النفوس فيمكن كل أحد ان يقول مثل هذا
في كل ما أخبر به الرسول وما أمر به وقد قال تعالى (ما على الرسول الا البلاغ)
وقال (فهل على الرسول الا البلاغ المبين) وقال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بآسان
قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين - حم - والكتاب المبين - تلك آيات الكتاب المبين - ما كان حديثا يفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون -
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ونظائر
ذلك كثيرة في القرآن فأمر الايمان بالله واليوم الآخر اما أن يكون الرسول تكلم
فيه بما يدل على الحق أم لا (الثاني) باطل وان كان قد تكلم على الحق بالفاظ مجملة

محتملة قبله بالبلاغ المبين وقد شهد له خير القرون بالبلاغ وأشهد الله عليهم بالموقف الاعظم فمن يدع أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين فقد اقترى عليه صلى الله عليه وسلم وفي المعلوم بالاضطرار ان عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل عقول أهل الارض على الاطلاق فلو وزن عقله بعقولهم لرجحها وقد أخبر الله أنه قبل الوحي لم يكن يدر الايمان كما لم يكن يدري الكتاب فقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) وقال تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر سورة الشورى فاذا كان عقل الخلق على الاطلاق انما حصل له الهدى بالوحي كما قال تعالى (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب) فكيف يحصل لسفهاء العقول واخفاء الاحلام الاهتداء الى حقائق الايمان بمجرد عقولهم دون نصوص الوحي حتى اهتدوا بذلك الهداية الى المعارضة بين العقل ونصوص الانبياء (لقد جئتم شيئا إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً) وقد سئل شيخ الاسلام عن مثل ما أورده هذا الملحد فقال قول السائل اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات فاما أن يجمع بينهما وهو محال لانه جمع بين النقيضين واما ان بردا جميعا واما ان يقدم السمع وهو محال لان العقل اصل النقل فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذي هو اصل النقل والقدح في اصل الشيء قدح فيه فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا فوجب تقديم العقل ثم النقل اما ان يتأول واما ان يفوض واما اذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعها قال رحمه الله تعالى وهذا الكلام قد جعله الرازي واتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله وكلام انبيائه ومالا يستدل به ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الانبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم في صفات الله تعالى وغير ذلك من الامور التي أنبأوا بها وظن هؤلاء أن العقل يعارضها

وقد يضم بعضهم الى ذلك ان الادلة السمعية لا تفيد اليقين الى ان قال ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء، يضم كل فريق لانفسهم قانونا فيما جاءت به الانبياء عن الله فيجعلون الاصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا ان عقولهم عرفته ويجعلون ما جاءت به الانبياء تبعا فما وافق قانونهم قبلوه وما خالفه لم يتبعوه وهذا يشبه ما وضعه النصارى من أمانتهم التي جعلوها عقيدة ايمانهم وردوا التوراة والانجيل اليها لكن تلك الامانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الانبياء أو ما بلغهم عنهم وغلطوا في الفهم أو في تصديق الناقل كسائر الغالطين فمن يحتاج بالسمعيات فان غلطه اما في الاسناد واما في المتن وأما هؤلاء فقد وضعوا قوانينهم على ما رواه بعقولهم وقد غلطوا في الرأي والعقل فالنصارى أقرب الى تعظيم الانبياء والرسول من هؤلاء لكن النصارى يشبههم من ابتدع بدعة بفهمه الفاسد من النصوص أو بتصديقه النقل الكاذب عن الرسول كالخوارج والوعيدية والمرجئة والامامية وغيرهم بخلاف بدعة الجهمية والفلاسفة فانها مبنية على ما يقرون هم بأنه مخالف للمعروف من كلام الانبياء ثم ذكر طريقة أهل التبديل وطريقة أهل التجهيل وطريقة أهل التحريف والتأويل وقد تقدم منه طرفا الى أن قال وجماع الامر ان الادلة نوعان شرعية وعقلية فالمدعون لمعرفة الآلهيات بعقولهم من المنتسبين الى الحكمة والكلام والعقليات يقول من يخالف نصوص الانبياء منهم ان الانبياء لم يعرفوا الحق الذي عرفناه أو يقولون عرفوه ولم يبينوه للخلق كما بيناه بل تكلموا بما يخالفه من غير بيان منهم والمدعون للسنة والشرعية واتباع السلف الجهال بمعاني النصوص يقولون أن الانبياء والسلف الذين اتبعوا الانبياء لم يعرفوا معاني هذه النصوص التي قالوها والتي بلغوها عن الله أو الانبياء عرفوا معانيها ولم يبينوا مرادهم للناس فهؤلاء الطوائف قد يقولون نحن عرفنا الحق بعقولنا ثم اجتهدنا في حمل كلام الانبياء على ما وافق مدلول العقل وفائدة ازالة هذه التشابهات المشكلات اجتهد الناس في أن يعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدون في تأويل كلام الانبياء الذين لم يبينوا به مرادهم أو ان عرفنا الحق بعقولنا وهذه النصوص لم تعرف الانبياء معناها كما لم يعرفوا وقت الساعة ولكن أمرنا

بتلاوتها من غير تدبر لها ولا فهم لمعانيها أو يقولون هذه الامور لا نعرف بعقل ولا نقل بل نحن منهيون عن معرفة العقليات وعن فهم السمعيات وان الانبياء وأتباعهم لا يعرفون العقليات ولا يفهمون المعاني ثم ذكر كلاما طويلا لا يحتمله هذا الموضع ثم قال

والمقصود هنا الكلام على قول القائل اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية الى آخره كما تقدم والكلام على هذه الجملة بني على ما في مقدمتها من التليس فانها مبنية على مقدمات اولها ثبوت تعارضها والثانية انحصار التقسيم فيما ذكره من الاقسام الاربعة والثالثة بطلان الاقسام الثلاثة والمقدمات الثلاث باطالة وبيان ذلك بتقديم اصل وهو ان يقال اذا قيل تعارض دليلان سواء كانا سمعيين أو عقليين أو أحدهما سمعياً والآخر عقلياً فالواجب أن يقال لا يخلوا إما أن يكونا قطعيين أو يكونا ظنيين وإما أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً فاما القطعيان فلا يجوز تعارضهما سواء كانا عقليين أو سمعيين أو أحدهما عقلياً والآخر سمعياً وهذا متفق عليه بين العقلاء لان الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله ولا يمكن أن تكون دلالة باطلة وحينئذ فلو تعارض دليلان قطعيان وأحدهما يناقض مدلول الآخر لزم الجمع بين النقيضين وهو محال بل كل ما يعتقد تعارضه من الدلائل التي يعتقد أنها قطعية فلا بد من أن يكون الدليلان أو أحدهما غير قطعي أو أن لا يكون مدلولهما متناقضين فاما مع تناقض المدلولين المعلومين فيمتنع تعارض الدليلين وان كان أحدهما دليلين المتعارضين قطعياً دون الآخر فانه يجب تقديمه باتفاق العقلاء سواء كان هو السمعي أو العقلي فان الظن لا يدفع اليقين

وإما إن كانا جميعاً ظنيين فانه بصر الى طلب ترجيح أحدهما فإيهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعياً أو عقلياً . ولا جواب عن هذا إلا أن يقال الدليل السمعي لا يكون قطعياً وحينئذ فيقال هذا مع كونه باطلا فانه لا ينفع فانه على هذا التقدير يجب تقديم القطعي لكونه قطعياً لا لكونه عقلياً ولا لكونه أصلاً للسمع وهؤلاء جعلوا عمدتهم في التقديم كون الفعل هو الأصل للسمع وهذا باطل كما سيأتي بيانه إن شاء الله . واذا قدر انه لم يتعارض قطعي وظني لم

ينازع عاقل في تقديم القطعي لكن كون السمعى لا يكون قطعياً دونه خرط القناد
وأيضاً فإن الناس متفقون على أن كثيراً مما جاء به الرسول معلوم بالاضطرار من
دينه كالجباب العبادات وتحريم الفواحش والظلم وتوحيد الصانع وإثبات المعاد وغير
ذلك وحينئذ فلو قال قائل إذا قام الدليل القطعي على مناقضة هذا فلا بد من تقديم
أحدهما فلو قدم هذا السمعى قدح في أصله وإن قدم العقلى لزم تكذيب الرسول فيما
علم بالاضطرار أنه جاء به، وهذا هو الكفر الصريح. فلا بد لهم من جواب عن
هذا والجواب عنه أنه يمتنع أن يقوم عقلي قطعي يناقض هذا فتبين أن كل ما قام
عليه دليل قطعي سمعى يمتنع أن يعارضه قطعي عقلي ومثل هذا اللفظ يقع فيه
كثير من الناس يقدرون تقديرآ يلزم منه لوازم فيثبتون تلك اللوازم ولا يهتدون
لكون ذلك التقدير ممتنعاً والتقديم الممتنع قد يلزمه لوازم ممتنعة كما في قوله
تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ثم ذكر كلاماً إلى أن قال وبه يتبين
أن إثبات التعارض بين الدليل العقلى والسمعى والعجز بتقديم العقلى معلوم الفساد
بالضرورة وهو خلاف ما اتفق عليه العقلاء.

وحينئذ فنقول الجواب من وجوه (أحدها) أن قوله إذا تعارض النقل
والعقل أما أن يريد به القطعيين فلا نسلم إمكان التعارض حينئذ وأما أن يريد به
الظنيين فالقديم هو الراجح مطلقاً وأما أن يريد به ما أحدهما قطعي فاقطعي هو الأقدم
مطلقاً وإذا قدر أن العقلى هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعياً لا لكونه عقلياً فعلم
أن تقديم العقلى مطلقاً خطأ كما أن جعل جهة الترجيح كونه عقلياً خطأ

(الوجه الثانى) أن يقال لا نسلم انحصار القسمة فيما ذكرته من الأقسام الأربعة
إذ من الممكن أن يقال يقدم العقلى تارة والسمعى أخرى فأما كان قطعياً قدم
وإن كانا جميعاً قطعيين فيمتنع التعارض وإن كانا ظنيين فالراجح هو المقدم فدعوى
المدعى أنه لا بد من تقديم العقلى مطلقاً والسمعى مطلقاً أو الجمع بين النقيضين
أو رفع النقيضين دعوى باطلة . بل هنا قسم ليس من هذه الأقسام كما ذكرناه
بل هو الحق الذى لا ريب فيه .

(الوجه الثالث) قوله أن قدمنا النقل كان ذلك طعننا في أصله الذى هو

العقل فيكون طعنه فيه غير مسلم وذلك لان قوله ان العقل أصل للنقل اما أن يراد به انه أصل في ثبوته في نفس الأمر أو أصل في علمنا بصحته والاول لا يقوله عاقل فانما هو ثابت في نفس الأمر بالسمع أو بغيره هو ثابت سواء علمنا بالعقل أو بغير العقل ثبوته أو لم نعلم ثبوته لا بعقل ولا بغيره إذ عدم العلم ليس علما بالعدم وعدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها في أنفسها فما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم هو ثابت في نفس الامر سواء علمنا صدقه أو لم نعلم ومن أرسله الله تعالى الى الناس فهو رسوله سواء علم الناس أنه رسول أو لم يعلموا وما أخبر به فهو حق وان لم يصدقه الناس وما أمر به عن الله فالله أمر به وان لم يطعه الناس فثبوت الرسالة في نفسها وثبوت صدق الرسول وثبوت ما أخبر به في نفس الامر فليس موقوفا على عقولنا أو على الأدلة التي نعلمها بعقولنا وهذا كما أن وجود الرب تعالى وما يستحقه من الاسماء والصفات ثابت في نفس الامر سواء علمناه أو لم نعلمه فتبين بذلك أن العقل ليس أصلا لثبوت الشرع في نفسه ولا معطيا له صفة لم تكن له ولا مفيدا له صفة كمال إذ العلم مطابق للمعلوم المستغني عن العلم تابع له ليس مؤثرا فيه فان العلم نوعان (أحدهما) العملي وهو ما كان شرطا في حصول المعلوم كتصور أحدنا لما يريد أن يفعله فالمعلوم هنا متوقف على العلم به محتاج اليه (والثاني) الخبري النظري وهو ما كان المعلوم غير مفتقر في وجوده الى العلم به كعلمنا بوحداية الله تعالى وأسمائه وصفاته وصدق رسله وملائكته وكتبه وغير ذلك فان هذه المعلومات ثابتة سواء علمناها أو لم نعلمها فهي مستغنية عن علمنا بها والشرع مع العقل هو من هذا الباب فان الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه سواء علمناه بعقولنا أو لم نعلمه وهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا ولكن نحن محتاجون اليه والى أن نعلمه بعقولنا فان العقل اذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالما به وبما تضمنه من الامور التي يحتاج اليها في دنياه وآخرته وانتفع بعلمه به وأعطاه ذلك صفة لم تكن له قبل ذلك ولو لم يعلمه لكان جاهلا ناقصا ثم ذكر كلاما طويلا

ثم قال رحمه الله (فان قيل) فبب ان تقديم الشرع عليها لا يكون

قدحا في أصله لكن يكون تقديمها له على أدلة عقلية فلا بد من بيان الموجب لتقديم الشرع (قيل) الجواب من وجوه (أحدها) أن المقصود هنا بيان أن تقديم الشرع على ما عارضه من مثل هذه العقليات المحدثه في الاسلام ليس تقديمها له على أصله الذي يتوقف العلم لصحة الشرع عليه وقد حصل فانا ذكرنا في هذا المقام بيان بطلان من يزعم أنه يقدم العقل على الشرع المعارض له وذكرنا أن الواجب تقديم ما قام به الدليل على صحته مطلقا (الجواب الثاني) أن نقول الشرع قول المعصوم الذي قام الدليل على صحته وهذه الطرق لم يقم دليل على صحتها فلا يعارض ما علمت صحته بما لم تعلم صحته (الجواب الثالث) أن نقول بل هذه الطرق المعارضة للشرع كلها باطلة في العقل وصحة الشرع مبنية على ابطالها لا على صحتها فهي باطلة بالعقل وبالشرع والقائل بها مخالف للعقل والشرع من جنس أهل النار الذين قالوا (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وهكذا شأن جميع بدع المخالفين لنصوص الانبياء فانها مخالفة للسمع والعقل فكيف يبدع الجهمية المعطاة التي هي في الاصل من كلام المكذبين للرسول والكلام على ابطال هذه الوجوه على التفصيل وأن الشرع لا يتم الا بابطالها مبسوط في غير هذا الموضع انتهى والمقصود ان ما ذكره هذا العراقى الملهد في أوراقه هو كلام الرازي وكتاب موافقة العقل الصحيح النقل الصريح من أوله الى آخره في بطلان هذه المقدمات التي ذكرها وبيان مخالفتها للشرع فالمصير اليها والاعتماد عليها اعتماد ومصير الى مذهب الجهمية فاذا تبين لك ما تقدم علمت أن هذا الملهد قد عزل كتاب الله وسنة رسوله وبذهما وراءه ظهريا لاعتقاده ان ما عارضهما بالعقل كان واجبا وقولا جليا . واذا انكشفت الحقائق علمت من هو خير مقاما وأحسن نديا ، فمن أراد الوقوف على التفصيل فكلام الشيخ في العقل والنقل في ذلك مبسوط موضح بأدلة العقلية والنقلية إذ المقام لا يحتمل ما ذكره الشيخ هنا لاني انما قصدت الاختصار والاقتصار

(وأما قوله) إما تأويلا اجمالياً ويفوض تفصيله إلى الله تعالى كما هو مذهب أكثر السلف

فأقول : قال شيخ الاسلام الوجه السادس أن يقال غاية ما ينتهي اليه هؤلاء المعارضون لكلام الله ورسوله بأرائهم من المشهورين بالاسلام هو التأويل أو التفويض ، فأما الذين ينتهون إلى أن يقولوا الانبياء أو هموا وخيلوا ما لا حقيقة له في نفس الأمر فهؤلاء معروفون عند المسلمين بالالحاد والزندقة ، والتأويل المقبول هو ما دل عليه مراد المتكلم والتأويلات التي يذكرونها لا يعلم أن الرسول أرادها ، بل يعلم بالاضطرار في عامة النصوص أن المراد منها نقيض ما قالوه كما يعلم مثل ذلك في تأويلات القرامطة والباطنية من غير أن يحتاج ذلك إلى دليل خاص ، وحينئذ فالتأويل إن لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان تأويله للفظ بما يحتمله من حيث الجملة في كلام من تكلم بمثله من العرب هو من باب التحريف والالحاد ، لا من باب التفسير وبيان المراد

(وأما التفويض) فمن المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه ، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الاعراض عن فهمه ، ومعرفة وعقله ، وأيضاً فالخطاب الذي أريد به هدايتنا ، والبيان لنا ، وإخراجنا من الظلمات إلى النور ، إذا كان ماذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر ، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه ، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك ، فعلى التقديرين لم يخاطب بما بين فيه الحق ، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر ، وحقيقة قول هؤلاء ، في الخطاب لنا أنه لم يبين الحق ولا أوضحه مع أمره لنا أن نعتقده ، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرداليه لم يبين به الحق ولا كشفه ، بل دل ظاهره على الكفر والباطل ، وأراد منا أن لا نفهم منه شيئاً ، أو ان نفهم منه ما لا دليل عليه فيه ، وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه ، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والالحاد. ثم ذكر كلاماً إلى أن قال : فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من أشتر أقوال أهل البدع والالحاد انتهى

فاذا تبين لك هذا فاعلم أن التأويل والتفويض ليس هو مذهب السلف لا أكثرهم ولا أقلهم ، ونسبة ذلك إلى السلف خطأ ، وضلال ، وتلبيس ، وأما

قال بذلك من يزعم أنه متبع للسنة والسلف وهم على خلاف السنة وأقوال السلف في هذه المسائل ، وهذا كلام أئمة الحديث وأهل السنة المحضة ليس فيها شيء من هذا الكلام الحديث المبتدع الملعون
(وقوله) وأما تفصيلاً كما هو مذهب أكثر الخلف ...

فأقول : قد تبين لك مما تقدم أن هؤلاء هم الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلط عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية أقدامهم بما انتهى إليه مرامهم ، وهو أبو المعالي الجويني

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم فلم أر إلا واضعاً كفّ حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم وأقروا على أنفسهم بما قالوا متمثلين به ، أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم وهو أبو عبد الله محمد بن عمرو الرازي

نهاية إقدام العقول عقال	وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسدنا	وغاية دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قليل وقالوا
فكم قدر أينامن رجال ودولة	فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها	رجال فزالوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتهما تشفي غليلاً ، ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى *) إليه بصعد الكلم الطيب (واقرأ في النفي (ليس كمثل شيء) (ولا يحيطون به علماً) ومن جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي . ويقول الآخر منهم : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الاسلام وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني برحمته فالويل لفلان وهالنا أموت على عقيدة أمي . ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام . فإذا كان هذا حال أئمة المتكلمين كيف يسوغ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يوجب على الناس اعتقاد ما كان عليه هؤلاء المحجوبون ، المنقوصون المسبوقون ،

الحيارى والمتهوكون ، وقد علم بالاضطرار أن هؤلاء هم ورثة افراخ الفلاسفة
وأتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركون ، وضلال اليهود والنصارى
والصابئين ، وأن يتأول ما تأولته الجهمية والمعتزلة ، ومن نحأ نحوم من المتكلمين
كقول هذا الملحد : فلاستواء على العرش في قوله (الرحمن على العرش استوى)
هو الاستيلاء ويؤيده قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهباق
وجوابه فيما ادعى من أن معنى الاستواء انه بمعنى الاستيلاء ، وأنه ليس في
لغة العرب ما يفيد ذلك (أن نقول) قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري
في تفسيره قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) قال الاستواء في كلام العرب منصرف
على وجوه منها انتهاء شباب الرجل وقوته فيقال اذا صار ذلك قد استوى الرجل ،
ومنها استقامة ما كان فيه أود من الامور والاسباب يقال منه استوى فلان امرأذا
استقام له بعد أود . ومنه قول الطرماح بن حكيم

طال على رسم مهده ابدته وقد عني واستوى به بلده

أى استقام به ، ومنها الاقبال على الشيء بالفعل كما يقال استوى فلان على
فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الاحسان اليه ، ومنها الاحتياز والاحتواء كقولهم
استوى فلان على المملكة بمعنى احتوى عليها وحازها ، ومنها العلو والارتفاع
كقول القائل : استوى فلان على سريره يعني به علوه عليه ، وأولى المعاني بقول
الله جل ثناؤه (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) علا عليهن وارتفع
فدبرهن بقدرته ، وخالقهن سبع سموات ، والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من
كلام العرب في تأويل قول الله تعالى (ثم استوى إلى السماء) الذي هو بمعنى
العلو والارتفاع هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه اذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك
أن يكون انما علا وارتفع بعد ان كان تحتها إلى أن تأوله بالجهول من تأويله
المستكره ، ثم لم ينبج مما هرب منه ، فيقال زعمت أن تأويل قوله سبحانه استوى
اقبل . أو كان مدبرا عن السماء فأقبل اليها ؟ فان زعم أن ذلك ليس باقبال فعل
ولكنه اقبال تدبير قيل له فكذلك قيل علا عليها علو ملك وسلطان لاعلو

انتقال وزوال ، ثم لن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله ، ولولا انا كرهنا اطالة الكتاب بما ليس من جنسه لأثبتنا عند فساد قول كل قائل في ذلك قولاً لأهل الحق فيه مخالفاً ، وفيما بينا منه ما يشرف بذي الفهم على ما فيه الكفاية ان شاء الله تعالى انتهى

فقول الشاعر * قد استوى بشر على العراق * أي ملكها واحتوى عليها وحازها ، ولو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الارض ، وعلى السماء ، وعلى الحشوش والاقذار لانه قادر على الاشياء ، مستول عليها ، واذا كان قادر على الاشياء كلها ولم يحز عند أحد من المسلمين أن يقول إن الله مستول على الحشوش والأخيلة لم يحز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الاشياء كلها ، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الاشياء كلها فيكون استواءه على العرش علوه عليه وارتفاعه كما هو مذهب سلف الأمة وأئمتها ، وقد تقدم بيان ذلك

ثم قال العراقي : وقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفاً) أي جاء أمره ، وقوله اليه يصعد السكك الطيب أي يرضيه ، فان الكلم عرض بمتنع عليه الانتقال بنفسه ، وقوله سبحانه (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) أي يأتي عذابه ، وقوله تعالى (ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى) أي قرب رسوله اليه بالطاعة والتقدير بقباق قوسين أو أدنى تصوير للمعقول بالمحسوس ، وقوله صلى الله عليه وسلم « إنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في كل ليلة فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فاغفر له ؟ » معناه تنزل رحمته ، وخص بالليل لأنه مظنة الخلوات ، وأنواع الخضوع والعبادات ، إلى غير ذلك من الآيات والاحاديث انتهى كلامه

(وقد علمت مما تقدم) بطلان هذه التأويلات وأنها تأويلات الجهمية والمعتزلة الخارجين عن طريقة أهل السنة والجماعة ، وإنما ذكرناها ههنا من كلامه ليعرف المسلم قدر نعمة الله عليه بالاسلام ، وسلوكه طريقة سلف الأمة وأئمتها ،

ويشكر الله عليها ويحمده فان من انعم الله عليه بانسلامة من سلوك طريقة هؤلاء الضلال فقد أوتي خيراً كثيراً ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، فان الرسول قد بلغ البلاغ المبين ، ونصح الأمة ، وأدى الامانة ، وقامت حجة الله على خلقه ، و« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

فصل

قال العراقي : الوهابية ونفياها الاجماع حيث كان ما انطوت عليه العقيدة الوهابية مبيناً لما أجمع عليه الصحابة الكرام والمجاهدون العظام وكافة علماء الاسلام لم ير أصحاب تلك العقيدة بدأ من انكار الاجماع ونفي كونه حجة يعمل بها فهم كفروا كل مسلم عداهم ممن قال لا إله الا الله محمد رسول الله بسبب زيارته لقبور الأنبياء والأولياء والتوسل بهم الى الله

والجواب أن نقول نسبة نفي الاجماع الى الوهابية كذب وبهتان ، بل هذا توصل منه الى القدرح فيهم بغير حجة ولا برهان ، والا فالوهابية يعلمون أن الاجماع حجة ويعتقدون أن الامة لا تجتمع على ضلالة وهو الاصل الثالث عندهم وعقيدة الوهابية لا تخالف ما أجمع عليه الصحابة الكرام والأئمة المجتهدون العظام وكافة علماء الاسلام ومن تدبر أقوالهم ومصنفاتهم علم علما يقيناً انهم كانوا على ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعتقد وسائر أحكام الاسلام وأن هذا الملحد الضال ومن نحائحوه على طريقته هم المخالفون لما أجمع عليه الصحابة ومن تبعهم باحسان ومخالفون لعقيدة السلف الصالح والصدر الاول وما كان عليه الأئمة الاربعة المة-لدون والأئمة المجتهدون من أهل السنة المحضة ومن تمسك بهديهم وعلى طريقتهم يعرف ذلك من كلامه وضلالانه التي ذكرناها عنه فيما سبق وفيما يأتي بعد

وقوله فهم قد كفروا كل مسلم عداهم ممن قال لا إله الا الله محمد رسول الله بسبب زيارتهم لقبور الانبياء والاولياء والتوسل بهم الى الله مع ان الامة قد

أجمعت على أن من نطق بالشهادتين أجريت عليه أحكام الاسلام الى آخره
فأقول هذا كذب على الوهاية فانهم ما كفروا كل مسلم عدام ولا كفروا
بمجرد الزيارة لقبور الانبياء والاولياء وانما كفروا من أشرك بالله في عبادة غيره
حيث نطق القرآن بتكفيره وجاءت الاخبار الصحيحة عن رسول الله بتكفير من
فعل ذلك سواء زار القبور أو لم يزr

وأما دعواه اجماع الامة على أن من نطق بالشهادتين أجريت عليه أحكام الاسلام
فهذه دعوى كاذبة خاطئة فان الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على قتال من
منع الزكاة وسوهم أهل الردة وقاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله الا الله
وأن محمداً رسول الله لكن لما أشركوا مسيلة الكذاب في النبوة وصدقوه أنه قد
أشرك في النبوة مع النبي صلى الله عليه وسلم كفروهم فاذا كان من أشرك مسيلة
الكذاب في النبوة يكون كافراً فكيف لا يكفر من أشرك مخلوقاً في عبادة الخالق
سبحانه وجهه نداءً لله يستغيث به كما يستغيث بالله ويدعوه مع الله ويرجوه ويلجأ
اليه في جميع مهماته ويذبح له وينذر له مع الله فقد كفر الصحابة هؤلاء وهم يشهدون
أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وكفر الله تعالى ورسوله المنافقين وهم
يشهدون ان لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله كما قال تعالى (يخلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وقال تعالى (لا تعذروا قد كفرتم بعد
إيمانكم) وكذلك لا خلاف بين العلماء كلهم ان الانسان اذا صدق رسول الله صلى
الله عليه وسلم في شيء وكذبه في شيء لم يدخل في الاسلام وكذلك اذا آمن
ببعض القرآن وجحد بعضه كن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر
بالصلاة وجحد الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج
ولما لم ينقد أناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى الحج أنزل الله في حقهم (والله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين)
ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله كما قال تعالى
(ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون

حقاً) وكذلك بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الاسلام وبصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتلهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين - الى أمثال هذا مما لا يحصى ولا يستقصى

وأما قوله وقال ابن القيم أجمع المسلمون على أن الكافر اذا قال لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله فقد دخل في الاسلام الى آخره (فأقول) هذا حق اذا صدر من الكافر الاصيل ولكن اذا أتى بناقض من نواقض الاسلام كفر ولو أقر بالشهادتين وكذلك من عمل بجميع الاركان ممن ولد في الاسلام لكنه مع ذلك قد جحد شيئاً مما جاء به الرسول وابتدع في الاسلام بدعة تخرجه منه كفر وابن القيم الذي حكيت عنه اجماع المسلمين على أن من أقر بالشهادتين فقد دخل في الاسلام قد حكى اجماع أهل الحجة من أهل الاسلام على تكفير الجهمية كما قال في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

وقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللا لكائي الامام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبراني
وذكر في كتاب الصلاة له تكفير من أمر بالصلاة فامتنع حتى يخرج وقتها
وأنه يستتاب فان تاب والا قتل

وأما قوله ولذلك انعقد الاجماع على أن المرتد اذا كانت ردة بالشرك فان توبته بالشهادتين

فأقول هذا غير مسلم ودعوى انعقاد الاجماع على ذلك دعوى مجردة بل من كانت ردة بالشرك بالله فتوبته الاقلاع عن هذا الشرك فان كثيراً من المشركين اليوم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله كالرافضة فاتهم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وهم مع ذلك يدعون الحسن والحسين مع الله وكذلك عباد القبور يشهدون ان لا إله الا الله وأن محمد رسول الله ومع ذلك يدعون عبد القادر وأحمد البدوي وغيرهما ويستغيثون بهم في الشدائد والملمات،

ويرغبون اليهم في جميع الحاجات وكشف الكربات واغاثة الالهايات، وقد انعقد
الاجماع على أن من أشرك بالله في عبادته غيره كان مشركاً وإن تلفظ بالشهادتين
كما هو مذكور في كتب الفقه في باب حكم المرتد

(قوله) ثم إن الوهاية عدوا الاستشفاع إلى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه
وسلم بعد موته كفرًا مع أن الاجماع منعقد على جوازه

فأقول إن كان أراد بالاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم، كأن يقول القائل
اللهم اني أسألك بجاه محمد أو بحقه أو حرمة، فهذا القول بدعة محدثة محرمة ولا
يكفر الوهاية أحداً بهذا وأن أراد بالاستشفاع بالنبي بأن يدعو ويستغيث
به كأن يقول يا رسول الله أغثنني وادركني وأنا في حسبك، أو يسأله أو يطلب
منه ما لا يقدر عليه إلا الله ويتوكل عليه ويلجأ إليه في جميع مهماته وطلباته ويجعله
واسطة في جلب منفعة أو دفع مضرة، فإن كان أراد هذا فقد ذكر في الاقناع
من كتب الخنابلة أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم كفر
اجماعاً وكذلك ذكر فيه عن شيخ الاسلام تقي الدين، أن من دعا علي بن أبي
طالب فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر، والوهاية على مذهب أحمد رحمه
الله، وأما دعوى انعقاد الاجماع على جوازه فدعوى مجردة، اللهم إلا اجماع عباد
القبور وأولئك ليسوا من أهل الاسلام فضلاً عن أن يجمعوا على الاحكام

(وأما قوله) وهم لم يجوزوا لأحد أن يقلد مجتهداً من أئمة المسلمين

(فأقول) هذا كذب على الوهاية، وإن وجد هذا في بعض الكتب لمن
هو على مذهب الوهاية في تجريد التوحيد واخلاص العبادة لله ممن ينسبه هؤلاء،
إلى الوهاية فنسبته إلى الشيخ محمد وأتباعه من الكذب عليهم وكذلك قوله:
(وجوزوا لكل أحد أن يستنبط من القرآن ما استطاع أن يستنبط) إلى آخره
فهذه كلها من الاوضاع المكذوبة على الوهاية

ثم ذكر الاجماع وأنه اتفاق المجتهدين وأن الاجماع ينعقد في كل عصر لأن
الحوادث تحدث في كل يوم بالأمور التي لم يصرح بحكمها الكتاب والسنة وهذا
مما يعلم كل أحد غلطه في ذلك وتخييطه فيه فلا فائدة في الجواب عنه

ثم قال العراقي الوهاية ونفيها للقياس : ان الوهاية كما أنكروا الاجماع كذلك أنكروا القياس الى آخر ما قال

(فأقول) وهذا أيضاً من نمط ما قبله من الكذب والزور فان الوهاية لا ينكرون القياس مطلقاً وفيه تفصيل لكن ذكر صاحب الدين الخالص من ذلك ما أوجب لهؤلاء أن ينسبوا الى الوهاية ما يقوله صديق وايس ما قاله مطلقاً يقول به الوهاية بل لهم فيه تفصيل ليس هذا موضع ذكره اذ المقصود نفي ما يدعيه من الكذب على الوهاية

(ثم قال ومن العجب) أن الوهاية لأجل نخطئة المجتهدين في قبولهم القياس جعلت تعبت بكلام الله تعالى ، فتصرف الآيات القرآنية عن معانيها الصحيحة مؤولة اياها بما يوافق هواها مع أنها لا تأول من الآيات ما يلزم من ظاهره النقص على الله تعالى والمحال كآية الاستواء واليدين والوجه ونقول أن المجتهدين عاملون بأرائهم ، مع أنها تجوز حتى للجهلة الرعاع من ذوي نحلها أن يفسروا كلام الله بحسب افهامهم القاصرة

والجواب أن نقول : هذا كذب على الوهاية فانهم من أعظم الناس تعظيماً لكتاب الله وسنة رسوله فيهمهم بالعبث بكتاب الله ظلم وعدوان والى الله المرجع واليه التحاكم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) بل الوهاية يضعون الآيات القرآنية في معانيها الصحيحة ، ويسيرون على منهاج أئمة التفسير ولا يؤولونها على ما يوافق أهواءهم بل يستدلوا بالآيات النازلة في المشركين على تكفير من فعل كما يفعله الكفار من الاشرار بالله والكفر به لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

(وأما قوله) مع أنها لا تؤول من الآيات ما يلزم من ظاهره النقص على الله تعالى والمحال كآية الاستواء واليد والوجه

(فأقول) نعم لا يتأولون الآيات والاحاديث النبوية فيصرفونها عن ظاهرها عما اقتضته من أثبات صفات الكمال ونعوت الجلال لأجل ما يزعمه أعداء الله من أنه يلزم من ظاهرها النقص على الله والمحال ، فان ما أثبتته الله ورسوله من

الاستواء، والوجه واليدين وغير ذلك من الصفات — وصف كمال ونعوت جلال لا وصف نقص، بل من أثبت ذاتاً مجردة عن أوصاف الكمال فقد تنقصه غاية التنقص وشبهه بالجمادات ومثله بأنقص المعقولات الذهنية وجعله دون الموجودات الخارجية، وإثبات الصفات لا يلزم منها مماثلة الله بخلق ولا تشبيههم به، لأن الله تعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله فقد كفر وقد تقدم بيان ذلك مراراً عديدة

(وأما قوله) وتقول ان المجتهدين عاملون بآرائهم

(فأقول) هذا كذب عليهم وما علمنا أحداً قال بهذا من الوهاية كما أننا نعلم أن أحداً منهم أجاز للجهلة الرعاع كما تزعمونه أن يفسر كلام الله بحسب مفهومه القاصر ونعوذ بالله من ذلك

(ثم ذكر القياس) وزعم ان الوهاية ينكرونه وقد قدمنا ان الوهاية لا ينكرون. القياس مطلقاً ولا يثبتونه مطلقاً، لأن القياس ينقسم إلى حق وباطل وممدوح ومذموم، ولهذا لم يجيء في القرآن مدحه ولا ذمه ولا الأمر به ولا النهي عنه فانه مورد تقسيم إلى صحيح وفاسد فالصحيح هو الميزان الذي أنزله مع كتابه في قوله (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) والفاسد ما يضاده كقياس الذين قاسوا البيع على الربا بجامع ما يشتركان فيه من التراضي بالمعاوضة المالية، ولهذا تجدد في كلام السلف ذم القياس وأنه ليس من الدين وتجدد في كلامهم استعماله، والاستدلال به وهذا حق والحاصل أن الناس فيه طرفان ووسط، فأحد الطرفين من ينفي العلل والمعاني والأوصاف المؤثرة ويجوز ورود الشريعة بالفرق بين المتساويين، والجمع بين المختلفين، ولا يثبت أن الله سبحانه شرع الأحكام لعلل ومصالح، وربطها بأوصاف مؤثرة فيها مقتضية لها طرداً وعكساً، وأنه قد يوجب الشيء ويحرم نظيره من وجه ويأمر به لا لمصلحة بل لمحض المشيئة المجردة من المصلحة والحكمة، وبأزاء هؤلاء قوم أفرطوا فيه وتوسعوا جداً وجمعوا بين الشيثيين الذين فرق الله بينهما بادنى جامع

من شبه أو طرد أو وصف يتخيلونه علة يمكن ان يكون علته وأن لا يكون، فيجعلونه هو السبب الذي علق الله ورسوله عليه الحكم بالحرص والظن، وهذا هو الذي اجتمع السلف على ذمه، والنبي صلى الله عليه وسلم يذكر في الاحكام العلل والاولاف المؤثرة فيها طرداً وعكساً، وكان الصحابة رضي الله عنهم يجتهدون في التوازل ويقيسون بعض الاحكام على بعض، ويعتبرون النظر بنظيره. والمقصود أن من زعم أن الوهاية ينفون القياس مطلقاً فقد كذب عاينهم واقترى

(وأما قوله) فقول الوهاية ان النصوص تستوعب جميع الحوادث بدون

استنباط أو قياس غير مسلم، فان استيعابها جميع الحوادث لا يتم إلا بطريقتيها فالجواب أن نقول: قد ذكر ابن القيم في أعلام الموقعين أن الناس انقسموا في هذا الموضع إلى ثلاث فرق، فرقة قالت: ان النصوص لا تحيط بأحكام الحوادث، وغلا بعض هؤلاء حتى قال: ولا بعشر معشارها. وذكر حججهم وأبطلها بثلاثة وجوه أجاد فيها وأفاد، ثم قال: لما ذكر أقوال الطائفتين المنحرفتين عن الوسط قول المعتزلة المكذبين بالقدر، وقول الجهمية المنكرين للحكم، والأسباب، والرحمة، والتعليل. قال: والمقصود أنهم كما انقسموا إلى ثلاث فرق في الاصل انقسموا في فروعه وهو القياس إلى ثلاث فرق، فرقة أنكرته بالكلية، وفرقة قالت به وأنكرت الحكم والتعليل والمناسبات، والفرقتان أخات النصوص عن تناولها لجميع أحكام المكلفين، وأنهما أحالت على القياس، ثم غلاتهم أحالت عليه أكثر الاحكام. وقال متوسطهم: بل أحالت عليه كثير آمن الأحكام لا سبيل إلى اثباتها إلا به، والصواب وراء ما عليه الفرق الثلاث وهو أن النصوص محيطه بأحكام الحوادث، ولم يحلنا الله ورسوله على رأي ولا قياس بل قد بين الاحكام كلها والنصوص كافية وافية بها، والقياس الصحيح حق مطابق للنصوص فهما دليلان: الكتاب والميزان، وقد تخفى دلالة النص، ولا يبلغ العالم فيعدل إلى القياس، ثم قد يظهر موافقاً للنص فيكون قياساً صحيحاً، وقد يظهر مخالفاً له فيكون فاسداً، وفي نفس الامر لا بد من موافقته أو مخالفته ولكن عند المجتهد قد تخفى موافقته أو مخالفته إلى آخر كلامه رحمه الله

وقال شيخ الاسلام بعد أن ذكر هذه المسألة وقررها أحسن تقرير ، وبالجمله الامر نوعان ، كليه عامة ، وجزئية خاصة ، فأما الجزئيات الخاصة كالجزء الذي يمنع تصويره من وقوع الشرقة فيه من ميراث هذا الميت وعدل هذا الشاهد ونفقة هذه الزوجة ، ووقوع الطلاق بهذا الزوج ، واقامة الحد على هذا المفسد وأمثال ذلك ، فهذا مما لا يمكنه لانبياً ولا امام ولا أحد من الخلق أن ينص على كل فرد فرد منه لأن أفعال بني آدم وأعيانهم يعجز عن معرفة أعيانها الجزئية واحد من البشر وعبارته: لا يمكن بشر أن يعلم ذلك كله بخطاب الله له ، وإنما الغاية للممكن ذكر الامور الكلية العامة كما قال صلى الله عليه وسلم « بعثت بجوامع الكلم »

فصل

(قال العراقي) الوهابية وتكفيرها من قلد المجتهدين

لما كانت اقوال المجتهدين السالفين رحمهم الله تعالى وما وصلوا اليه باجتهدهم من الاحكام المقررة الدينية تصادم ما ابتدعته الفئة المارقة الوهابية لم تر هذه الفئة بدآمن انكارها صحة اجتهادهم ، وتخطئة آرائهم ، وتكفير من قلدهم ، حتى يخلوا لها الجوف تبيض ، وتصفّر ، وتلمب بالدين كما شاء هواها ، وينهد لها الطريق الا تأسيس قواعد ضلالها المبين ، اذهي لو لم تنف اجتهادهم لما تم لها أن تصرف بحسب هواها الآيات النازلة في المشرّكين الى المسلمين الذين يتوسلون الى الله تعالى بجاه رسوله وكرامة اوليائه لان هذا الصرف مما لم يقل به مجتهد ، ولم يرض به احد من ائمة الدين والجواب أن نقول : أما دعوى تكفير المجتهدين فمن الكذب الواضح ، والافك الفاضح ، وأما ما خرق به من انا مصادمون لما اجتهد الائمة فيه من الاحكام الدينية ، وانا انكرنا اجتهادهم ليخلو لنا الجو ، كما زعم هذا البو ، فما ذاك إلا من فيض كلب العداوة في الدين لانه جهمي معتزلي مشرك ونحن والله الحمد

على طريقة السلف وأئمة الدين في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته . وفي باب العمل والعبادة فلا نشرك بربنا أحداً ، ولا نتخذ من دونه أولياء ، ومن تأمل كلامه علم انه هو المارق المبتدع ، وانه من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ، بل هو برىء من الائمة المجتهدين وهم براء منه ، فان عقيدته مخالفة لعقائدهم فهو إلى طريقة الفلاسفة والملاحدة ومن نحاً نحوهم من المتكلمين ، أقرب منهم إلى الائمة المجتهدين . وهذا العراقي متبع لهواه ، عابد لما يهواه ، قد اتخذ الكذب ديدانه ، والزور والفجور ميزانه ، ودخل من الكذب في ظلمات به بعضها فوق بعض ، حتى آل به زوره وفجوره إلى أن زعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان كثير الميل إلى الاطلاع على أخبار من ادعى النبوة كمسيلة الكذاب ، والاسود العنسي ، وانه كان يضرر في نفسه أن يؤسس ديناً يحذو به حذو أولئك الكذابين - إلى غير ذلك من مقترياته ، ورعونات جهالاته وخزعلالاته ، فالموعد الرحمن واليه التحاكم وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ثم لو استهواه الشيطان ، وحكى مايقوله أهل البغي والعدوان ، كيف ساغ له أن يحكي عما في ضميره لو كان ، وحاشا لله أن يكون ذلك في الامكان

(وأما زعمه) أن الشيخ يدعي الاجتهاد المطلق ، فمن نمط ما قبله من المقتريات فانه لا يدعي ذلك ، وقد نفاه في بعض رسائله ومن طالع كتب الشيخ وتصانيفه ورسائله علم محله من العلم والفقه والمتانة في الدين ورسوخه فيه ، وقد شهد له علماء وقته بذلك كما مضى بيانه

(وأما قوله) وقال ابن القيم في أعلام الموقعين لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم

فأقول : هذا لسان جاهل ، وتركيب نبطي لا يدري شيئاً من صناعة العلم ، وابن القيم ينزه عن هذا اللفظ وهذا التركيب ، ولا يقول ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم ، وإن البحث ما هكذا إرادته ولا تقريره ، والعلوم فيها ما لا دخل له هنا ولا اعتبار كعلم الطب ، والهندسة ، والانشاء ، وقريض الشعر وميزانه ، والعلم بالرسم واثقانه ، ومعرفة التاريخ . وأما بالنظر للمعنى فابن القيم

رحمه الله قد تشن الغارة على من لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد ، وشنع على قائله تجهيلاً ونحطته وقال : هذا سد لباب أخذ العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله . وذكر في هذا المبحث من النصوص والآثار والمناظرة بين المجتهد والمقلد ما لا تتسع له هذه الرسالة ، وذكر هذه العبارة راداً لها مجيهاً لقائلها ، بل ذكر فيه عن الامام احمد انه لا يجوز الافتاء إلا للرجل عالم بالكتاب والسنة ، ثم ذكر بعد ذلك فصولاً في تحريم الافتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص ، والرأي الذي لم تشهد له النصوص بالقبول . وقال أيضاً في الاعلام لما ذكر القياس قال : ونحن نقول قولنا ندين الله به ، ونحمد الله على توفيقنا له ، ونسأله الثبات عليه ، ان الشريعة لم تحوجنا إلى قياس قط ، وأن فيها غنية وكفاية عن كل رأي وقياس وسياسة واستحسان ولكن ذلك مشروط بفهم يؤتيه الله عبده فيها ، وقد قال تعالى (ففهمناها سليمان) وقال علي رضي الله عنه : الا فهم يؤتيه الله عبده في كتابه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس « اللهم فقيه في الدين ، وعلمه التأويل » وقال ابو سعيد كان ابو بكر أعلمنا برسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عمر لأبي موسى الفهم الفهم انتهى . والذي غر هؤلاء الجهلة أنهم ظنوا أن الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله هو مرتبة الاجتهاد ، أو من يجوز له الفتيا في الحلال والحرام ، وما علموا أن الاجتهاد هو النظر في الأدلة اذا تعارضت ، وفيما يخفى دليله ، وهذا لا يتبهاً إلا لمن كملت فيه شروط الاجتهاد ، أو اجتمعت فيه أدوات الفتيا ، وأما اتباع كلام الله ورسوله والاخذ بما فيها فهو فرض واجب على المجتهد والمقلد والعالم والمتعلم ، والآيات والاحاديث في ذلك معروفة مشهورة مبسوسة ذكرها ابن القيم في الاعلام . وقال ابن عباس رضي الله عنه لمن ناظره في متعة الحج : بوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال ابو بكر وعمر ، وقال الامام احمد : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) أتدري ما الفتنة ، الفتنة الشرك لعنه اذا رد بعض

قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك . وقال ابن القيم رحمه الله في الاعلام قال ابو بكر بن ابي شيبة : حدثنا صالح بن عبد الله حدثنا سفيان بن عامر عن عتاب بن منصور قال : قال عمر بن عبد العزيز : لا رأى لأحد مع سنة سنة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الشافعي : أجمع الناس على أن من استبان له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها . وقال : لا قول لأحد مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال شداد بن حكيم عن زفر بن الهذيل إنما نأخذ بالرأي ما لم يجبيء الأثر ، فإذا جاء الأثر تركنا الرأي وأخذنا بالأثر

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة الملقب بامام الائمة لا قول لأحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا صح الخبر عنه وقال الأصم ، سمعت الربيع يقول ، سمعت الشافعي يقول اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت ، وقال أحمد بن علي بن عيسى بن ماهان الرازي ، سمعت الربيع يقول ، سمعت الشافعي يقول كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن رسول الله عند أهل النقل بخلاف ما قلت فاني راجع عنها في حياتي وبعد موتي ، وقال الربيع قال الشافعي ، لم اسمع أحداً نسب عامة أو نسب نفسه الى علم يخالف في أن فرض الله اتباع أمر رسوله صلى الله عليه وسلم والتسليم لحكمه ، فان الله لم يجعل لأحد بعده الا اتباعه ، وأنه لا يلزم قول رجل قال الا بكتاب الله او سنة رسوله وان ماسواهما تبم لهما ، وان فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد لا يختلف فيه الغرض ، وواجب قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا فرقة سأصف قولا لها ان شاء الله وذكر كلاما طويلا عن الشافعي رحمه الله وغيره تركناه طلبا للاختصار ،

والمقصود أنه كذب على ابن القيم في دعواه أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم ، ولا عجب من هذا فقد كذب على السلف رحمهم الله في أن مذهبهم في آيات الصفات وأحاديثها أنها تؤول اما تفصيلا وإما اجمالا أو يفوض تفصيلها الى الله ،

ثم ذكر العراقي كلاماً زعم فيه أن الوهابية اتخذته ذرائع لتأسيس بدعتها ، وقد تقدم الكلام عليه ، ولكن أعاده ليكبر حجم كتابه ، ويزداد أن شاء الله بذكره مقتاً من الله وغضباً وزيادة في عقابه

(ثم ذكر) أن تكفير المسلم أمر غير هين وأنه قد أجمع العلماء منهم الشيخ ابن تيمية وابن القيم على أن الجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو عمل ما يجعل صاحبه مشركاً أو كافراً يعذر بالجهل والخطأ ، حتى تبين له الحجة بيانا واضحا لا يلتبس على مثله

(فيقال) في جوابه اما تكفير المسلم فقد قدمنا أن الوهابية لا يكفرون المسلمين والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من أعظم الناس توقفاً واحكاماً عن اطلاق الكفر حتى إنه لم يحزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم اذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر تاركها قال في بعض رسائله وان كنا لانكفر من عبد قبة الكوازي لجهلهم وعدم من ينههم فكيف من لم يهاجر إلينا ، وقال وقد سئل عن مثل هؤلاء الجاهل فقرر أن من قامت عليه الحجة وتأهل لمعرفة يكفر بعبادة القبور ، وأما من أخذ إلى الأرض واتبع هواه فلا أدري ما حاله

(وأما نقله) عن شيخ الاسلام وابن القيم على أن الجاهل والمخطئ إلى آخره فالجواب : أن يقال كلام الشيخين إنما هو في المسائل النظرية والاجتهادية التي قد يخفى الدليل فيها واما عباد القبور فهم عند السلف وأهل العلم يسمون الغالية لأن فعلهم غلو يشبه غلو النصارى في الأنبياء والصالحين وعبادتهم ، وأيضاً فإن هذا النقل فيه تكفير من قامت عليه الحجة ولو في المسائل الخفية ، فبطلت الشبهة العراقية ، ومسألة توحيد الله وإخلاص العبادة له لم ينازع في وجوبها أحداً من أهل الاسلام لأهل الأهواء ولا غيرهم ، وهي معلومة من الدين بالضرورة ، كل من بلغته الرسالة وتصورها على ما هي عليه عرف أن هذا زبدتها وحاصلها وسائر الأحكام تدور عليه ، وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الاسلام كثيراً ، قال وهذا إن كان

في المغالات الخفية ، فقد يقال فيها إنه مخطي ، ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها لكن هذا يصدر منهم في أمور يعلمها الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها ، مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والأنبياء وغيرهم ، فإن هذه أظهر شعائر الإسلام ومثل إيجابه للصلوات الخمس وأعظيم شأنها ، ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ، ثم تجمد كثيراً من رؤسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين ، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازي ، قال وهذه ردة صريحة انتهى ،

فاذا علمت هذا فمن بلغته رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة فلا يعذر في عدم الإيمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر فلا عذر له بعد ذلك بالجهل ، وقد أخبر الله سبحانه بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم ، ونقطع أن اليهود والنصارى اليوم جهال مقلدون ، ونعتقد كفرهم وكفر من شك في كفرهم ، وقد دل القرآن على أن الشك في أصول الدين كفر ، والشك هو التردد بين شيئين كالذي لا يحزم بصدق الرسول ولا كذبه ولا يحزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ، ونحو ذلك كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها ، أو لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه ، وهذا كفر بإجماع العلماء ، ولا عذر لمن حاله هكذا بكونه لم يفهم حجج الله وبياناته لأنه لا عذر له بعد بلوغها ، وإن لم يفهمها ، وقد أخبر الله عن الكفار أنهم لم يفهموا فقال ، (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) والآيات في هذا المعنى كثيرة والله أعلم

(وأما قول هذا العراقي) حتى تتبين له الحجة بيانا واضحا لا يلتبس على مثله (فأقول) هذا تحريف للكلام الشيخ فان الشيخ لم يقل حتى تتبين له الحجة إلى آخره وإنما هي زيادة عراقية ، وإنما قال الشيخ ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ، فقوله حتى تتبين له الحجة بيانا واضحا لا يلتبس على مثله إنما هو فهم الحجة ، وفرق بعيد

بين قيام الحجّة وفهم الحجّة^(١) فان من بلغته دعوة الرسل فقد قامت عليه الحجّة اذا كان على وجه يمكن معه العلم. ولا يشترط في قيام الحجّة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الإيمان والقبول والانقياد لما جاء به الرسول قال تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كلاب نعام بل هم أضل سبيلاً) وقال (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) الى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى ،
ويقال أيضاً فرض كلام شيخ الاسلام وتقديره في الأمور التي قد يخفى دليلها مما ليس هو من ضرورات الدين ، ولا هو من الأمور الجليلة بل هو في الأمور النظرية الاجتهادية والله أعلم

(وأما قوله) والمسلم قد يجتمع فيه الكفر والاسلام والشرك والإيمان ولا يكفر كفرآ ينقله عن الملة

(فأقول) نعم هذا فيما دون الشرك والكفر الذي يخرج من الملة فاما مالا يخرج عن الملة كالشرك الاصغر ، كدسیر الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول

(١) ان قيام الحجّة مدلوله اللفظي غير مدلول فهم الحجّة فحجة الله قائمة في كل حال ، ولكن لا يقال ان الحجّة قامت على من لم يفهمها وقد قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سميل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) فاشترط ان يتبين له الهدى لا ان يبين له وإن لم يفهمه . وقال تعالى لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي (فعلى نبي الإكراه بتبين الرشد لا ببيان وحده وما التبين إلا عمرة البيان ، وقال تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) وأما قول المؤلف أدام الله النفع به انه لا يشترط في قيام الحجّة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الإيمان الخ فهو حق ولكن فرقا بين فهم من يدعى الى الحق لما يدعى اليه وفهم الحجّة عايمه وبين فهم المؤمنين المذعنين المتقين . وفهم هؤلاء متفاوت تفاوتاً عظيماً . فأبى فهم آحاد الصحابة من فهم الخلفاء الراشدين وفهم ابن مسعود وابن عباس الخ وأما من ختم الله على قلوبهم الخ فأعرضوا عن آياته فقد قامت الحجّة عليهم بها اذ فهموها فهم لم يستطيعوا معه نقضها فجدوها عناداً ولكن لم يفقهوها فقه اعتباروا هتداء لفساد فطرهم واتباع أهوائهم كما بيناه في التفسير . وكتبه محمد رشيد رضا

الرجل ماشاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وما أشبه ذلك ، والكفر كقوله صلى الله عليه وسلم « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض » وقوله صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك » وفي لفظ « فقد كفر » وغير ذلك مما جاء في الحديث بلفظ الكفر مما لا ينقل عن الملة من الكفر الأصغر (وأما ما ذكر) في الخوارج فأنما هو لاجل مقام بهم من الشبهة المانعة من تكفيرهم والشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يكفر الخوارج كما أن أكثر أهل العلم لا يكفرونهم وقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الخوارج أكفار هم ؟ فقال من الكفر فروا ، فقالوا منافقون ؟ فقال المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا أو كلاما نحو هذا ، فقول العراقي : ومع كفرهم لم يكفروهم الصحابة ولا التابعون ، جهل عريض وتناقض بين ، وعدم معرفة بمقادير الصحابة وأهل العلم فانهم لو كانوا عند الصحابة كفارا أكفرا يخرجون من الملة الكفرهم الصحابة والتابعون فلما قام المانع من تكفيرهم أمسكوا عنه وهم أعلم الأمة وأعرفهم بالله وبدينه وأخشاهم له فهذا الكلام ونحوه . إنما هو في أهل الأهواء والبدع كالخوارج وأشباههم من أهل البدع التي لم تخرجهم بدعتهم من الاسلام وأما مشكلة عبادة القبور ودعائها مع الله فهي مشكلة وفاقية التحريم ، اجماعية المنع والتأثير ، فلم يدخل عباد القبور في كلام الشيخين لظهور برهانها ووضوح أدلتها وعدم اعتبار الشبهة فيها هذا وجه الإخراج والاستدراج ومراد هذا الملحد أن عباد القبور لا يكفرون لأن الصحابة والتابعين لم يكفروا الخوارج فبعداً للقوم الظالمين

وأما ما ذكره من قتال أهل الردة فليس الامر كما زعم من التفريق وإن كان قد قال به بعض العلماء فالحق والصواب ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم فانهم لم يفرقوا بين من ارتد وصدق مسيلة الكذاب والأسود العنسي وطلحة الاسدي وسجاح وبين من منع الزكاة ، بل قاتلوهم كلهم واستحلوا دماءهم وأموالهم وسبيهم وسموهم كلهم أهل الردة ولم يقولوا المانع الزكاة أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها ؟ هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة بل قال الصديق رضي الله

عنه لعمر رضي الله عنه والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه فجعل المبيع للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب وقد روى أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلافها ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة وهي قتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار وسموم جميعهم أهل الردة وكان من أعظم فضائل الصديق رضي الله عنه أن ثبته الله عند قتالهم ولم يتوقف كما توقف غيره فناظرهم حتى رجعوا الى قوله كما بينه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فاذا علمت ذلك فمن المحال أن يكون الحق والصواب مع من قال بخلاف ما قاله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم أفضل الامة وأن يكون الحق والصواب مع من بعدهم ممن لا يساويهم ولا يقاربهم في العلم والفضل والمعرفة وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين نحواً من خمسة وأربعين وجهاً تدل على أن ما قاله الصحابة رضي الله عنهم هو الحق والصواب الذي لا شك فيه

فصل

ثم ذكر العراقي فرق أهل الضلال من أهل الأهواء والبدع الذين فارقوا الجماعة كالقدرية والمعتزلة والمرجئة والجهمية والرافضة ولم يذكر من فرق أهل الأهواء إلا هؤلاء، ثم قال ومذهب السلف الذين تتستر به الوهاية هو عدم القول بتكفير طوائف المارقين الذين ذكرناهم والعجب كل العجب أن هذا العراقي يقران هؤلاء الطوائف هم المارقون المارقون للجماعة وهو يقول بأقوالهم في نفي الصفات والجواب ﴿ أن تقول هذا كذب على السلف رضوان الله عليهم فانهم كفروا غلاة الرافضة كالذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكذلك كفروا غلاة القدرية وغلاة المرجئة والمعتزلة وغلاة الجهمية وقد حكى شيخ الاسلام تكفير من قام به الكفر من أهل الأهواء قال واضطرب الناس في ذلك فمنهم من يحكى عن مالك فيه قولين وعن الشافعي كذلك وعن أحمد روايتين وأبو الحسن الاشعري وأصحابه لهم فيه قولان قال وحقيقة الامر أن القول قد

يكون كفراً فيطلق القول بتكفير قائله ويقال لمن قال هذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قال لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها انتهى وحيث كان الحال هكذا في الخوارج قد اختلف الناس في تكفيرهم والغلاة في علي لم يختلف أحد في تكفيرهم وكذلك من سجد لغير الله أو ذبح لغير الله أو دعاه مع الله رغباً أو رهباً كل هؤلاء اتفق السلف والخلف على كفرهم كما ذكره أهل المذاهب الأربعة ولا يمكن أحد أن ينقل عنهم قولاً ثانياً وبهذا تعلم أن النزاع وكلام شيخ الاسلام ابن تيمية وأمثاله في غير عباد القبور والمشركين فرضه وموضوعه في أهل البدع المخالفين للسنة والجماعة وهذا يعرف من كلام الشيخ فإذا عرفت أن كلام الشيخ ابن تيمية في أهل الاهواء كالقدرية والخوارج والمرجئة ونحوهم ما خلا غلاتهم تبين لك أن عباد القبور والجهمية خارجون من هذه الاصناف وأما كلامه في عدم تكفير المعين فالمتصود به في مسائل مخصوصة قد يخفى دليلها على بعض الناس كما في مسائل القدر والأرجاء ونحو ذلك مما قاله أهل الاهواء فان بعض أقوالهم تتضمن أموراً كفرية من رد أدلة الكتاب والسنة المترتبة فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص كفراً ولا يحكم على قائله بالكفر لاحتمال وجود مانع كالجهل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته في أن الشرائع لا تلزم الا بعد بلوغها ولذلك ذكر هذا في الكلام على بدع أهل الاهواء وقد نص على هذا فقال في تكفير أناس من أعيان المتكلمين بعد أن قرر هذه المسألة قال وهذا اذا كان في المسائل الخفية فقد يقال بعدم التكفير وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية أو ما يعلم من الدين بالضرورة فهذا لا يتوقف في تكفير قائله وبهذا تعلم غلط هذا العراقي وكذبه على شيخ الاسلام وعلى الصحابة والتابعين في عدم تكفير غلاة القدرية وغلاة المعتزلة وغلاة المرجئة وغلاة الجهمية والرافضة فان المصادر من هؤلاء كان في مسائل ظاهرة جلية وفيما يعلم بالضرورة من الدين وأما من دخل عليه من أهل السنة بعض أقوال هؤلاء وخاض فيما خاضوا فيه من المسائل التي قد يخفى دليلها على بعض الناس أو ممن كان من أهل الاهواء من غير غلاتهم بل من قلدتهم وحسن الظن بأقوالهم من غير نظر ولا بحث

هم هؤلاء هم الذين توقف السلف والأئمة في تكفيرهم لاحتمال وجود مانع كالجهل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته قبل قيام الحجة عليهم وأما اذا قامت الحجة عليهم فهذا لا يتوقف في كفر قائله

(وأما قوله) قال شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية لم يكفر الامام احمد الخوارج ولا المرجئة ولا اعيان الجهمية بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا الناس الى قولهم وعاقبوا من لم يوافقهم بالمقوبات الشديدة

فالجواب أن يقال قد تقدم عدم تكفير الخوارج والمرجئة غير الغالية منهم وأما الجهمية فيقال لو سلم هذا فجوابه من أوضح الواضحات عند أهل العلم والأثر وذلك أن الامام أحمد وأمثاله من أهل العلم والحديث لا يختلفون في تكفير الجهمية وانهم ضالال زنادقة وقد ذكر من صنف في السنة تكفيرهم عن علمه أهل العلم والأثر وعد اللالكائي الامام رحمه الله تعالى منهم عدداً يتعذر ذكرهم في هذا الجواب وكذلك ابن الامام أحمد في كتاب السنة والاحكام في كتاب السنة وابن أبي مليكة في كتاب السنة وامام الأئمة ابن خزيمة قرر كفرهم ونقله عن أساطين الأئمة وقد حكى كفرهم شمس الدين بن القيم في كافيته عن خمسمائة من أئمة المسلمين وعلمائهم والصلاة خلفهم لا تنافي القول بتكفيرهم لكن تجب الاعادة حيث لا يمكن الصلاة خلف غيرهم والرواية المشهورة عن الامام أحمد هي المنع من الصلاة خلفهم وقد يفرق بين من قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها وبين من لا شعور له بذلك وهذا القول يميل اليه شيخ الاسلام في المسائل التي قد يخفى دليلها على بعض الناس كما تقدم ذكره وعلى هذا القول فالجهمية في هذه الازمنة قد بلغتهم الحجة وظهر الدليل وعرفوا ما عليه أهل السنة واشتهرت الاحاديث النبوية وظهرت ظهوراً ليس بعده الا المكابرة والعناد، وهذا حقيقة الكفر والاحاد، كيف لا وقولهم يقتضي من تعطيل الذات والصفات والكفر بما اتفقت عليه الرسالة والنبوات وشهدت به الفطر السليمة ما لا يبقى معه من حقيقة الربوبية والالهية ولا وجود للذات المقدسة المنصفة بحميل الصفات وهم انما يعبدون

عدما لا حقيقة لوجوده ويعتمدون من الخيالات والشبه ما يعلم فساد به ضرورة العقل وبالضرورة من دين الاسلام عند من عرفه وعرف ما جاءت به الرسل من الاثبات . ولبشر المريسي وأمثاله من الشبه والكلام في نبي الصفات ما هو من جنس هذا المذكور عند الجهمية المتأخرين بل كلامه أخف إلحاداً من بعض هؤلاء الضلال ومع ذلك فأهل العلم متفقون على تكفيره وعلى أن الصلاة لا تصح خلف كافر جهمي أو غيره وقد صرح الامام أحمد فيما نقل عنه ابنه عبد الله وغيره أنه كان يعيد صلاة الجمعة وغيرها وقد يفعله المؤمن مع غيرهم من المرتدين اذا كانت لهم شوكة ودولة والنصوص في ذلك معروفة مشهورة من طلبها وجدها انتهى . وقد تقدم كلام أبي حنيفة وتصريحه بكفر من قال لا أدري العرش في السماء أم في الارض قال لأنه أنكر أنه في السماء لان الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلا لا من أسفل وقال الامام الشافعي رحمه الله أنه أسماء وصفات لا يسم أحد أروها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر ، وأما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل وثبتت هذه الصفات ونفي عنه التشبيه كما نفي عن نفسه فقال (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) انتهى

وقال شيخ الاسلام رحمه الله بعد كلام سبق : والبدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة فان عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وغيرهما قالوا أصول الأثنتين وسبعين فرقة هي أربع الخوارج والروافض والمرجئة والقدرية قيل لابن المبارك فالجهمية قال ليست من أمة محمد صلى الله عليه وسلم والجهمية نفاة الصفات الذين يقولون القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة وإن محمداً لم يرج به الى الله وإن الله لا علم له ولا قدرة ولا حياة ونحو ذلك كما يقوله المعتزلة والمتفلسفة ومن اتبعهم وقد قال عبد الرحمن بن مهدي هما صنفان فأحدهما الجهمية والرافضة فهذان الصنفان شرار أهل البدع ومنهم دخلت القرامطة الباطنية كالنصيرية والاسماعيلية ومنهم اتصلت الاتحادية فانهم من جنس الطائفة الفرعونية والرافضة في هذه الازمان مع الرافض

جهمية قدرية فانهم ضموها الى الرافض مذهب المعتزلة ثم يخرجون الى مذهب الاسماعيليه ونحوهم من اهل الزندقة والاتحاد انتهى كلامه رحمه الله وهذا العراقي الملحد ضم الى معتقده في عبادة القبور مذهب الجهمية والمعتزلة وقول الرافضة في الرؤية والقدرية (١)

(وأما قوله) عن شيخ الاسلام وقال أيضاً ما محصله إن من البدع المنكرة تكفير طائفة من المسلمين واستحلال دماءهم وأموالهم إذ لعل تلك الطائفة ليس فيها من البدعة ما في الطائفة المنكرة لها ولو فرض أن تلك الطائفة قد ابتدعت لم يجز للطائفة التي على السنة أن تكفرها لما عسى أن تكون بدعتها ناشئة عن خطأ الى آخره

(فالجواب) أن نقول ليس هذا مما نحن فيه في شيء فان من أهل البدع من لم تخرجه بدعته من الاسلام وليس الكلام في هؤلاء وفرض كلام الشيخ فيمن لم تكن بدعته تخرجه من الاسلام وانما الكلام في غلاة هؤلاء الطوائف وبهذا يعلم كل من له أدنى مسكة من عقل وأقل معرفة من علم أن عباد القبور والجهمية لا يدخلون في أهل البدع والاهواء الذين تقدم كلام الشيخ فيهم والشيخ محمد رحمه الله لا يكفر أحداً من هذا الجنس ولا من هؤلاء النوع وانما يكفر من نطق بتكفيره الكتاب العزيز وجاءت به السنة الصحيحة واجتمعت على تكفيره الأمة كمن بدل دينه وفعل فعل الجاهلية الذين يعبدون الملائكة والانبياء والصالحين ويدعونهم مع الله فان الله كفرهم وابع دماءهم وأموالهم كما دل عليه الكتاب العزيز والسنة المستفيضة

(١) هذا ما يؤخذ من كتابه المذكور وقد صرح بعد تأليف هذا الكتاب في أشعاره ومقالاته في الجرائد بالكفر والتعطيل والاعتراض على القرآن وكتبه محمد رشيد رضا

فصل

إذا تبين لك هذا فمن عجيب أمر هذا العراق وشدة غباوته ، وأنه إنما دهي من عجمته ، وعدم معرفته وتلقي العلوم الشرعية من مظانها تناقضه كما قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) فمن ذلك أنه ذكر فيما تقدم في غير موضع أن الوهاية قد خبطت كل الخبط في تنزيهه تعالى حيث ابت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه ، وأثبتت له الوجه واليدين ، وبعضته سبحانه فجعلته ماسكاً بالسموات على أصبع والارض على أصبع ، والشجر على أصبع ، والملك على أصبع ، ثم أثبتت له تعالى الجهة فقالت : هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالأصابع إلى فوق إشارة حسية ، وينزل إلى السماء ويصعد ، ثم نبى الرؤية في مواضع أخر وأولها بنوع من الانكشاف والتجلي من غير حاجة للباصرة ، ولا محاذاة لها . وفي موضع آخر قال : فاعتقدوا متمسكين بظواهر الآيات أن الله تعالى على عرشه وعلاء علواً حقيقياً ، وأن له تعالى وجهاً ويدين ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ، ويصعد نزولاً وصعوداً حقيقيين ، وأنه يشار اليه في السماء بالأصبع ، ثم نكس على رأسه فقال لما أتى على فرق أهل الاهواء قال :

ثم فارقت الجهمية الجماعة فقالوا : ليس على العرش إله يعبد ، ولا لله في الارض من كلام ، وانكروا صفات الله التي أثبتتها لنفسه في كتابه المبين ، وأثبتوا رسوله الصادق الأمين ، وأجمع على القول بها الصحابة ، وكذلك أنكروا رؤية الله تعالى في الدار الآخرة الى غير ذلك من اقوالهم ومعتقداتهم الكفرية

هذا لفظه بحروفه فنقض ما تقدم من قوله في الوهاية بما قاله هاهنا من أن الجهمية فارقوا الجماعة وقالوا : إنه ليس على العرش إله يعبد ، وأنهم أنكروا الصفات التي أثبتتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله ، وأجمع على القول بها الصحابة ،

وكذلك قال في رؤية الله تعالى وصرح أن هذا وغيره من معتقداتهم الكفرية ،
وكذلك قال في سائر الفرق أنهم فارقوا الجماعة ، وأن أهل السنة لم يكفروهم
بهذه الكفریات وهكذا يكون كلام من اتبع هواه وأضله الله على علم وختم على
سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله والا فكيف
يعتقد أن الله ينزه عن اثبات صفات كماله ونعوت جلاله ، ثم يحكم على أن القائل
بها مفارق للجماعة مخالف لما اجمع عليه الصحابة ، وأن اعتقاد هذا من العقائد
الكفرية ثم يقول ، ومع تماديهم في ضلالهم واستمرارهم على عنادهم ، بعد أن
بين أهل الحق لهم خطأ مذهبهم لم يكفروهم ، بل جعلوا الأخوة الایمانية ثابتة
لهم ولمن قبلهم من أهل البدع ، هذا قوله في المرجئة والمعتزلة والقدرية ، وأما
الجهمية فقال ومع ذلك فقد رد عليهم الائمة وبينوا ضلالهم حتى إنهم قتلوا بعض
دعاتهم كجهنم بن صفوان والجعد بن درهم ، وبعد أن قتلوهم غسلوهم وصلوا عليهم
ودفنوهم في مقابر المسلمين ، ولم يجروا عليهم أحكام أهل الردة ، وقال في الرافضة
ومع ذلك فلم يكفروهم أحد من العلماء ولا منعوهم عن التوارث ولا التناكح وأجروا
عليهم أحكام المسلمين ، ويكفي مجرد حكاية ضلاله عن التكاف في رده ، اذ من
المعلوم بالضرورة أن هذا الكلام بكلام المجاذيب الذين ينطقون بما لا يعقلون
أشبه به من نسبته الى أحد من أهل العلم والله المستعان

(ثم ذكر) انعقاد الاجماع على أن من أقر بما جاء به الرسول وان كانت فيه
خصلة من الكفر أو الشرك لا يكفر حتى تقام عليه الحجة إلى آخر ما ذكره مما
قد بينا فيما تقدم جوابه وكلام العلماء فيه

(ثم قال) في آخره فقد تبين ما للوهابية في تكفيرها المسلمين من
البدعة والمخالفة لما جاء به كتاب الله وسنة رسوله ولا أقوال أئمة الدين
والعلماء المجتهدين

والجواب : أن يقال قد بينا فيما تقدم أن الوهابية لا يكفرون المسلمين
ولا يكفرون أيضاً أهل الاهواء مطلقاً إلا بعد بلوغ الحجة على من قام به مكفر

من المكفرات وناقض من النواقض ، ولم نكفر الا من نطق كتاب الله وسنة رسوله بتكفيره وخالف أئمة الدين والعلماء المجتهدين وأجمعت الامة على تكفيره كمن بدل دينه وفعل فعل الجاهلية الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين ويدعونهم مع الله فان الله كفرهم وأباح دماءهم وأموالهم فلا يهولنك سفسطة هذا العراقي وتعميه بهذه العبارة ، فانه أول من خالفها كيف وقد قال فيما مضى من كلامه إن أدلة نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض اليقينية يعني باليقينيات معقولات الفلاسفة واليونان وانباط فارس وفروخ الجهمية وورثة المجوس والصابئين من المتكلمين الخارجين عن سبيل المؤمنين

فصل

قال العراقي: الوهابية ونفيها التوسل: ذكرنا فيما سبق تكفير الوهابية لمن خالف بدعتها من جميع المسلمين ونسبتها اياهم الى الشرك الاكبر ، وقد آن لنا أن نذكرها هنا ما اتخذته ذريعة لتكفيرهم من الأمور فنفها الاستغانة بالانبياء والاولياء والتوسل بهم الى الله تعالى وزيارتهم قبورهم فهي قد نفت ذلك وحرمته وشددت النكير على المستغيثين والمتوسلين والزائرين فكفرتهم وعدتهم مشركين كعباد الاوثان بل جعلتهم اسوأ حالا منهم حيث قالت إن المشركين السابقين كانوا مشركين في الألوهية فقط ، وأما مشركوا المسلمين تعني بهم من خالفها منهم فقد أشركوا في الألوهية والربوبية ، وقالت أيضاً ان الكفار في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشركون دائماً بل تارة يشركون وتارة يوحدون الله ويتركون دعاء الانبياء والصالحين ، وذلك أنهم إذا كانوا في السراء دعوهم واعتقدوا بهم وإذا أصابهم الضر والشدائد تركوهم وأخلصوا لله الدين وعرفوا أن الانبياء والصالحين لا يملكون ضراً ولا نفعا

والجواب على سبيل النقض — وسيأتي الجواب على ما يجيب به عما قالت الوهابية — أن نقول : أما الاستغانة بالانبياء والاولياء فهي من الشرك الأكبر

لان الاستغانة طلب الغوث ، ومن طلب من ميت أو غائب مالا يقدر عليه الا الله كان مشركا لان الاستغانة من أنواع العبادة فصرفها لغيره شرك ، قال شيخ الاسلام ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب كما ذكره السائل ويستغيث به عند المصائب ياسيدي فلان كأنه يطلب منه ازالة ضره أو جلب نفعه وهذا حال النصارى في المسيح وأمه واحبارهم ورهبانهم ، ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعلم الناس بقدره وحقه أصحابه ولم يكونوا يفعلون شيئا من ذلك في مغيبه ولا بعد مماته الى آخر كلامه رحمه الله تعالى ، وأما التوسل بهم إلى الله كأن يسأل الله تعالى بجاههم أو بجرمتهم ، فهذا ليس بشرك بل هو من البدع المحرمة والذرائع المفضية إلى ما هو أكبر من ذلك ، وأما زيارة قبورهم على الوجه الشرعي فلا مانع منه ونسبته إلى الوهابية كذب عليهم ، وأما مع شد الرحل فبدعة محرمة ، فان تضمنت زيارتهم دعاءهم والاستغانة بهم والاتجاء اليهم فهو الشرك الا كبر المخرج عن الملة ، وأدلة ذلك الآيات التي ذكرها فيما يأتي ،

وأما كون مشركي أهل هذه الأزمان أسوأ حالا من مشركي الجاهلية فمعلوم لان الكفار الاولين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية فيقرون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر النافع الضار إلى غير ذلك مما ذكره الله عنهم ولم يدخلهم ذلك في الاسلام ، وإنما كان شركهم في الألوهية ، فان الاله هو الذي تأله القلوب محبة واجلالا وتعظيما ، ومن أنواع ذلك الدعاء والخوف والرجاء والحب والتعظيم والاستغانة والاستعاذة والذبح والنذر والتوكل والاتجاء والرغبة والرهبه والخضوع والخشوع والانابة إلى غير ذلك من أنواع العبادة وهذه حال عباد القبور في هذه الأزمان وأما كون الكفار في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشركون دائما بل تارة يشركون وتارة يوحدون ويتركون دعاء الانبياء والصالحين وذلك أنهم إذا كانوا في السراء دعوهم واعتقدوا بهم وإذا أصابهم الضر والشدائد تركوهم وأخلصوا لله الدين وعرفوا أن الانبياء والصالحين لا يملكون ضرا ولا نفعا — فهذا ليس هو قول الوهابية بل هو نص كتاب الله تعالى (فاذا ركبوا

في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم وليتنبأوا فسوف يعلمون) إلى غير ذلك من الآيات ، وأما مشركو أهل هذه الأزمان فإنه لا يشتد شرهم إلا إذا وقعت بهم الشدائد فإنهم ينسبون الله ولا يدعون إلا معبودهم ، فشرهم دائم في الرخاء والشدّة ، وهذا أمر معلوم مشاهد لا ينكره إلا مكابر في الحسيات مباحث في الضروريات

(قال العراقي) حملت الوهاية جميع الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الموحدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتمسكت بها في تكفيرهم منها قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) وقوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقوله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) وقوله تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبؤك مثل خبير) وقوله (ولا تدع مع الله إلها آخر ف تكون من المعذنين) وقوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ومادعاء الكافرين إلا في ضلال) وقوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) إلى غير ذلك من الآيات النازلة في المشركين ، فزعم ابن عبد الوهاب أن كل من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وتوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداهم أو سأله الشفاعة أو زار قبره يكون في عداد هؤلاء المشركين داخلا في عموم هذه الآيات وشبهته في ذلك أن هذه الآيات وإن كانت نازلة في المشركين إلا أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب انتهى .

فكل ما ذكره عن الوهاية حق وبه نقول إلا ما كان من لفظ التوسل أو

زيارة القبور فقد تقدم في الفصل الاول الجواب عن ذلك وانا لانكفر بهما ، ثم انظر ماذا يجب به من المحرقة السامجة المارجة الساذجة
قال والجواب انا لاننكر أن العبرة هي اعموم اللفظ لا لخصوص السبب ، ولكن نقول إن هذه الآيات لا تشمل من زعمت الوهاية أنها شاملة لهم لما انه ليس من أحوال الكفار الذين نزلت هذه الآيات فيهم شيء عند المتوسلين والمستفيثين ، فان الدعاء يأتي لمعان شتى كما سنذكره قريباً وهو في هذه الآيات كلها بمعنى العبادة ، والمسلمون لا يعبدون إلا الله تعالى وليس فيهم من اتخذ الانبياء والاولياء آلهة وجعلهم شركاء لله تعالى حتى تعمهم هذه الآيات ، ولا اعتقدوا أنهم يستحقون العبادة ، ولا أنهم يخلقون شيئاً ، ولا أنهم يملكون ضراً ولا نفعاً ، بل انما اعتقدوا أنهم عبيد الله مخلوقون له ، وما قصدوا بزيارة قبورهم والتوسل بهم إلى الله تعالى إلا التبرك بهم لكونهم أحياء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم فيبركهم برحم عباده

قالت الوهاية : ان اعتذاركم هو عين اعتذار المشركين عن عبادة الاصنام فقد قال تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى) فالمشركون ما اعتقدوا في الاصنام أنها تخلق شيئاً ، بل اعتقدوا أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) فانما حكم الله تعالى عليهم بالكفر لقولهم (ليقربونا الى الله زلفى) قالت : وهكذا المتوسلون بالانبياء والصالحين يقولون ما هو بمعنى قول المشركين ليقربونا الى الله زلفى قال العراقي : والجواب من وجوه الاول أن المشركين جعلوا الاصنام آلهة والمسلمون ما اعتقدوا الا إلهاً واحداً فعندهم أن الانبياء أنبياء والاولياء اولياء ليس الا فلم يتخذوهم آلهة مثل المشركين

(والجواب عن أجوبة هذا الملحد) أن نقول ما ذكره العراقي ليس هو حاصل ما تنجيب به الوهاية من أشرك بالله غيره واتخذ معه آلهة من دونه ، فان عندهم من الأدلة والاجوبة ما لم تحط به علماً ، ولا تقدر على نقضه وابطاله كما قال تعالى (ولا

يأتونك بمثل الا جثثك بالحق وأحسن تفسيراً) فانهم هم أتباع رسول الله على الحقيقة لا على الدعوى والانتساب ، ولكننا في هذا المقام انما نحيب على أجوبته بما يبين بطلانها ، ويهدم أركانها ، ويهدئ بنيانها ، وإن كان مأجابهم به أو من من خيط العنكبوت فنقول : قد كان من المعلوم عند من لمعرفة بالعلوم الشرعية أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من يعبد الاصنام المصورة على صور الصالحين ودوسواع ويغوث ويعوق ونسر ، ومنهم من يعبد الملائكة والانبيا والصالحين ويجعلونهم وسائط بينهم وبين الله ، ويقولون نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم ، ومنهم من يعتقد في الاشجار والاحجار يرجون بركتها وغير ذلك . ومع ذلك كانوا يعلمون أن الانبياء أنبياء ، وأن الاولياء اولياء ، وأن الاشجار كالعزى شجرة ، وأن مناة أكمة يذبحون لألهتهم عندها يرجون بركتها ، وكذلك اللات يعلمون انها صخرة كان يلت عليها السويق للحاج فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يحدد لهم دين أبيهم ابراهيم ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لالمالك مقرب ، ولانبي مرسل فضلاً عن غيرها ، وهؤلاء المشركون لم يعتقدوا في آلهتهم التي يدعونها من دون الله من الاصنام ، والملائكة ، والانبيا والاولياء والصالحين ، انهم يستحقون العبادة^(١) ولا انهم يخلقون شيئاً ، ولا انهم يملكون ضرراً ولا نفعاً ، ويعلمون أن الله هو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبر لجميع الامور ، ولكن لم يدخلهم ذلك في التوحيد الذي دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وأن يكون الدين كله لله ، والنذر كله لله ، والذبح كله لله والاستغاثة كلها بالله ، والاتجاء اليه وحده ، والتوكل عليه ، والخوف والرجاء منه ، والدعاء كله لله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله . فاذا عرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وأن قصد الملائكة والانبيا والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بهم ، ويتبركون بهم لكونهم أحبباء الله المقربين الذين اصطفاهم الله واجتباهم ، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم . عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت

(١) أي لذاتهم وانما يستحقونها لانهم وسطاء وشفعاء عند الله تعالى

إليه الرسل ، وإبى عن الإقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله ، فإن الإله هو الذي تألمه القلوب ، ويقصد لأجل هذه الأمور سواء ، كان ملكاً ، أو نبياً ، أو ولياً ، أو شجرة ، أو قبراً ، أو جنياً . لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر ، فمن صرف من هذه العبادة المتقدم ذكرها شيئاً لغير الله فقد اتخذ إلهاً لأنه صرف خالص حق الله لغيره ، وأشركه معه في عبادته ، ومن أشرك بالله أحداً في عبادته كان مشركاً سواء كان المدعو المستغاث به ملكاً أو نبياً ، أو ولياً ، أو صنماً ، فقول هذا العراقي إن المشركين جعلوا الأصنام آلهة والمسلمون ما اعتقدوا إلا إلهاً واحداً ، جهل عظيم وغباءة مفرطة ، فإن المشركين عبدوا الملائكة ، وعيسى ، واللات ، وهو قبر رجل صالح مع الأصنام المصورة وصرفوا لهم خالص حق الله كما تقدم ذكره . وأيضاً فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم « قولوا لا إله إلا الله » قالوا : — اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا شيء عجاب — فالكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو أفراد الله تعالى بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه ، وأن يكون الدين كله لله ، فإذا صرف المشركون لمن يعتقدون فيه شيئاً من هذه العبادة كانوا بذلك مشركين ، فكذلك من يزعم أنه مسلم ويتلفظ بالشهادتين ويقر بسائر الأركان إذا صرف من هذه العبادة شيئاً لغير الله كان مشركاً ، ولا ينفعه اعتقاده أن الله إله واحد^(١) وهو يعبد معه غيره ، ولا تنفعه معرفته أن الأنبياء أنبياء ، والأولياء أولياء ، وهو يشرّكهم في عبادة الله

(١) بل هو لا يعتقد أن الإله واحد وإنما يقول بلسانه ما يحجل معناه لظنه أن لفظ الإله معناه الرب الخالق للخلق وإنما معناه المعبود بالدعاء وغير الدعاء وهو يدعو غير الله ويجعل أن هذا عبادة له لجهله بمعنى العبادة وبمعنى الإله وأنه المعبود فمشركو الجاهلية كانوا يصرحون بأن دعاءهم لغير الله وذبائحهم ونذوره عبادة لأنهم أهل اللغة . والقبوريون جهلوا الدين وجهلوا لغتهم فسموا العبادة بغير اسمها لتصریح القرآن بأن عبادة غير الله كفر . ولكنهم غفلوا عن تصرّحه بأن الدعاء عبادة وكتبه محمد رشيد رضا

فصل

قال العراقي : الثاني أن المشركين اعتقدوا أن تلك الالهة تستحق العبادة بخلاف المسلمين فانهم لم يعتقدوا أن أحداً من المتوسلين بهم مستحق لآقل عبادة وليس عندهم المستحق للعبادة الا الله وحده

والجواب أن تقول : هذه العبادة التي صرفها المشركون الاولون لآلهتهم هي مايفعله المشركون من عباد القبور في هذه الازمان سواء بسواء وان زعموا أن هذا توسل ، فالعبرة بالحقائق لا بالاسماء ، فان المشركين الاولين مازعموا أن آلهتهم التي عبدوها من دون الله من الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض ، أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات ، ولا أنهم مستحقون للعبادة ، وإنما كانوا يدعونهم ويلتجئون اليهم ، ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم الى الله زاني .

ويقال لهذا الملحد أيضاً لا يخلو معتقد هذه الافعال عن أحد ثلاثة أمور ، اما ان يعتقد أنهم مستحقون للعبادة من دون الله أو مع الله ، واما أن لا يعتقد ذلك لكن ليقربوهم الى الله زاني ، واما أن لا تكون هذه الافعال عبادة ، فان كان أراد أن هذه ليست بعبادة فقد كبر العقل والشرع وباهت في الضروريات ، وان كان أراد بها ليقربوهم الى الله زاني مع اعتقادهم أن الله هو النافع الضار المدبر لجميع الامور ، وأنه لاخالق الا الله فهذا هو شرك الجاهلية ، وان أراد أنهم مستحقون للعبادة من دون الله أو مع الله كان هذا أعظم من شرك الجاهلية فان هذا شرك في الربوبية والالوهية معاً .

فاذا عرفت أن هذا الشرك الذي بسميه هؤلاء توسلا وشفعاً بجاه النبي أو بحقه وغير ذلك من الالفاظ ، أو بجاه غير النبي كالملائكة والاولياء والصالحين وهو ان يعتقد أحدهم في غير الله انه بذاته يقدر على جلب منفعة لمن دعاه أو استغاث به ،

أو دفع مضرة، أو أن هذا يحصل ببركته وشفاعته كان هذا هو العبادة التي لا يستحقها إلا الله فإن العبادة التي لا يستحقها إلا الله مع الاقرار بتوحيد الربوبية هي أفعال العبد الصادرة منه كاللجوء، والحب، والخوف، والرجاء، والخصوع، والخشوع، والابانة والتوكل والمحبة والتعظيم، والاستغاثاة والدعاء، والالتجاء، والاستعانة، والاستعاذة، والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي اختص بها دون من سواه وهو المستحق لها دون من عداه، فمن صرف منها شيئاً لغير الله كان مشركاً سواء اعتقد التأثير فيما يدعو به ويدفع به، أو أنه مستحق لذلك أو غير مستحق، أو لم يعتقد ذلك وإن فر من تسمية فعله شركاً وتألهوا بعبادة، فإنه من المعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها فلا تزول هذه المفاسد بتغير أسمائها كتسمية عبادة غير الله توسلاً وتشفعاً، أو تبركاً وتعظيماً للصالحين وتوقيراً، فإن الاعتبار بحقائق الأمور لا بالأسماء والاصطلاحات، والحكم يدور مع الحقيقة وجوداً وعدمًا لا مع الأسماء. فقوله عن مشركي هذا الزمان أنهم لا يعتقدون أن أحداً منهم يتوسل به يزعم أنهم مستحقون لأقل عبادة تمويه وسفسطه من هذا العراقي لأن المستحق للعبادة هو الذي تأله القلوب محبة واجلالاً وتعظيماً فمن تأله غير الله فقد اعتقد أنه مستحق للعبادة بتأله إياه بأنواع هذه العبادة شاء أم أبى، ولا ينفعه اقراره أن المستحق للعبادة هو الله وحده وهو يشرك به غيره (وأما قوله) الثالث أن المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والمسلمون ما عبدوا الأنبياء والصالحين في توسلهم إلى الله تعالى

(فالجواب) أن يقال إن المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل الصادر منهم كاللجوء، والحب والخوف والتعظيم والرجاء والاستغاثاة والاستعاذة والذبح لهم والنذر والالتجاء إليهم فصرفوا لهم هذه العبادة ليشفعوا لهم عند الله وليقربوهم إلى الله زلفى وهكذا حال مشركي هذه الأزمان إنما عبدوهم بالفعل والاعتقاد فيهم وتوسلوا بهم وقصدوهم لأجل التبرك بهم والاستشفاع بنجائهم لا لأجل أنهم مستحقون للعبادة ولا أنهم مستقلون بالخلق والإيجاد والنفع والضرر وايضاً

فان مجرد ارتكاب فعل أو قول أو اعتقاد لغير الله مما يعد من العبادة من الدعاء والذبح وما تقدم ذكره موقع في الاشرار سواء وجد معه اعتقاد الوهية غير الله أم لا ﴿ وأما قوله ﴾ الرابع أن المشركين قصدوا بعبادة أصنامهم التقرب الى الله تعالى كما حكى الله وأما المسلمون فلم يقصدوا بتوسلهم بالانبياء وغيرهم التقرب الى الله تعالى لما أن التقرب اليه لا يكون الا بالعبادة ولذلك قال الله حكاية عن المشركين (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى) بل المسلمون قصدوا التبرك والاستشفاع بهم والتبرك بالشيء غير التقرب به كما لا يخفى

﴿ فالجواب ﴾ أن نقول وهكذا حال مشركي العرب مع أوثانهم انما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستغاثة بها والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها ويؤمنونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلك فالتبرك بالصالحين أو بقبورهم كالتبرك باللات وبالأشجار والاحجار كالعزى ومناة من جملة فعل أولئك المشركين مع تلك الاوثان فمن فعل مثل ذلك واعتقد في قبر أو صاحبه أو حجر أو شجر فقد ضاها عبادة هذه الاوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك على أن الواقع من هؤلاء المشركين في هذه الازمان مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك فمن دعا غير الله واستغاث به ولجأ اليه وصرف له شيئاً من خالص حق الله كان هذا الفعل منه بهذا القصد شركاً بدليل ما رواه الترمذي وصححه عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله اكبر انها السنن ، قلم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلهة كإلهة آلهم ، قال انكم قوم تجهلون) لتبعن سنن من كان قبلكم » فقوله وينوطون بها أسلحتهم أي يعلقونها للبركة ففي هذا بيان ان عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك وبهذه الامور الثلاثة عبدت الاشجار ونحوها فظنوا أن هذا الامر محبوب عند الله فقصودوا التقرب به فاقسم صلى الله عليه وسلم ان طلبتهم كطلبة بني اسرائيل

بجامع أن كلا الملبه أن يجعل له ما يأله ويعبده من دون الله وأن يختلف اللفظان فالمعنى واحد فتغير الاسم لا يغير الحقيقة ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن طلبتهم من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط يتبركون بها كطلبة بني اسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهاً فأقسم صلى الله عليه وسلم أن مقالة هؤلاء كقالة أولئك سواء بسواء وإذا كان القصد من الشرك بالشيء كال تبرك مثلاً هو القصد من التأله به كان الكل عبادة يتقرب بها إلى الله فالفرق بين العبادتين لاختلاف اللفظين تحكم بغير دليل فقد اتضح عدم الفرق في هذه القضية فأنجملت الشبهة العراقية

(وأما قوله) الخامس أن المشركين لما كانوا يقصدون أن الله تعالى جسم في السماء أرادوا بقولهم ليتربونا إلى الله زلفى التقرب الحقيقي ويدل عليه تأكيدهم زلفى إذ تأكيد الشيء بما ظاهره معناه يدل في الأكثر على أن المقصود به هو المعنى الحقيقي دون المجازي فإذا قلنا قتله قتلًا تبادر القتل الحقيقي إلى الفهم لا الضرب الشديد بخلاف ما لو قلنا قتله فقط فإنه قد يراد به الضرب الشديد وأما المسلمون فحيث لم يقصدوا أن الله جسم في السماء بعد منهم أن يطلبوا التقرب الحقيقي إليه بالتوسل فلا ينطبق عليهم حكم الآية

نعم إن الوهاية لما اعتقدت أن الله تعالى جسم استوى على عرشه في السماء لم تجد للتبرك الذي قصده المسلمون بتوسلهم معنى غير التقرب الذي يكون إلى الاجسام ولذلك جعلت هذه الآية منطبقة عليهم

(فالجواب) أن يقال قد كان من المعلوم أن مشركي الجاهلية لا يعرفون من لفظ الجسم ما أحدثه هؤلاء المتأخرون من أنه مركب اما من المادة والصورة أو من الجواهر المنفردة أو ما تركب من أجزاء منفردة ولا كانوا يعرفون ما أحدثه هؤلاء من لفظ الاعراض والاعراض والابعاض والحين والجهة وإنما يعرف هذا عن ورثة المجوس والمشركون وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وأما العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فإن الجسم معناه في لغتهم البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسم سواء فلا يقال للهواء جسم لغة

ولا للنار ولا للآلهاء، وإذا كان ذلك كذلك كان هذا المعنى منفيًا عن الله تعالى علة لا وسعها
وكذلك ما يعني هؤلاء الملاحدة بالجسم أنه مركب إما من المادة والصورة
والهيوولي أو من الجواهر الفردة أو من الأجزاء المتفرقة — منفي عن الله تعالى باتفاق
من أثبتته ومن نفاه من العقلاء، حتى في الممكنات. فإذا تمهد هذا فالكفار الجاهل
كانوا أصح عقولا وأسلم فطراً من ورثة المتفلسفة والصابئين وأنباط فارس
والروم فانهم كانوا يعلمون بفطرم التي فطروا عليها أن الله الذي خلقهم وأوجدهم
فوق السماء كما قال صلى الله عليه وسلم لحصين الخزاعي « كم كنت تعبد ؟ » قال سبعة
سنة في الأرض وواحد في السماء قال « من كنت تعد لرغبتك ورهبتك ؟ » قال الذي
في السماء . وكانوا إذا اجتمعوا إلى الله ودعوه رفعوا أبصارهم وأيديهم إلى السماء
ومن أشعارهم قول أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم
فاستحسنه وقال « آمن شعره وكفر قلبه » قال :

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيراً

بالبناء الأعلى الذي سبق لنا من وسوى فوق السماء سريراً

شرجعاً ما يناله بصر العـ ين ترى دونه الملائك صوراً

وقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين قال :

شهدت بأن وعد الله حق وإن النار مثوى الكافرينا

وإن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

وإذا كان العرب يعرفون بفطرم أن الله فوق السماء ولا كانوا يعرفون
ما أحدثه هؤلاء من لفظ الجسم على اصطلاحهم الحادث الماعون واختلافهم في ذلك
كان تفرعاً باطلاً على تأصيل باطل مخترع، وكان من المعلوم أن المشركين إنما
اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم إنما هو بطلب القرية والمنزلة عند الله بشفاعته
من يعبدونه والقربى هي المنزلة فكان من المعلوم أنهم ما طلبوا منزلة مجازية لا
حقيقة لها في الخارج .

قال البغوي رحمه الله في تفسير هذه الآية (والذين اتخذوا من دونه أولياء)

يعني الأصنام (ما نعبدهم) أي قالوا ما نعبدهم (إلا ليقربونا إلى الله زانين)

وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس . قال قتادة : وذلك انهم كانوا إذا قيل لهم : من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والأرض ؟ قالوا الله ، فيقال لهم : فما معنى عبادتكم الاوثان ؟ قالوا : ليقربونا الى الله زلفى . أي قربى وهو اسم أقيم مقام المصدر كأنه قال : الا ليقربونا الى الله تقرباً ويشفعوا لنا عند الله ، وبهذا يندفع توهم هذا العراقي ان التقرب بالمعنى المجازي لا على المعنى الحقيقي لانه لا يعتقد ان الله على عرشه بأن من خلقه ، فلذلك ظن ان المشركين كانوا يعتقدون ان الله في السماء على عرشه فوق خلقه ، واذا كان على عرشه فوق خلقه كان جسماً ، وقد بينا فيما تقدم بطلان ما توهمه من اللوازم التي أحدثوها ما أنزل الله بهما من سلطان (ان هي الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهما من سلطان)

واذا تبين لك ما قدمناه كان حكم الآية منطبقاً على هؤلاء المشركين الذي يزعم هذا الملاحد انهم مسلمون ، وأيضاً فان هذا الملاحد ومن نحنا نحود من المشركين حيث أنكروا التقرب الحقيقي فمرادهم أنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله ولا يشار اليه بالاصابع الى فوق إشارة حسية كما أشار اليه أعلم الخلق به ولا ينزل منه شيء ، ولا يصعد اليه شيء ، ولا تعرج الملائكة والروح اليه ولا رفع المسيح اليه ولا عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم اليه حقيقة ولا يتقرب اليه بشيء ، ولا يقرب منه أحد لأنه يلزم على هذا عندهم أن يكون جسماً وقد علم بالاضطرار أن الله لا سمي له ولا كفوله ولا مثل له فانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فلا ننفي عن الله ما أثبتته لنفسه لتسمية الملاحدة أعداء الله ورسوله للموصوف بها جسماً وهؤلاء الضلال قد جمعوا بين الشرك في الألوية وبين تعطيل الرب عن صفات كماله ونعوت جلاله فكان المشركون الاولون أخف شركاً منهم لانهم ما أنكروا علو الله على عرشه ولا عطلوه من صفات كماله

فصل

﴿ قال الملحد ﴾ ويجدر بنا أن نبين هنا أنواع الشرك فنقول منها ما يقال له شرك الاستقلال وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس ومنها شرك التبعية وهو تركيب الاله من عدة آلهة كشرك النصارى ومنها شرك التقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقرب الى الله زاني كشرك الجاهلية والشرك الذي جعلته الوهاية أصلاً لشرك المستغيث والمتوسل وبنت عليه قاعدتها هو شرك التقريب الذي دانت به الجاهلية

﴿ والجواب ﴾ أن نقول هذا التقسيم بهذا اللفظ لم أجده في شيء من كتب أهل الاسلام الذين هم الأسوة وبهم القدوة ولم ينسبه الى عالم من علماء الاسلام وإنما هو تنويع عراقي وفيه من التقصير والقصور مالا يخفى وإذا كان هذا مبلغ علمه ومحصول ما لديه تعين ان نذكر من أقوال أهل العلم ما يبين تخليط هذا العراقي وتخليطه حيث اعتقد إن ما يفعله المشركون في هذه الازمان ليس من الشرك فنقول اعلم أن ضد التوحيد الشرك وهو ثلاثة أنواع شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفي والدليل على الشرك الاكبر قوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً) وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وهو أربعة أنواع شرك الدعوة والدليل على ذلك قوله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) النوع الثاني شرك النية والأرادة والقصد والدليل قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) النوع الثالث شرك الطاعة والدليل قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا

إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لادعائهم إياهم كما فسرهما النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لما سأله قال لسنا نعبدكم فذكر أن عبادتهم طاعتهم في المعصية^(١) النوع الرابع شرك المحبة والدليل قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله)

(وأما النوع الثاني) فهو الشرك الأصغر وهو الرياء والدليل قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهو أنواع (والنوع الثالث) الشرك الخفي والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم «الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل» وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم «اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم»

(وقال ابن القيم) رحمه الله تعالى الشرك شر كان شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله والشرك الأول نوعان أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال وما رب العالمين؟ وقال تعالى مخبراً عنه انه قال (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع الى إله موسى واني لأظنه كاذباً) فالشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته ولكن عطل حق التوحيد

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن هذا الشرك شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا

(١) نص الحديث طاعتهم فيما يحلون وما يحرمونه عليهم .

ها هنا شيثان بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، ومنه شرك الملاحدة القائلين
 يقدم العالم وأبديته وأنه لم يكن معدوماً أصلاً بل لم يزل ولن يزال. والحوادث
 بأسرها مستندة عندهم الى أسباب ووسائل اقتضت إيجادها يسمونها العقول
 والنفوس. ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غلاة
 الجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له اسماً ولا صفة بل جعلوا المخلوق أكمل منه إذ كمال
 الذات باسمائها وصفاتها

فصل

(النوع الثاني) شرك من جعل معه الها آخر ، ولم يعطل أسماء وربوبيته
 كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة فجعلوا المسيح إلهاً وأمه إلهاً ، ومن
 هذا شرك المجوس القائلين باسناد حوادث الخير إلى النور ، وحوادث الشر إلى
 الظلمة ، قلت فانظر إلى كلام شمس الدين بن القيم وإلى كلام هذا الملحد حيث
 قال : منها شرك الاستقلال وهو اثبات إلهين مستقامين كشرك المجوس ومنها شرك
 التبعية وهو تركيب الآله من عدة الهة كشرك النصارى وبهذا تعرف أنه
 ما عرف أنواع الشرك ولا أقسامه

ثم قال ابن القيم ومن هذا شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذي يخلق
 أفعال نفسه وأنها تحدث بدون مشيئة الله وتقديره وإرادته ولهذا كانوا من أشباه
 المجوس ، ومن هذا شرك الذي حاج إبراهيم في ربه (إذ قال إبراهيم ربي الذي
 يحبي ويميت ، قال أنا أحبي وأميت) فهذا جعل نفسه مثلاً لله يحبي ويميت بزعمه
 كما يحبي الله ويميت ، فألزمه إبراهيم عليه السلام ورحمة الله وبركاته ، أن طرد قولك
 أن تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها ، وليس هذا انتقلاً
 كما زعمه بعض أهل الجدل بل الزاما على طرد الدليل ان كان حقاً ، ومن هذا
 شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أرباباً مدبرة لأمر هذا العالم
 كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم ، ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار
 وغيرهم ، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده هو الالهة على الحقيقة ومنهم من يزعم

أنه أكثر الآلهة ومنهم من يزعم أنه إله من جملة الآلهة ، وأنه إذا خصه بعبادته والتبتل إليه والالتطاع إليه أقبل عليه واعتنى به ، ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى المعبود الذي فوقه والفوقاني يقربه إلى من فوقه حتى يقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه ، فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل

ثم ذكر الشرك في العبادة وأنواعه ، وهو الشرك الخفي ، وذكر أن منه ما ينقسم إلى كبير وأكبر وليس منه شيء مغفور ، كالشرك بالله في المحبة

ثم ذكر الشرك بالله سبحانه في الأقوال والأفعال والأرادات والنيات وإن منه ما هو أكبر وأصغر ، تركنا ذكر ذلك طلباً للاختصار فمن أراد الوقوف عليه فهو في الجواب الكافي والدواء الشافي ، وبما ذكرناه يتبين لكل منصف أن هذا العراقي مزجى البضاعة من العلوم النبوية والعقائد السلفية ، وأنه لا دراية له ولا روية وحيث إنه ما عرف من الشرك إلا ما ذكره من هذه الأنواع التي خبط فيها خبط عشواء صار ما عداها عنده ليس من الشرك ، وإن ما عداها من الأمور الشركية - المخرجة من الملة التي هي أعظم وأدهى - لا تخرج من الملة لكونه قد تلبس بها وتضمخ بوضرها ، فلذلك كان يسمى أهلها هم المسلمون عنده

فمن تلك الأمور التي ما ذكرها ولا عرف أنها من الكفر المخرج من الملة الشرك الذي يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله كتعطيله سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ، ومنها الشرك بالله في المحبة والتعظيم بأن يحب مخلوقاً كما يحب الله ، فهذا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله وغير ذلك من الأمور الشركية التي تقدم ذكرها ، فإذا عرفت ذلك تبين لك ضلال هؤلاء الملاحدة الذين أشربت قلوبهم عداوة أهل التوحيد ولقبوهم باللقاب الشنيعة ورموهم بالعظائم التي لا ترام ولا نطق وحسبنا الله ونعم الوكيل

فصل

(قال العراقي) والأمر الذي حمل الجاهلية على شركها هذا هو تسويل الشيطان لها أن عبادة غير الله تعالى على ما هي عليه من غابة الضعف والعجز وتركها التقرب اليه بعبارة من هو أعلى منها عنده وأشرف وأقوى ، كنجو الملائكة إنما هو سوء أدب ، ولكن لما رأت غيبة من عبده عنها دائماً أو بعض الأوقات صنعت الأصنام امثلة لما غاب عنها من معبوداتها فعبدها اهـ

والجواب : أن تقول ليس الأمر كما زعمت ، ولا ما اليه ذهبت ، وإنما الأمر الذي حمل الجاهلية على شركها هو الغلو في الصالحين كما قال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الآية ، والغلو هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد ، أي لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله فتزله المنزلة التي لا تبغي الا الله

والخطاب وان كان لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم صلى الله عليه وسلم فعل النصارى في عيسى واليهود في العزيز كما قال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تحشم قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً) صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود فكانت انكبا بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراء ، ثم لبني غطف بالجرف عند سبا ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحير لآذي الكلاع . (هذه) أسماء رجال صالحين في قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون اليها أنصباً وسموها باسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسي العلم عبت

قال ابن جرير رحمه الله حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن

موسى بن محمد بن قيس أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم : لو صورنا صورهم كان أشوق لنا الى العبادة فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يستقون المطر فعبدوهم انتهى

فالشيطان هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وأمرهم بها فصار هو معبودهم في الحقيقة كما قال تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك وان كان القصد بها محبتهم كما قد وقع مثل ذلك في هذه الامة أظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله ، وفي رواية أنهم قالوا ما عظم أولونا هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله أي يرجون شفاعته أولئك الصالحين الذين صوروا تلك الاصنام على صورهم وسموها باسمائهم ومن هنا يعلم أن اتخاذ الشفعاء ورجاء شفاعتهم بطلبها منهم شرك بالله قال ابن القيم رحمه الله وما زال الشيطان يوحى الى عباد القبور ويلقي ان البناء والعكوف عليهما من محبة أهل القبور من الانبياء والصالحين وأن الدعاء عندها مستجاب ثم ينقلهم من هذه المرتبة الى الدعاء بها والاقسام على الله بها فان شاء الله أعظم من أن يقسم عليه أو يستل باحد من خلقه :

فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعه من دون الله واتخاذ قبره وثنا تعلق عليه القناديل والستور ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج اليه ويدبح عنده ، فاذا تقرر هذا عندهم نقلهم منه الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذ عياد ومنسكا ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من تجريد التوحيد وأن لا يعبد الا الله

فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل

الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم ، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر ، وغضب المشركون واشمازت قلوبهم كما قال تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطفام وكثير ممن ينتسب الى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله ، ويأبي الله (وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون) انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى

فاذا عرفت ما تقدم من ان سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين لا كما يزعمه هذا الضال تبين لك ان حال مشركي الجاهلية منطبق على حال هؤلاء المشركين في هذه الازمان والواقع شاهد بذلك كما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى

ثم قال العراقي : اذا تحققت هذا انضح لك أن حال مشركي الجاهلية لا ينطبق بوجه من الوجوه على المسلمين المتوسلين إلى الله بالانبياء الصالحين فأقول قد تقدم جواب هذا

(وقوله) فأولئك اتخذوا الاصنام آلهة والاله معناه المستحق للعبادة فهم اعتقدوا استحقات الاصنام للعبادة ، واعتقدوا أولا انها تضر وتنفع فعبدوها فأقول : أن أولئك اتخذوا الاصنام والملائكة والانبياء والاويلياء والصالحين آلهة يعبدونها من دون الله ، والاله معناه الذي تأله القلوب بالمحبة والخضوع والخوف والرجاء ، وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة والتوكل والاستغاثة والدعاء والذبح والنذر والسجود وجميع أنواع العبادة الباطنة والظاهرة ، فهو إله بمعنى مألوه أي معبود ، واجمع أهل اللغة أن هذا معنى الاله قال الجوهري إله بالفتح إلهة أي عبدعبادة ، قال : ومنه قولنا الله وأصله إله على فعال بمعنى مفعول لانه مألوه بمعنى معبود كقولنا امام فعال بمعنى مفعول لانه مؤتم به . قال : والتأليه التعبيد ، والتأله التنسك والتعبد . قال روبة

سبحن واسترجعن من تأله * انتهى . وقال في القاموس : إله ، إلهة ، وألوهة عبد

عبادة ومنه لفظ الجلالة واختلف فيه على عشرين قولاً يعنى في لفظ الجلالة . قال : وأصله إله بمعنى مألوه ، وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه . قال : والتأله انتسك والتعبد انتهى . وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود ، فإذا كان هذا هو معنى الإله في اللغة والشرع فهو المستحق للعبادة المتقدم ذكرها دون من سواه ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك ذلك الغير في عبادة الله . وأما كون المشركين اعتمدوا أن آلهتهم تنفع وتضر فغير مسلم ، فإنهم قد اعترفوا أن الله هو النافع الضار ، وأنه المستحق للعبادة ، ولكنهم ما أرادوا ممن عبدوه إلا الجاه والشفاعة وليقربوهم إلى الله زانق كما هو قول المشركين في هذه الأزمان سواء بسواء . وقد قال صلى الله عليه وسلم « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو كان فيهم من أتى أمه علانية لكان في هذه الأمة من يفعله » وفي لفظ « حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن » ؟

(وقوله) فاعتمدوا هذا وعبادتهم إياها أوقعتهم في الشرك ، فلما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعاً ولا ضرراً (قالوا ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فأقول : لما أقام الله عليهم الحجة بأقرارهم أن الله هو المحيي المميت المدبر لجميع الأمور ، وأن الله هو النافع الضار ، وأن آلهتهم لا تملك لهم نفعاً ولا ضرراً ، ولا حياة ، ولا نشوراً واعترفوا بذلك ، قال الله تعالى (أفلا تتقون) أي تتقون الشرك في العبادة ، فإن الفاعل لهذه الأشياء هو الذي يستحق العبادة دون من سواه ، فقول الكفار (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زانق) كقول مشركي هذه الأزمان لسنا نعبد إلا الله ^(١) ولكن ما قصدنا بزيارة قبورهم إلا التوسل بهم

(١) هذا خلاف منطوق الآية فهي مصرحة عنهم بأنهم يعبدونهم لكن لا لذواتهم وقد دلتهم على النفع والضرر بل ايقربوهم إلى الله ويشفعوا لهم عنده ، وهذا التوسل الذي يقوله عباد القبور ولكنه يسمى في اللغة عبادة فجرى على هذا التسمية مشركو الجاهلية لأن اللغة فطرية لهم وأنكرها الآخرون لما تقدم بيانه في تعليق آخر . وكتبه محمد رشيد رضا

الى الله تعالى والتبرك بهم لكونهم أحياء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم
وقوله : فكيف يجوز الوهابية أن تجعل المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين
فأقول : ما جعلت الوهابية المؤمنين الموحدين مثل المشركين ، وإنما جعلت
من فعل فعل المشركين مشركا لكونه حذا حذو أولئك في صرف خالص حق
الله تعالى ، ويزعم أنه ما أراد الا الجاه والشفاعة منهم لانهم مقربون عند الله

(وقوله) اذ لا شك أن المشركين انما كفروا بسبب عبادتهم تماثيل الانبياء
والملائكة والاولياء التي صوروها على صورهم ، وسجدوا لها وذبحوا ، وسبب
اعتقادهم في الملائكة والانبياء والاولياء أنهم آلهة مع الله يضرون وينفعون بنواتهم
فأقول : وهؤلاء المشركون في هذه الازمان انما كفروا بسبب غلوهم في
الانبياء والاولياء والصالحين ، والعكوف على قبورهم ، واستغاثتهم بهم ،
والالتجاء اليهم ، ودعائهم ، والذبح لهم ، والنذر لهم ، إلى غير ذلك من أنواع
العبادة التي يفعلونها في هذه الازمان عند ضرائح الاولياء والصالحين ، فان
من صرف من هذه العبادة شيئا لغير الله كان مشركا ، وإن اعتقد أن من
يدعوه ويستغيث به ، ويرجوه ، ويدبح له ، ويلجأ اليه ، ويعلق آماله به ، لا يضر
ولا ينفع وأنه ليس إله ، ولا يستحق العبادة

وقوله : ولذلك احتج الله تعالى على ابطال قولهم وضرب الامثال للرّد على
معتقدهم في كثير من الآيات بأن الاله المستحق للعبادة يجب أن يكون قادرا
على كشف الضر واىصال النفع لمن عبده ، وبأن ما عبده من جملة
المحدثات المنافية للرؤية

(فأقول وهذا هو الحق) وامكنه مع كونه منافيا للرؤية فهو مناف للألوهية
فكيف اذا عرفت أن هذا مناف للرؤية لأي شيء صرفك عن كونه منافيا
لتوحيد الالهية لأن توحيد الرؤية هو الاقرار والاعتراف بأن الله هو الخالق
الرازق ، المحي المميت ، المدبر لجميع الامور ، وأنه النافع الضار ، وأنه رب كل
شيء ، ومليكه ، وأنه المتفرد بالايجاد والاعدام إلى غير ذلك من أفعال الرب .
وأما توحيد الالهية فهو أن يوحد العبد ربه بأفعاله الصادرة منه كالدعاء ، والخوف

والرجاء ، والحب والتعظيم ، والاستغاثة والاستعاذة والاستعانة ، والتوكل والذبح والنذر والرغبة ، والرغبة والخضوع ، والخشوع والاتبعا ، وغير ذلك من أنواع العبادة التي صرفها المشركون الاولون والآخرين لغير الله

(واما قوله) وأما المستغيث والمتوسل فهو براء من هذه العبادة وهذا الاعتقاد فأقول : المستغيث والمتوسل على لغة هؤلاء المشركين ليس هو بريئاً من هذه العبادة وهذا الاعتقاد لان الاستغاثة هي طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر ، والاستعانة طلب العون ، قاله شيخ الاسلام ابن تيمية ومن المعلوم بالضرورة أن الله تعالى هو الذي يزيل الشدات ، ويغيث اللهفات ويفرج الكربات ، فمن زعم أن الاستغاثة ليست من العبادات فهو مكابر للحسيات ، مباغت في الضروريات ^(١) وفي الدعاء المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في دعائه « اللهم أنت المستعان ، وبك المستغاث ، واليك المشتكى » الحديث . ودعاء المسلمين يا غياث المستغيثين ، وقد قال تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) فعدم ادخالها في جملة العبادة هو التحكم والمكابرة من غير دليل عقلي ، ولا نص شرعي .

وقوله : إذ الآيات التي استدلت بها الوهابية انما نزلت جميعاً في الكفار الذين عبدوا غير الله وإن قصدوا بعبادتهم ذلك الغير التقرب اليه تعالى ، وفي الذين اعتقدوا أن مع الله الها آخر ، وأن له ولداً وزوجة ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

(فأقول) قد تقدم الجواب عن هذا وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

(١) الاستعانة والاستغاثة قسمان الاول عادي وهو ما كان في دائرة الاسباب وهو طلب العون والمساعدة على رفع حمل أو وضعه مثلاً ومنه (وتعاونوا على البر والتقوى) وطلب الغوث الانقاذ من سبع أو عدو ومنه (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) والثاني ما كان فيما وراء الاسباب مما لا يقدر عليه إلا الله ولا يطلب من غيره كتسخير القلوب وشفاء الامراض بغير التداوي والنصر على الاعداء بغير المساعدة في الحرب والاتقاذ من النار والادخال في الجنة - فكل هذا خاص بالله تعالى كغيره من أنواع الدعاء وهو عبادة يشرك بالله من وجهها لغيره . وكتبه محمد رشيد

(وقوله) وليس في الآيات النازلة في الكفار دلالة على كون الاستغاثة بنبي أو ولي مع الإيمان بالله تعالى هي عبادة لغير الله فأقول : بل فيها الدلالة الواضحة على أن من صرف لغير الله شيئاً من العبادة التي لا يستحقها إلا الله فهو مشرك ، فإن صرفها لغير الله مناف للإيمان بالله تعالى^(١)

فصل

ثم قال العراقي : قالت الوهابية إن الاستغاثة من نوع الدعاء ، وقد ورد في الحديث أن الدعاء هو العبادة ، فالذي يستغيث بنبي أو ولي فهو إنما يعبد به بتلك الاستغاثة ، وحيث إن العبادة لا تصلح إلا لله وحده ، وإن عبادة غيره شرك كان المستغيث به مشركاً

ثم قال : فالجواب على هذا أن ضمير الفصل إنما يفيد قصر المسند على المسند إليه وكذا تعريف الخبر كما ذكره صاحب المفتاح وعليه الجمهور ، فقولنا الله هو الرزاق مثلاً معناه لا رازق سواه وعلى هذا فقوله عليه الصلاة والسلام « الدعاء هو العبادة » دال على أن العبادة مقصورة على الدعاء فيكون المراد من الحديث أن العبادة ليست غير الدعاء ويؤيده قوله تعالى (قل ما يعبدؤكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم) أي ما يصنع بكم لولا عبادتكم فإن شرف الإنسان بعبادته ، وكرامته بمعرفته وطاعته والأفلا فضل له على البهائم ، والحج والصلاة والزكاة والصيام والشهادة كلها دعاء ، وكذلك التلاوة والأذكار والطاعة فأنحصرت العبادة في الدعاء إذا تقرر هذا فلا حجة في الحديث إذ على تقدير كون الاستغاثة من نوع الدعاء كما قالته الوهابية لا يلزم أن تكون عبادة لما أن الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو ظاهر . إلى آخر كلامه

والجواب أن نقول الاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون كما تقدم ذكره عن شيخ الإسلام رحمه الله

(١) يعني للإيمان الصحيح المنجي في الآخرة لا لأصل الإيمان بوجود الله وربوبيته فإن الله يقول (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وكتبه محمد رشيد رضا

وقال غيره : الفرق بين الاستغانة والدعاء أن الاستغانة لا تكون إلا من المكروب والدعاء أعم من الاستغانة لأنه يكون من المكروب وغير المكروب فعطف الدعاء على الاستغانة من عطف العام على الخاص فينبهنا عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة فكل استغانة دعاء وليس كل دعاء استغانة فإذا تبين لك أن بينهما عمومًا وخصوصًا مطلقًا وإن كل استغانة دعاء وقد علمت أن الدعاء هو العبادة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أن الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسألة ويراد به في القرآن هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما فدعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضرر ولهذا أنكر الله على من يدعو أحداً من دونه ممن لا يملك ضرراً ولا نفعاً كقوله تعالى (قل أتعبدون من دون ملائكتكم لعلهم يضرنا ولا تنفعنا) وقوله تعالى (قل أنادعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله) الآيات وقال (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) قال شيخ الإسلام رحمه الله فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة قال الله تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية أنه لا يحب المعتدين) وقال تعالى (قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ؟ * بل آياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء الله وتلدسون ما تشركون) وقال تعالى (وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال تعالى (له دعوة الحق) الآية وأمثال هذا في القرآن في دعاء المسألة أكثر من أن يحصر ، وهو يتضمن دعاء العبادة لأن السائل اخلص سؤاله لله وذلك من أفضل العبادات ، وكذلك إذا ذكر الله والتألى لكتابه ونحوه طالب من الله في المعنى فيكون داعياً عابداً . فتبين بهذا من قول شيخ الإسلام أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة

وقد قال تعالى عن خليله (وأعزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربّي
عسى أن لا اكون بدعاء ربّي شقياء فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) الآية
فصار الدعاء من أنواع العبادة فان قوله (وادعوا ربّي عسى أن لا اكون بدعاء ربّي

شقياً) كقول زكريا (رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أصكن بدعائك رب شقياً) وقد أمر الله تعالى به في مواضع من كتابه كقوله (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) إلى قوله (وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين) وهذا هو دعاء المسألة المتضمن للعبادة فإن الداعي يرغب إلى المدعو ويخضع له ويتذلل ، وضابط هذا أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ففعله الله عبادة فإذا صرف من تلك العبادة شيئاً لغير الله فهو مشرك مصادماً لما بعث الله به رسوله من قوله (قل الله أعبد مخلصاً له ديني)

فاذا ثبت أن الاستغاثية من أنواع الدعاء، وأن كل استغاثية دعاء وليس كل دعاء استغاثية وتقرر أن الدعاء نوعان دعاء مسألة ودعاء عبادة وأن كل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة ، تبين لك أن الاستغاثية من أنواع العبادة ، وكيف لا تكون من أنواع العبادة وقد قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) وقوله صلى الله عليه وسلم في الدعاء المشهور « اللهم أنت المستعان وبك المستغاث واليك المشتكى » الحديث وقول المسلمين يا غياث المستغيثين فإن لم يكن هذا من العبادة فلا ندري ما العبادة ، ولأما دعاء المسألة المتضمن لدعاء العبادة ، وقد قال شيخ الاسلام رحمه الله : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ^(١) فاذا تمهد هذا واتضح فقول « ١ » هذا تعريف للعبادة الشرعية بأنواعها . وأما العبادة المطلقة فكل قول أو فعل يوجه مع الله العظيم إلى من يعتقد أن له سلطة غيبية وراء الأسباب المشتركة بين الخلق يقدر بها أن ينفع أو يضر بذاته وهو الرب أو بتأثيره وجاهه بحمل الرب على ما يريد منه كاعتقاد المشركين فيمن عبدوهم ودعواهم مع الله ليقر بهم منه ويشفعوا لهم عنده . فعبادة هؤلاء فاسدة تغضب الله تعالى . والدعاء قسمان كما قلنا في الاستعانة والاستغاثية دعاء عادة وهو الطلب المطلق والدعاء كن يدعو آخر لعمل عادي أو طعام ومنه قوله تعالى (ولا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إذا مَدَّعُوا) وقوله (إن أبي دعوك لي جزيك) الخ . وحديث مسلم « من دعي إلى عرس فليجب » - ودعاء عبادة وهو ما يطلب ممن يعتقد أن له سلطة وراء الأسباب كما تقدم أن يعطيه أمراً من غير طريق الأسباب أو يسهل له ما لا يقدر عليه منها بذاته أو بتأثيره عند الرب تعالى . وأما حديث « الدعاء هو العبادة » فهو كحديث « الحج عرفة » فالقصر فيه اضافي لاحق يقي . وكتبه محمد رشيد

هذا الملحد ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند عليه وكذا تعريف الخبر كما ذكره صاحب المفتاح وعليه الجمهور فقولنا : الله هو الرزاق مثلاً معناه لا رازق الخ سواه ، فيقال لهذا الملحد نعم اذا كان الحصر أو القصر حقيقة فانه من المعلوم انه اذا قلنا الله هو الرزاق فمعناه حقيقة لا رازق سواه ، وعلى هذا فقوله عليه السلام « الدعاء هو العبادة » دال على أن العبادة مقصورة على الدعاء فيكون المراد من الحديث أن العبادة ليست غير الدعاء الخ

(فنقول) ليس الأمر كما توهمت وانما الحصر والقصر في هذا الحديث الدعائي كما يستفاد من ضمير الفصل المقحم بين المبتدأ والخبر والحصر وان كان ادعائياً فهو يدل على أن الدعاء هو معظم العبادة ونحوها وخالصها وأجلها وأشرفها ومثل هذا الحديث الحديث الذي رواه أبو داود في سننه والامام أحمد في المسند من حديث ابن بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين » - وفي رواية المسلمين - فاذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء عراض الوجوه صفار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر فيفترق أهلها ثلاث فرق فرقة يأخذون أذنان البقر والبرية وهلكوا ، وفرقة يأخذون لأنفهم وكفروا ، وفرقة يجعلون ذرارهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم وأولئك هم الشهداء « فاجبر في هذا الحديث أن أولئك هم الشهداء وآتهم مخصوصون بالشهادة دون سائر الشهداء كما يستفاد من الجملة الاسمية المعرفة الطرفين ومن ضمير الفصل المقحم بين المبتدأ والخبر ، والحصر وإن كان ادعائياً فهو يدل على شرف الصنف وفضيلته انتهى وكذلك قوله تعالى في المنافقين (هم العدو فاحذرهم) فهذا يدل على شدة عداوتهم من بين سائر الكفار لاعلى أنه لاعدو سواهم وكذلك قوله (أولئك هم الكاذبون - أولئك هم الظالمون) وهذا بين بحمد الله لاخفاء به ، مع أنه ورد في حديث آخر « الدعاء مع العبادة » من حديث أنس ، مع أن الحصر أو القصر في قوله صلى الله عليه وسلم « الدعاء هو العبادة » كما قال بعض شراح الحديث أن حصر أحد الجزئين في الآخر يفيدان الدعاء لهما وخالصها وركنها الاعظم وبحديث

أنس « الدعاء مخ العبادة » يظهر معنى القصر في حديث النعمان المتقدم وندفع الاشكال عما ذكره العراقي

﴿ وأما قوله ﴾ إذا تقرر هذا فلا حجة في الحديث إذ على تقدير كون الاستغاثه من نوع الدعاء كما قاله الوهاية لا يلزم أن تكون عبادة لما أن الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو الظاهر

﴿ فالجواب ﴾ أنا قد بينا فيما تقدم ما يبطل دعواه الكاذبة الحاطنة وبيننا أن العبادة ليست منحصرة في الدعاء بل الدعاء من أنواع العبادة والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والافعال الظاهرة والباطنة فالدعاء هو مخ العبادة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستغاثه من اخص انواع العبادة واشرفها إذ هي دعاء مسألة متضمنة لدعاء العبادة فاذا تبين لك ما ذكرناه فالدعاء الذي جاء في قوله (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) وفي قوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) وما اشبه ذلك مما هو بمعنى النداء المجرد عن معنى العبادة إذ الدعاء كونه في الأصل بمعنى النداء والطلب مما لامرية فيه كما قال الراغب الدعاء والنداء واحد لكن قد يتجرد النداء عن الاسم والدعاء لا يكاد يتجرد فلا يدخل في دعاء العبادة المستلزم لدعاء المسألة كما أنه يدخل في دعاء المسألة المتضمنة للعبادة وهذا لا يروج الاعلى طعام العراق الذين هم كالانباط او البربر او الزنج الذين لا معرفة لهم بلغات العرب فالوهاية لا يقولون أن كل مطلق دعاء يكون عبادة فادخل هذا في معنى العبادة ترويج وتلبيس وسفسطه وهذه البضاعة لا تروج علينا ولا تنفق لدينا

﴿ وأما قوله ﴾ ولا يقال للطلب من غيره تعالى دعاء فهذا ممنوع فإن من طلب من غير الله جلب منفعة او دفع مضرة يكون داعياً طالبا لاسئالا منه وقد ذكر الرازي تحت قوله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين) ما يقتضي ان المراد بالدعاء في هذه الآية طلب المنفعة والمضرة ونصه هكذا يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين الى آخر كلامه وقال الشيخ صنع الله الحلبي وامام الاستغاثه بالقوة

والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله ألا يطلب فيها غيره انتهى فالطلب سؤال والسؤال في معنى الدعاء^(١)

فصل

قال العراقي التوسل وادلة جوازه قبل الخوض في المطلب نبين لك أن المراد من الاستغاثة بالانبياء والصالحين والتوسل بهم هو أنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وأن الله تعالى هو المائل كرامة لهم لأنهم هم الفاعلون ، كما هو المعتقد الحق في سائر الأفعال فإن السكين لا يقطع بنفسه بل القاطع هو الله تعالى والسكين سبب عادي خلق الله تعالى القطع عنده

فالجواب : أن نقول وقبل الكلام على ما يبطل دعواه لا بد من مقدمة ينبني عليها الجواب ، فنقول قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، لفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشترط غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد به التسبب به لكونه داعياً وشافعاً مثلاً أو لكون الداعي محباً له مطيعاً لأمره مقتدياً به فيكون التسبب أما بحجة السائل له واتباعه له وأما بدعاء الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا بشيء منه ولا بشيء من السائل بل بذاته أو بمجرد الاقسام به على الله فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه وكذلك لفظ السؤال بالشيء قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب به لكونه سبباً في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام وإذا تبين لك هذا فاعلم أن معنى التوسل في لغة الصحابة رضي الله عنهم وعرفهم أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسل والتوجه به في الحقيقة بدعائه وشفاعته ، وهذا لا محذور فيه ، بل هذا هو المشروع كما في حديث الثلاثة الذين أروا إلى الغار وهو

(١) التحقيق ما تقدم وهو التفرقة بين العادة والعبادة فان غريق إذا طلب النوث والانتقام من أناس بقربه لانه استغاثهم بعبادة لهم وإذا طلب نجاة من غائب أو ميت لاعتقاده بقدرته على انتقاده بذاته أو بآثاره في إرادة الله تعالى فهذا الاستغاثة عبادة حتماً

حديث مشهور في الصحيحين فانهم توسلوا إلى الله بصالح الاعمال لان الاعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله تعالى ويتوجه به اليه ويسأله به لانه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) وهؤلاء دعوه بعبادته، وفعل ما أمر به من العمل الصالح وسؤاله والتضرع اليه، فمن جعل دعاء الاولياء والصالحين سببا لنيل المقصود كأن يطلب من الولي أو الصالح أن يدعو الله له لكونه مطيعاً لله محباً له، فيشفع له عند الله بدعاء الله له فهذا حق، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون إلى الله سبحانه برسوله فيدعوا الله لهم، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتستقينا، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاستقنا فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وهو أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعوا لهم ويدعوا معه كالامام والمأمومين من غير أن يكونوا يتقسمون على الله بمخلوق، كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق فاذا تحققت ذلك فاعلم أن التوسل في عرف أهل هذا الزمان واصطلاحهم هو دعاء الانبياء والاولياء والصالحين وصرف خالص حق الله تعالى لهم بجميع أنواع العبادات من الدعاء والخوف والرجاء والذبح والنذر والاتجاه اليهم والاستغاثة بهم والاستعانة والاستشفاع بهم وطلب الحوائج من الولايج في المهمات والملمات لكشف الكربات واغاثة اللهفات، ومعافاة أولي العاهات والبلديات، إلى غير ذلك من الامور التي صرفها المشركون لغير ناظر الارض والسموات، فمن جبرف من هذه الانواع شيئا لغير الله كان مشركا وسيأتي الكلام على مسألة الاستغاثة (وأما قوله) إنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وإن الله تعالى هو

الفاعل إلى آخره

فأقول: وهذا هو قول الجاهلية الكفار فانهم ما عبدوا الانبياء، والاولياء والصالحين الا لكونهم أسبابا ووسائل لنيل المقصود والافهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار وأنه المتفرد بالايجاد والاعدام، وأن الله هو الخالق للاشياء، وأن الله هو رب كل شيء ومليكه، ولا يعتقدون أن آلهتهم التي يدعونها من

دون الله من الانبياء ، والاولياء ، والصالحين ، والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض ، أو استقلوا بشي ، من التدبير والتأثير والايجاد ، فمن أثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين عباد الاوثان . وقال شيخ الاسلام : الخامس أن يقال نحن لا ننزع في اثبات ما أثبتته الله من الاسباب والحكم ، لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالخلق ، ودعاءه سبباً في الامور التي لا يقدر عليها إلا الله ، ومن الذي قال انك اذا استغثت بميت أو غائب من البشر كان أو غيره كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ، ومن الذي شرع ذلك وامر به ، ومن الذي فعل ذلك من الانبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان . فان هذا المقام يحتاج إلى مقدمتين : أحدهما أن هذه الاسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه ، فان المسافر قد يكون سفره سبباً لأخذ ساله وكلاهما محرم ، والدخول في دين النصارى قد يكون سبباً للمال يعطونه وهو محرم ، وشهادة الزور قد تكون سبباً لنيل المال يؤخذ من المشهود له وهو حرام ، وكثير من الفواحش والظلم قد يكون سبباً لنيل مطلب وهو محرم ، والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب وهو محرم ، وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين ، بل وعبادة البشر قد يكون سبباً لبعض المطالب وهو محرم ، فان الله تعالى حرم من الاسباب ما كان مفسدته راجحة على مصلحته كالخمر ، وإن كان يحصل به بعض الاغراض أحياناً ، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين . خلقاً وأمرأ فانهم مطالبون بالأدلة الشرعية انتهى

(وأما قوله) وإن الله تعالى هو الفاعل كرامة لهم لأنهم هم الفاعلون

فالجواب أن نقول : أولاً ليس دعاء الانبياء والاولياء والصالحين والاستغاثة بهم في نيل المقصود سبباً شرعياً ، فان هذه من الاسباب المحرمة كما تقدم في كلام الشيخ

وثانياً لو سلمنا أن الكرامات سبب فمن أين يؤخذ انها سبب يقتضي دعاء من قامت به أو فعلت له ، ومن أي وجه دلت الكرامة على هذا ، وأفضل الناس

الرسول والملائكة من أفضل خلق الله ، ولهم من المعجزات والكرامات والمقامات ما ليس لغيرهم ، فقد جاء عيسى بن مريم بما هو من أفضل المعجزات والكرامات يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيراً باذن الله ويبرئ الامة والابصر ويحيي الموتى باذن الله وينبئهم من الغيب ما ياكلون وما يدخرون وقد أنكر الله تعالى على من قصده ودعاه في حاجاته وملته وأخبر أن فاعل ذلك كافر به ، ضال بعبادة غيره ، قال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) والارباب هم المعبودون المدعون . وقال تعالى فيمن عبدوا المسيح (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) فاخبر تعالى عن المسيح أنه لا يملك لمن دعاه نفعاً ولا ضرراً ، وان قل كما يفيد التنكير ، وابطل عبادته وأنكرها أشد الانكار ومعجزاته أوضح من الشمس في وسط النهار

(وأما قوله) فإن السكين لا يقطع بنفسه ، بل القاطع هو الله تعالى والسكين سبب عادي خلق الله تعالى القطع عنده

فالجواب أن يقال : هذا القول من أقوال أهل البدع والاهواء وليس هو من كلام أهل السنة والجماعة . قل شيخ الاسلام : وهؤلاء هم الاقرانية الذين يقولون إن الله يخلق عند السبب لا بالسبب ومن نحاً نحوهم من المتصوفة القائلين باسقاط الاسباب الظاهرة ، وذلك لأن عندهم ليس في الوجود شيء يكون سبباً لشيء أصلاً ، ولا شيء جعل لشيء ، ولا يكون شيء لشيء فالشعب عندهم لا يكون بالاكل ولا العلم الحاصل في القلب بالدليل ، ولا ما يحصل له توكل من الرزق والنصر له سبب أصلاً لا في نفسه ولا في نفس الامر ولا الطاعات عندهم سبب للثواب ولا المعاصي سبب للعقاب ، فليس للنجاة وسيلة ، بل محض الإرادة الواحدة يصدر عنها كل حادث ، ويصدر مع الآخر مقترناً به اقتراناً عادياً لأن أحدهما متعلق بالآخر أو سبب له ، أو حكمة له ، ولكن لأجل ما جرت به العادة من اقتران أحدهما بالآخر يجعل أحدهما اشارة وعلماً ، ودليلاً على الآخر بمعنى اذا وجد أحد المقترنين عادة كان الآخر موجوداً معه ، وليس العلم الحاصل في القلب

حاصلاً بهذا الدليل ، بل هذا أيضاً من جملة الاقترانات العادية .
 وقال أيضاً بعد كلام سبق : وكذلك أيضاً لزم من لا يثبت في المخلوقات
 أسباباً وقوى وطبائع ، ويقولون إن الله يفعل عندها لا بها ، فيلزم أن لا يكون فرق
 بين القادر والعاجز ، وإن أثبت قدرة وقال انها مقترنة بالكسب ، قيل له تثبت
 فرقاً معقولاً بين ما تثبته من الكسب وتنفيه من الفعل ، ولا بين القادر والعاجز
 إذ كان مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة ، فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه
 وارادته وغير ذلك من صفاته . فان لم يكن للقدرة تأثير إلا مجرد الاقتران فلا
 فرق بين القدرة وغيرها ، وكذلك قول من قال : القدرة مؤثرة في صفة الفعل
 لا في أصله كما يقوله القاضي أبو بكر ومن وافقه ، فانه أثبت تأثيراً بدون خلق
 الرب فلزم أن يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله تعالى ، وإن جعل ذلك معلقاً
 بخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة ، وأما أئمة السنة وجمهورهم فيقولون
 ما دل عليه الشرع والعقل ، قال تعالى (فسقناه إلى بلد ميث فأنزلنا به الماء فأخرجنا
 به من كل الثمرات) وقال (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد
 موتها) وقال تعالى (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وقال تعالى
 (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً) ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة يخبر
 الله تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب انتهى المقصود منه .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : وقالت طائفة أخرى أكيس من هؤلاء ، بل
 الدعاء علامة مجردة نصبتها الله تعالى سبحانه اشارة على قضاء الحاجة فتى وقف
 العبد للدعاء كان ذلك علامة له وامارة على أن حاجته قد قضيت ، وهكذا كما اذا
 رأيت غيماً أسود بارقاً في زمن الشتاء ، فان ذلك دليل وعلامة على أنه يمطر قالوا
 وهكذا حكم الطاعات مع الثواب والكفر والمعاصي مع العقاب هي أمارات محضة
 لوقوع الثواب لأنهم أسباب له ، وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار ، والحرق
 مع الاحراق والازهاق مع القتل ليس شيء من ذلك سبباً البتة ، ولا ارتباط بينه
 وبين ما يترتب عليه إلا بمجرد الاقتران العادي لا التأثير السببي ، وخالفوا بذلك
 الحس والعقل والشرع والفطرة وسأروا طوائف العقلاء ، بل أضحكوا عليهم

العقلاء . والصواب أن هنا قسماً ثالثاً غير مذكور السائل وهو أن هذا المقدور قدر بأسباب ومن أسبابه الدعاء ، فلم يقدر مجرداً عن سببه ، ولكن قدر بسببه فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى ما لم يأت بالسبب انتفى المقدور وهذا كما قدر الشبع والري بالاكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه إلى أن قال : وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والاخرة ، وحصول الشر في الدنيا والاخرة في كتابه على الاعمال ترتيب الجزاء على الشرط ، والمعلول على العلة ، والمسبب على السبب ، وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى . والمقصود بيان ضلال هذا الملاحد في قوله : والسكين سبب عادي خلق الله القطع عنده فاجتمع في هذا الملاحد أنواع من الشر والضلال فأضاف الى كونه مشرك في عبادة الله غيره مذهب الجهمية النافين لعلو الله على خلقه ، ونفي صفات كماله ، ونعوت جلالة ، ومذهب المعتزلة والرافضة مع مذهب الجهمية في جحد رؤية الله تعالى في الاخرة . ومذهب الاقترانية في اسقاط الاسباب القائلين أن الله يخلق عند السبب لا بالسبب ، ومراد هذا الملاحد أن دعاء الانبياء والاولياء والصالحين سبب عادي لنيل المقصود ، وقد تقدم من الادلة ما يبين أن تعاطي هذا السبب محرم ، وأن دعاء الاموات والغائبين من الاولياء والصالحين والاستغانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك وأنه ايسر بسبب شرعي

فصل

وأما قوله قال السبكي والقسطلاني في المواهب اللدنية والسمهودي في تاريخ المدينة وابن حجر في الجوهر المنظم أن الاستغانة به عليه الصلاة والسلام وبغيره من الانبياء والصالحين إنما هي بمعنى التوسل بجاههم والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يجعل له الغوث ممن هو أعلى منه فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واسطة بين المستغيث وبين المستغاث به الحقيقي فالغوث منه تعالى إنما يكون خلقاً وإيجاداً والغوث من النبي تسبباً وكسباً

(فالجواب) أن يقال وهكذا كان المشركون السابقون الذين بعث الله الرسول اليهم فأنهم كانوا يعلمون أن الله تعالى هو الخالق الموجد وأما الأصنام فيقولون أنها أسباب ووسائل عادية فمن أجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويعبدونهم وهذا هو دأب عبدة الصالحين والقبور في هذا الزمان يدعونهم ويستغيثون بهم وينحرون لهم وينذرون لهم والدعاء والاستغائة والنحر والنذر كلها من أقسام العبادة وإذا جعلنا لفظ الدعاء والاستغائة والنذر التي هي من أقسام العبادة على معناها المجازي فكذلك فليحمل لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين الأولين الذي حكاه الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه وتعالى (ما عبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى) فما وجه الفرق قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على ابن البكري في مسألة الاستغائة وأنه حرف الكلام عن مواضعه وتمسك بمتشابهه وترك الحكم كما يفعله النصاري وكما فعل هذا الضال يعني ابن البكري أخذ لفظ الاستغائة وهي تنقسم إلى الاستغائة بالحي والميت والاستغائة بالحي تكون فيما يقدر عليه فجعل حكم ذلك كله واحداً ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغائة ولم يكفه ذلك حتى جعل الطالب منه إنما طلب من الله لأمته فالمستغيث به مستغيث بالله ثم جعل الاستغائة بكل ميت من نبي وصالح جائزة فدخل عليه الخطأ من وجوه منها أنه جعل المتوسل به بعد موته في دعاء الله مستغاثاً به وهذا لا يعرف في لغة أحد من الأمم للاحقيقة ولا مجازاً مع دعواه الاجماع على ذلك فإن المستغاث هو المسؤل المطلوب منه لا المسؤل به ، الثاني ظنه أن توسل الصعابة في حياته فإن توسلاً بذاته صلى الله عليه وسلم لا بدعائه وشفاعته فيكون التوسل به بعد موته كذلك وهذا غلط ، الثالث أنه أدرج السؤال أيضاً في الاستغائة به وهذا صحيح جائز في حياته وهو قد سوى في ذلك بين محياه ومماته وهذا أصاب في لفظ الاستغائة لكن أخطأ في التسوية بين الحيا والمات وهذا ماعلمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في بعض كلام الناس مثل الشيخ محيي الصرصري فني شجرة قطعة منه والشيخ محمد ابن النعمان له كتاب المستغيثين بالنبي صلى الله

عليه وسلم في البقظة والنام وهؤلاء ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام وعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعي ولا نقل عن عالم مرضي بل عادة جروا عليها وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم فضل وعلم وزهد اذا نزل به أمر خطا الى الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به وهذا يفعله كثير من الناس ولهذا لما نبه من نبه من فضلائهم تنبهوا وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الاسلام بل مشابهة لعباد الاصنام انتهى

وقال في الرسالة السنية فاذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام لأسباب منها الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول ياسيدي فلان انصريني أو أعثني أو ارزقني أو أنا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوه وحده لا شريك له ولا يدعى معه إله والذين يدعون مع الله الهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم يقولون إنما نعبدكم ليقربونا الى الله زانين ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله سبحانه رسله تنهى عن أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ، ولا دعاء استغاثة انتهى

وقال أيضا من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعا نقله عنه صاحب الفروع ، وصاحب الانصاف ، وصاحب الاقناع وغيرهم والمقصود أن شيخ الاسلام رحمه الله جعل الاستغاثة بغير الله من الشرك الاكبر المخرج من الملة .

وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي رحمه الله في رده على السبكي في قوله إن

المبالغة في تعظيمه - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - واجبة أن أريد به المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيماً حتى الحج إلى قبره ، والسجود له ، والطواف به ، واعتقاد أنه يعلم الغيب ، وأنه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وأنه يقضي حوائج السائلين ، ويفرج كربات المكروبين ، وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء ، فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين اهـ

(وأما قوله) فالغوث منه تعالى إنما يكون خلقاً وإيجاداً والغوث من النبي صلى الله عليه وسلم إنما يكون تسبباً وكسباً

فأقول : هكذا كانت مشركوا الجاهلية حذو النعل بالنعل كانوا يدعون الصالحين ، والأنبياء ، والمرسلين طالين منهم الشفاعة عند رب العالمين كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى (مانعهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى) على أن القول بأن اسناد الغوث إلى الله تعالى اسناد حقيقي باعتبار الخلق والإيجاد وإلى الأنبياء والصالحين اسناد مجازي باعتبار التسبب والكسب بديهي البطلان ، بيانه من وجوه (الاول) أنه لو كان مناط الاسناد الحقيقي اعتبار الخلق ، والإيجاد كما توهمه صاحب الرسالة لزم أن يكون اسناد أفعال العباد كلها إلى الله تعالى حقيقياً ، فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق لأفعال العباد هو الله تعالى ، وهذا يقتضي أن يتصف الله تعالى حقيقة بالإيمان ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، وصلة الرحم ، وغير ذلك من الأعمال الحسنة ، وكذلك يتصف حقيقة بالأعمال السيئة من الكفر ، والشرك ، والفسق ، والفجور ، والزنا ، والكذب والسرقة ، والعقوق ، وقتل النفس ، وأكل الربا وغيرها ! فانه تعالى هو الخالق لجميع الأفعال حسننها وسيئها ، والتزام هذا فعل من لا عقل له ولا دين ، فانه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث ، واجتماع الأوصاف المتضادة ، بل المتناقضة .

وقد قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه

في كتاب الاستغاثة في الرد على ابن البكري لما استدل بقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) على ما لفته من أضاليله وما موه به من أباطيله وأساجيله قال في أثناء جوابه على ما شبه به ابن البكري وعما يبين ذلك « إن أفعال العباد لا يجوز أن تنفي عنهم باتفاق المسلمين من قال ان الله خالقها ومن قال انه لم يخلقها لا يجوز أن يقال هذا ما أكل ولا شرب ولا قعد ولا ركب ولا طاف ولا ركب ولا سجد ولا صام ولا سعى ولكن الله هو الذي أكل وشرب، وقعد، وركب، وطاف، وركب، وسجد، وصام، وسعى. وسواء كانت أفعالا محمودة أو مذمومة، وسواء كانت سبباً لخرق العادة أم لا، فلا يقال إن موسى ما ضرب بعصاه البحر ولا ألحجر ولكن الله ضرب، ولا يقال إن نوحا ما ركب في السفينة ولكن الله ركب، ولا يقال إن المسيح ما ارتفع بل الله ارتفع ولا يقال إن محمداً صلى الله عليه وسلم ما ركب البراق بل الله ركب وأمثال هذا. والفعل المختص بالخلق لا يضاف إلى الله الا على بيان أن الله خلقه وجعل صاحبه فاعلا كقول الخليل عليه السلام (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذرتي) وكما قال (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وقال تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) ولا يقال إن الله يقيم الصلاة ويدعو إلى النار، ولا أنه قد أسلم، وقال تعالى (إن الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا، واذا مسه الخير منوعا) ولا يوصف الله بالهلوع والجزع، وجماع الامر أن الله لا يوصف بمخلوقاته، وهذه هي أدلة السلف وأهل السنة على أن كلام الله ليس بمخلوقا قالوا: لأنه سبحانه لا يوصف بما خلقه في غيره، فاذا خلق في غيره حركة، أو طعما، أو ريحا، أو لوناً كالسواد والبياض لم يوصف بأنه هو المتحرك بها، ولا بأنه متروح أو أبيض، أو أسود. واذا خلق في غيره سمعا، أو بصرأ، أو حياة، أو قدرة لم يوصف بذلك. واذا خلق في غيره كلاما لم يوصف بأنه هو المتكلم به، يعبرون عن ذلك بأن الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل ولم يعد على غيره واشتق لذلك المحل منه اسم ولم يشتق لغيره، فاذا خلق في محل حركة، أو علماً أو قدرة كان ذلك المحل هو المتحرك العالم القادر لا الخالق لتلك الصفة فيه انتهى

(والثاني) أنه لو كان مناط الاسناد المجازي اعتبار التسبب والكسب كما زعم هذا الزاعم لزمه أن لا يكون الانسان حقيقة مؤمناً ، ولا كافراً ولا برأ ، ولا فاجراً ، ولا كاذباً فيبطل الجزاء والحساب ، وتلغو الشرائع والجنة والنار ، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين (والثالث) أن دعوى كون الانبياء والصالحين سبباً للغوث وكسباً له ، محتاج إلى اقامة الدليل ، ودونه لا تسمع ، وبالجملة فهذه شبهة داحضة ، ووسوسة زاهقة ، تنادي بأعلى نداء على صاحبها بالجهل والسفه وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وقد علم بصريح المعقول أن الله تعالى اذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك المحل ، فاذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها ، واذا خلق لوناً أو ريحاً في جسم كان هو المتلون المتروح بذلك ، واذا خلق علماً ، أو قدرة ، أو حياة في محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحي ، فكذلك اذا خلق ارادة وحياً وبغضاً في محل كان هو المرید المحب المبغض ، فاذا خلق فعل العبد كان العبد هو الفاعل ، فاذا خلق له كذباً وظلماً وكفراً ، كان هو الكاذب ، الظالم ، الكافر ، وإن خلق له صلاة ، وصوماً وحجاً ، كان العبد هو المصلي ، الصائم ، الحاج ، والله تعالى لا يوصف بشيء من مخلوقه ، بل صفاته قائمة بذاته وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم إلى آخر كلامه رحمه الله

فعلى زعم هذا الملحد أن الله تعالى هو الكاذب ، الظالم ، الكافر حقيقة لأن الله هو الخالق لذلك والموجد له حقيقة واسناده إلى العبد مجاز سبحانه هذا بهتان عظيم . وقال صنع الله الحلبي رحمه الله : والاستغانة تجوز في الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية في قتال ، أو ادراك عدو ، أو سماع ونحوه كقولهم : يا يزيد يا المسلمين بحسب الافعال الظاهرة . وأما الاستعانة بالقوة والتأثير ، أو في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض ، وخوف الفرق ، والضيق ، والفقر ، وطلب الرزق ونحوه ، فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره - إلى أن قال : وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاش لله أن تكون أولياء الله بهذه المثابة فهذا ظن أهل الاوثان ، كذا أخبر الرحمن (هم شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم - إلا ليقربونا الى

الله زلني - أأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون) فان ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله اذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير الاخير اهـ

فصل

(قال العراقي) وقد جوز أجلة العلماء الاستغاثه والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يعارض جوازها بخبر أبي بكر رضي الله عنه ، قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله لأن من رواه ابن لهيعة والكلام فيه مشهور ولو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله عليه الصلاة والسلام « ما أنا حلتكم ولكن الله حلتكم فيكون معنى الحديث السابق إني وأن يستغاث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثه على من يحصل منه غوث ولو تسبوا وكسبا أمر نطقت به اللغة وجوزه الشرع فتعين تأويل الحديث المذكور ويؤيد ما بيناه في تأويله حديث البخاري في الشفاعة يوم القيامة « فبينما هم كذلك استغاثوا بأدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم »

والجواب : أن نقول قد تقدم في كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ما يبين كذبه على أجلة العلماء وأنه لم يجزه الا اناس ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الاحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام ، ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعي ولا نقل عن عالم مرضي بل عادة جروا عليها وقال أيضاً ، في أثناء كلام له « ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأئمة أن يدعوا أحداً من الاموات لا الأنبياء ولا الصالحين ، ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثه ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأئمة السجود لميت ولا الى ميت ونحو ذلك ، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور ، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم

بذلك حتى يبين لهم ماجاء به الرسول ، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الاسلام الاتفطن لها ، وقال هذا أصل دين الاسلام ، انتهى (وأما قوله) ولا يعارض جوازها بخبر أبي بكر رضي الله عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخره

(فالجواب) أن يقال الكلام على هذا من وجوه (أحدها) أن ابن هليعة خرج له البخاري ومسلم فجاوز القنطرة ولا يقدح فيما رواه ابن هليعة الا جاهل بالصناعة والاصطلاح ، وهو قاضي مصر وعالمها ومسندها ، روى عن عطاء بن أبي رباح والاعرج وعكرمة وخلف ، وعنه شعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث وعمرو ابن الحارث والليث بن سعد وابن وهب ، وخلق . ومن طعن في ابن هليعة بقول بعض الناس لزمه الطعن في كثير من الاكابر المحدثين كسعيد المقبري وسعيد ابن أبياس الجريري وسعيد بن عروبة واسماعيل بن أبيان وأزهر بن سعد السمان البصري واحمد بن صالح المصري وأبي ثيمان ، وأمثالهم ممن خرج لهم البخاري وغيره من الائمة ، وعلى كل حال ، فهو خير من هؤلاء الذين أجازوا الاستغانة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعلم بكتاب الله وسنة رسوله منهم ، وبأقوال أهل العلم (الثاني) أنهم معارضون بأجل منهم وأفضل وأعلم بمحدود ما أنزل الله على رسوله كما سند كره عنهم إن شاء الله تعالى

(الثالث) أن ابن هليعة كان اماما محدثا من أفاضل العلماء ولم ينقمه أحد بانغلو في الانبياء ولا الصالحين ، ولا بشيء من العقائد المبتدعة المحدثثة في الاسلام ولكنه كان يدلس عن الضعفاء ، ثم احترقت كتبه ، وليس هذا الحديث من الاحاديث التي دلس فيها ، فمن هنا قال فيه من قال ، قال عمرو بن علي : من كتب عنه قبل احتراق كتبه مثل ابن المبارك وابن المقرئ أصبح ممن كتب عنه بعد احتراقها وقال ابن وهب كان ابن هليعة صادقا ، وقال ابن وهب أيضاً ، حدثني الصادق البار - والله - عبد الله بن هليعة ، وقال أبو داود سمعت أحمد يقول : ما كان يحدث مصر إلا ابن هليعة ، وقال أحمد بن صالح الحافظ : كان ابن هليعة صحيح الكتاب طالباً للعلم (الوجه الرابع) أنه قد ثبت أن الاستغانة من أقسام العبادة فصرها

تغير الله شرك ، فان لم يكن حديث أبي بكر شاهداً لهذا لم يكن مخافا له
 (الوجه الخامس) أن النبي صلى الله عليه وسلم نفى الاستغانة عن نفسه حماية
 للتوحيد وصيانة لجانبه وأدبا مع ربه لا لأن الاغانة لا تنسب الى المغيث بالسبب
 العادي حقيقة وأنها تنسب مجازاً كما توهمه الغبي الاكبر ، ولم يرد تعليم أمته أن
 الاستغانة إنما تنسب للمخلوق مجازاً فان ما جاء به الكتاب والسنة دال على اضافة
 الفعل المكتسبه ومن قلم به ولذلك رتب الثواب والعقاب والجزاء والحساب ولم يقل
 قول هذا العراقي الا القدرية المجبرة ، ومن نمانحوم من الجهمية ورد عليهم أهل
 السنة بما يطول ذكره نقلا وعقلا ، وقالوا لو كان مجازاً لصح نفى أفعال المكلفين
 عنهم وكانوا بمنزلة الجمادات التي يحررها الغير ويفعل بها من غير قصد لها ولا اختيار
 ويكون التعذيب والعقاب يرجع إلى مجرد المشيئة والارادة من غير فعل للعبد
 يستحق به الثواب والعقاب

ويقال أيضاً الأفعال العادية القائمة بفاعلها تنسب اليه ، وتضاف اليه حقيقة
 من اضافة الفعل إلى فاعله ، فيقال اكل وشرب وقام وقعد وحكى ودعا واستغاث
 حقيقة لا مجازاً بإجماع العقلاء ولم يخالف في اضافة الافعال الى فاعلها حقيقة الا من
 هو من أجهل الناس وأضلهم عن سواء السبيل

(وأما قوله) ولو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى (وما
 رميت اذ رميت ولكن الله رمى)

(فأقول) ليس هذا من هذا الباب وهذا من نوادر جهل هؤلاء الضلال فان
 لفظ الاستغانة طلب الغوث ممن هو بيده لمن أصابته شدة ووقع في كرب ، والا
 الانجح والاولى لمن أصابه ذلك أن يستغيث بمن يجيب المضطر اذا دعاه الموصوف
 بانه غياث المستغيثين ، مجيب المضطرين ، أرحم الراحمين ، فلفظ الاستغانة يستعمل
 في مخ العباد ، وما لا يقدر عليه الا الله عالم الغيب والشهادة فكره صلى الله عليه
 وسلم اطلاقه عليه فيما يستطيعه ، ويقدر عليه حماية لجانب التوحيد ، وسداً للريعة
 الشرك وان كان يجوز اطلاقه فيما يقدر عليه المخلوق فحماية جناب التوحيد من
 مقاصد الرسول ومن قواعد هذه الشريعة المطهرة ، فاین هذا من قوله (وما رميت

اذ رميت ولكن الله رمى) فان الرمي المتفق عن الرسول إيصال التراب إلى أعينهم كلهم ، لان هذا لا يقدر عليه إلى الله ، وأما نفس الرمي المثبت من رمية صلى الله عليه وسلم فقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب والحصى ورمى به قبلهم حقيقة لا مجازاً . وهذا من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون لأحد بعده ، ولو كان هذا لأحد بعده لم يكن فيه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لم يبق أحد منهم الا وقع في عينيه من ذلك التراب شيء . وهم نحو أربعة آلاف رجل فهزمهم الله بسبب هذه الرمية حقيقة لا عندها ولا معها بل بها .

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم » على حقيقته فان الله هو الذي حملهم بان يسر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك حمولة فخماهم بأمر الله لانه صلى الله عليه وسلم عبد مأمور منهي لا يفعل شيئاً إلا بأمر الله له ، فنسبة الحمل إلى الله حقيقة قضاء وقدر آو إلى من حملهم بأذن الله السببي الشرعي حقيقة لا مجازاً ، وحمله إياهم أمر مقدور عليه غير ممتنع فكان من المعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متصرفاً بأمر الله منفذاً له فانه سبحانه أمره بحملهم فنفذوا وأمره فكان الله هو الذي حملهم وهذا معنى قوله « اني لا اعطى احدا شيئاً ولا امنعه » ولهذا قال « وأما انا قاسم » فانه سبحانه هو المعطي على لسانه وهو يقسم ما قسمه بأمره

(قوله) فيكون معنى الحديث السابق اني وأن يستغاث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى

(أقول) هذا التأويل مخالف للفظ الحديث ولمعناه وقد تقدم الكلام عليه فلا معنى لصرفه عما يقتضيه الى ما لا يدل عليه لغة ولا شرعاً
(وقوله) وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاث على من يحصل منه غوث ولو تسيباً وكسباً ، أمر نطقت به اللغة وجوزوه الشرع

(فأقول) هذا كذب على اللغة وعلى الشرع ، أما اللغة فان الافعال العادية القائمة بفاعلها تنسب اليه وتضاف إليه حقيقة من اضافة الفعل إلى فاعله فيقال

اكل وشرب وقام وقعد وحكى ودعا واستغاث حقيقة لا مجازاً باجماع العقلاء ،
واما شرعافان الله قد رتب حصول الخيرات في الدنيا والآخرة ، وحصول الشرور
في الدنيا والآخرة ، والعقاب والثواب في كتابه على الاعمال ترتيب الجزاء على
الشرط ، والمعلول على العلة والمسبب على السبب وهذا في القرآن يزيد على ألف
موضع كما تقدم بيانه في كلام ابن القيم رحمه الله تعالى

(وأما قوله) ويؤيد ما بيناه في تأويل حديث البخاري في الشفاعة يوم
القيامة « فينهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم »

فالجواب أن نقول هذا ليس مما نحن فيه فان الاستغاثة بالخلق على نوعين
(أحدهما) أن يستغيث بالخلق الحي فيما يقدر على الغوث فيه مثل أن يستغيث
الخلق بالخلق ليعينه على حمل حجر وبحول بينه وبين عدوه الكافر ويدفع عنه
سبعا صائلا أو اصفاً أو نحو ذلك ، ومن ذلك طلب الدعاء لله من بعض عباده
لبعض وهذا لا خلاف في جوازه ، والاستغاثة الواردة في حديث المحشر من هذا
القبيل فان الانبياء الذين يستغيث العباد بهم يوم القيامة يكونون أحياء وهذه
الاستغاثة إنما تكون بأن يأتي أهل المحشر هؤلاء الانبياء يطلبون منهم أن
يشفعوا لهم الى الله سبحانه ويدعوا لهم بفصل الحساب والاراحة من ذلك الموقف
ولا ريب أن الانبياء قادرين على الدعاء فهذه الاستغاثة تكون بالخلق الحي
فيما يقدر على الغوث فيه والثاني أن يستغاث بخلق ميت أو حي فيما لا يقدر عليه
إلا الله تعالى وهذا هو الذي يقول فيه أهل التحقيق انه غير جائز

(فان قلت) هؤلاء المستغيثون بالأَمْوات أو الغائبين أيضاً يطلبون منهم أن
يشفعوا لهم الى الله تعالى ويدعوا لهم بقضاء حاجاتهم وهم قادرين على ذلك فتكون
استغاثتهم هذه من قبيل النوع الأول (قيل) هذا فيه خلل من وجوه (الأول) ان فيه
ذهول عن قيد الحي والمراد بالحياة الدنيوية لا البرزخية (والثاني) ان ظاهر الفاظهم
مثل قولهم يا رسول الله اشف مرضي واكشف عني وهب لي ولداً ورزقا واسعاً ونحو
ذلك دال على أنهم لا يطلبون منهم الشفاعة بل يطلبون شفاء المريض وكشف
الكربة وإعطاء الولد والرزق وهم غير قادرين على تلك الأمور . (الثالث) أن

هؤلاء المستغيثين بالأموات والغائبين يدعونهم ويستغيثون بهم من أماكن مختلفة ومواضع بعيدة معتقدين أن الأموات والغائبين يعلمون استغاثتهم ويسمعون دعاءهم من كل مكان وفي كل زمان ولا ريب أن هذا إثبات لعلم الغيب لهم الذي هو من الصفات المختصة بالله تعالى فيكون شركاً وبهذا وبما تقدم يندفع تأويل الحديث على ما تأوله عليه من المحال الباطل والله أعلم

فصل

قال العراقي : لنا على جواز التوسل والاستغاثة دلائل منها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) قال ابن عباس إن الوسيلة كلما يتقرب به إلى الله تعالى، والوهابية جعلت الوسيلة خاصة بالأفعال وهو تحكم بل ظاهر الآية تخصيصها بالذوات فانه تعالى قال في هذه الآية (اتقوا الله) والتقوى عبارة عن فعل المأمور به وترك المنهي عنه فإذا فسرنا الوسيلة بالأعمال كان الأمر بابتغاء الوسيلة إليه تأكيداً للأمر بالتقوى بخلاف ما إذا أريد بها الذوات فإن الأمر حينئذ يكون تأسيساً وهو خير من التأكيد

والجواب أن نقول : قد استدلل بهذه الآية طائفة العراقي داود ابن جرجيس على نحو مما ذكره هذا إلا أن هذا أسقط من جواب داود نسبة الكلام إلى البغوي وهذا لم يذكره عنه وأجابه على ذلك شيخنا الشيخ عبد اللطيف فقال : والجواب أن يقال : الله أكبر على هؤلاء الضلال الكاذبين على الله وعلى رسوله المبطلين لدينه المحرفين للكلم عن مواضعه وهذا الكلام الذي ذكره العراقي جمع فيه من التحريف والالحاد والكذب والقول في كتاب الله برأيه ماسيماً بك بيانه مفصلاً ، وفي الحديث «من قال في القرآن برأيه - وفي رواية بما لا يعلم - فليتبوأ مقعده من النار» وقد تكلم الحافظ ابن كثير على قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) بما يرد قول هذا العراقي ويبطله قال رحمه الله تعالى : أمر عباده المؤمنين بتقواه وهي إذا قرنت بالطاعة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهي عنه وقد قال بعدها (وابتغوا اليه الوسيلة) قال سفيان الثوري

عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أى القربة وكذا قال مجاهد وعطاء وأبو وائل
والحسن وقتادة وعبد الله ابن كثير والسدي وأبو زيد قال قتادة أي تقربوا اليه
بطاعته والعمل بما يرضيه وقرأ ابن زيد (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة) وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه وأنشد
ابن جرير قول الشاعر

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل

والوسيلة هي ما يتوصل به الى تحصيل المقصود انتهى . وقال البغوي أي
اطلبوا اليه الوسيلة أي القربة ، فعليه من توسل الى فلان بكذا أي تقرب اليه
وجمعها وسائل . وقال البيضاوي على قوله (وابتغوا اليه الوسيلة) أي ما يتوسلون به
الى ثوابه والزاني منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا
تقرب اليه وقال في الكلام على آية الاسراء (أولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة أيهم أقرب بدل
من واو يبتغون أي يبتغي من هو أقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب
وقال ابن كثير وقوله (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب)
روى البخاري من حديث سليمان بن مهران الأنعمش عن ابراهيم عن أبي
معمر عن عبد الله في قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة)
قال ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا وذكر رواية عن ابن مسعود كانوا
يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن وذكر عن ابن عباس قال عيسى وأمه
وعزير وعنه والشمس والقمر قال مجاهد عيسى وعزير والملائكة واختار ابن
جرير قول ابن مسعود لقوله يبتغون وهذا لا يعرب به عن الماضي فلا يدخل فيه
عيسى والعزير وقال الوسيلة هي القربة كما قال تعالى ولهذا قال (أيهم أقرب) انتهى
واختار شيخ الاسلام ان الآية تعم من ذكر وغيرهم ممن عبده المشركون
من أولياء الله وعباده الصالحين فتبين بهذا رد ما ذكره البغوي فان المفسرين
ذكروا ابتغاء الوسيلة وهو طلب القربة فتقدم قول البيضاوي في قوله أيهم أقرب
أنه بدل من الواو في يبتغون، وقال أبو حفص العكبري أيهم مبتدى، وأقرب خيره

وهو استفهام والجملة في موضع نصب يدعون وعلى كلا القولين لا يصح ما ذكره
 البغوي من توسل بعضهم ببعض وفي الجلالين أولئك الذين يدعونهم آلهة
 يتغنون يطلبون إلى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة أيهم بدل من أو يتغنون أي يتغنيها
 الذي هو أقرب إليه فكيف بغيره إذا عرف هذا تبين فساد قول البغوي في آية
 الاسراء فإن التوسل في العرف الشرعي فعل ما يتوسل به إلى الله من الإيمان
 به والعمل الصالح الذي شرعه وبرضاه كما في حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار
 فانطبقت عليهم الصخرة هذا هو التوسل المعروف كما عليه أهل الاسلام من
 المفسرين وغيرهم ومن قول قتادة أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه وتقدم
 قول ابن كثير بعد حكاية هذا وهذا مما لا خلاف فيه بين المفسرين فذكر
 الاجماع على أن المراد القربة بالعمل الصالح وما يرضاه تعالى ثم لو سلم صحة
 ما ذكره البغوي فليس المراد أن بعضهم يدعو من هو أقرب منه ويسأله الشفاعة
 والتقرب بل التوسل يطلق عنده على سؤال الله بحجاء المقربين وبحق الصالحين
 لا كما يظنه عباد القبور من أن التوسل هو دعاء الصالح نفسه وقصده بالمسألة
 والطلب من دون الله والتقرب إليه بالذبح والنذر وغيرها من العبادات فإن هذا
 عين الشرك الذي نزلت الآية بابطاله والرد على أهله فإن الجاهلية من الأميين
 والكتابين يدعون الملائكة وعيسى وائمة والعزير ويتوجهون إليهم في حاجاتهم
 وملماتهم ويتقربون إليهم بعرف الأموال ذبحا ونذرا فرد الله عليهم هذا الفعل من
 صنيعهم وأخبرهم أن هؤلاء المدعويين لا يملكون كشف الضر ولا تحويله من حال
 إلى حال لأن من عبد الانبياء والصالحين يدعي أنه يكشف الضر بواسطة
 وعلى أيديهم كما يقوله عباد القبور فأخبرهم تعالى أن هؤلاء المدعويين عبيده كما
 أن الداعين عبيده وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه والخائف الراجي لا يصلح
 أن يكون مدعوا ومعبودا فانظر هذه الآية الكريمة وما دلت عليه وما سقت له
 وانظر حقيقة دعوى العراقي وما يفعله الغلاة في الأولياء والصالحين ومسألتهم
 وتعظيمهم بشيء من العبادات كالذبح والنذر لهم وعلى أبطال دعواه أيضا في
 التوسل الشركي بالصالحين ودعائهم ومسألتهم وبهذا تعرف أنه مشاق لله ورسوله

يستدل بالآية الكريمة على نقيض ما دلت عليه ويفهم منها عكس ما دعت اليه وهكذا حال القلوب المنكوسة تتصور الأشياء على خلاف ما هي عليه وأهل العلم كافة استدلوا بهذه الآية على إبطال التوسل الشركي الذي هو دعاء الصالحين والعراقي استدل بها على جوازها واستحبابه فبعدا للقوم الظالمين

وأما قول العراقي فظاهر الآية عام في الأفعال والذوات هذا قول داود وقال صاحب هذه الرسالة والوهابية جعلت الوسيلة خاصة بالأفعال وهو تحكم بل ظاهر الآية تخصيصها بالذوات

قال شيخنا فهذا يكذبه ويبطله ما مر من إجماع المفسرين على أن الوسيلة هي التقرب إلى الله بطاعته وبما يرضيه مما شرعه وأذن فيه والتوسل الذي يريد العراقي بذات الصالحين هو دعاؤهم ومسألتهم وتعظيمهم بالعبادة وتقديم كلام ابن القيم في أنه يستحيل أن تأتي شريعة من الشرائع بإباحة ذلك

وقوله ومن ادعى التخصيص بأحدهما فقد تحكم في هذا القول من سوء الأدب مع الشارع والجراءة على الله وعلى رسوله ما يعلمه أهل العلم بدينه الذين عقلوا عن مراده وعرفوا أنه أخص القرب التي يحبها ويرضاها ونهي عن مجاوزتها إلى البدع والضلالات فالتخصص للقرب والوسائل هو الله ورسوله قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ثم اقتحم العراقي وأتى بقوله يضحك منها صبيان المكاتب فقال على أن ظاهر سياق الآيات تخصيصه بالذوات فأتى على ما قاله المفسرون قاطبة فهدمه واجتث أصله ورده من لا يؤمن بالكتاب ولا يخاف سوء الحساب واستدل له على تلك الدعوى الضالة بأن التقوى فعل المأمور وترك المنهي عنه وإذا فسر ابتغاء الوسيلة بالأعمال يكون تأكيداً فيكون مكرراً وإذا أريد التوسل بالذوات يكون ناشئاً وهو خير من التأكيد هذا كلامه بحروفه وكفى بهذا خزيًا وفضيحة وتسجيلاً على جهالة وأنه ما عرف شرعاً ولا لغة ولا ديناً وهذا مردود بوجوه

(الأول) أن ابن كثير قرر أن التقوى إذا قرنت بالطاعة أو الوسيلة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهي كما في هذه الآية والوسيلة هي التقرب

الى الله بانواع الطاعات وأصناف العبادات ومراده أنها اذا أطلقت ولم تقتصر
بغيرها دخل فيها فعل المأمور وترك المحذور وهكذا اسم العبادة والطاعة نعم عند
الاطلاق وتخص مع الاقتران والتقييد فالعراقي لم يعرف مسمى التقوى في هذا
المحل وخطب خطب عشواء

(الوجه الثاني) أن الوسيلة ما يقرب الى الله تعالى والتقوى تطلق على ما يتقي به
عذابه ويرجي به ثوابه فلو قبل بهذا الاطلاق هنا فالقرب الى الله وطلبه أخص مما قبله
(الوجه الثالث) ان التأكيد يكون خبراً من التأسيس اذ اقتضاه الحال وقصد
رفع الحجاز وإبطال توهمه أو قصد بيان خصوصية الفرد المعطوف والاهتمام به كما في
قوله تعالى (الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة)
(الوجه الرابع) أن التأسيس لا يجري هنا ولا يصح قصده لأن شرطه ^(١)

فصل

قال العراقي . ومنها قوله تعالى (أولئك الذين يبتغون الى ربهم الوسيلة
أبهم اقرب) قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة وتفسير الآية أن
الكفار يعبدون الانبياء والملائكة على انهم أرباب فيقول الله لهم أولئك الذين
تعبدونهم هم يتوسلون الى الله بمن هو أقرب فكيف تجعلونهم أرباباً وهم عبيده
مفتقرون الى ربهم متوسلون اليه بمن هو أعلى مقاماً منهم

والجواب أن يقال : وهكذا قال داود بن جرجيس وقد أجابه الشيخ فقال
والجواب أولاً لولا ما يصدده المؤمن من رد هذه الأقوال الضالة الكاذبة التي
تتضمن الكذب على الله وتحريف كتابه ، وتغيير دينه ، وأقول عليه بغير علم
لما جازت حكاية هذا الالامك ونقله ، والله سبحانه ذكر أقوال أعدائه وأعداء
رسله في معرض الرد لها ، وإبطالها ، والتسجيل على ضلالة أهلها ، فاما ما نقله عن
البغوي فقد حرفه وكذب فيه ، وهذه عبارة البغوي نسوقها بحروفها ، قال في
قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) يعني الذين يدعونهم

المشركون آلهة ويعبدونهم . قل ابن عباس ومجاهد : هم عيسى وأمه وعزير والملائكة ، والشمس ، والقمر ، والنجوم يبتغون أي يطلبون الى ربهم الوسيلة أي القربة ، وقيل الوسيلة الدرجة العليا ، أي يتضرعون الى الله في طلب الدرجة العليا ، وقيل الوسيلة كلما يتقرب به إلى الله عز وجل ، وقوله (أيهم أقرب) بمعنى ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به . وقال الزجاج (أيهم أقرب) يبتغي الوسيلة إلى الله ، ويتقرب اليه بالعمل الصالح هذه عبارة البغوي بحروفها

وقد تصرف فيها هذا الضال فحذف منها قول ابن عباس والشمس والقمر والنجوم ، وحرف قوله يطلبون إلى ربهم الوسيلة أي القربة ، فقال العراقي كل ما يتقرب به الى الله ، وعبارة البغوي القربة وحذف قول البغوي ، وقيل الوسيلة الدرجة العليا أي يتضرعون الى الله في طلب الدرجة العليا وزاد في قوله ينظرون أيهم أقرب الى الله فقال العراقي وأعلى جاهاً وزاد ويتشفعون به الى ربهم هذا تحريفه لكلام البغوي

قلت وأما صاحب الرسالة فانه ألطف في التحريف وأجراً على الله بالكذب . من داود فان داود نسب الكلام الى البغوي وحرفه وتصرف فيه وزاد وهذا جزم ان تفسير الآية أن التكفار يعبدون الانبياء والملائكة على انهم أربابهم كما ذكر داود وذكر هذا كما ذكر داود الى آخره والمقصود انهم يغتفون من عين واحدة . قال الشيخ في جوابه والرجل يشتهي يأخذ ما يهوى ويدع ما هو الأولى والأقوى فأول عبارة البغوي ترد قوله ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به لأن الشمس والقمر والنجوم لا يتأتى منهم ذلك والملائكة وعزير وعيسى لم يرد ثقل ولا حجة ولا برهان على ان بعضهم يسأل الله ببعض ويتوسل به ويقصده في حاجاته وملاماته فما قاله البغوي هنا غير مسلم وقد تقدم كلام المفسرين وانهم لم ترتضوا هذا ولم يقله أحد منهم وتقدم قول ابن كثير في تفسير قتادة انه لا خلاف بين المفسرين في ذلك وتقدم قول أبي حمص والبيضاوي والجلالين فعدل العراقي عن هذا كله وتمسك بالمتشابه كما قال ابن القيم : وأعرض النصارى عن الأصول المحكمة وتمسكوا بالمتشابه على ان عبارة البغوي ليس فيها شاهد

ودلائل لعباد القبور بل هي تدل على خلافه فان التوسل الذي يشير اليه وينصرف الاسم عليه عند الاطلاق هو التوسل الشرعي ومنه دعاء المؤمنين بعضهم لبعض كالأسياب العادية وقد براد بالتوسل في عرف بعض الناس سؤال الله تعالى بحق أوليائه وعلى كل فليس فيه دليل لدعاء الموتى والغائبين كما يفعله عباد القبور من الضالين والمشركين ويحتمل انه أراد بقوله ان ينظرون أيهم أقرب فيتوسلون به معنى صحيحاً شرعياً وهو الاقتداء بهم وسلوك سبيلهم واقتفاء آثارهم قال تعالى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقد يتعين هذا الاحتمال لوجوب إحسان الظن بالعلماء

وقول العراقي في معنى الآية إن الكفار يعبدون الانبياء والملائكة على انهم أربابهم يريد به أن المشركين يعتقدون ان آلهتهم نخلق وترزق وتدبر وهذا قد رده القرآن وأبطله في غير موضع كما تقدم تقريره والعراقي يلجأ الى هذا لئلا يدخل ما فعله عباد القبور فيما نهى عنه القرآن من اتخاذ الالهة من دون الله وعبادتها معه وهذا لازم لعباد القبور لا محيص عنه والحكم يدور مع علته والقرآن كفر المشركين وأنكر عليهم دعاء غير الله ومحبة سواه وتعظيم ما يدعى معه بالذبح والنذر وسائر العبادات قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف عنكم ولا تحويلاً) وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) وقال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) والآيات في المعنى كثيرة يبين تعالى انه كفرهم وأنكر عليهم وتوعدهم بالنار على عبادة غيره ودعاء سواه والعبادة فعل العبد الذي هو الحب مع الله والخضوع والتعظيم والدعاء رغباً ورهباً واطلاق الارباب على الالهة كقوله تعالى (أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) وقوله (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) ونحو ذلك انما يراد به ما ذكرنا لان المعبود يسمى رباً وهذا مما لا خلاف فيه بين المفسرين بل السيد يسمى رباً فتنبه لهذا فقد زل بهذه

الشبهة كثير من المنتسبين الى العلم والدين ثم ذكر الشيخ كلاما طويلا عن شيخ الاسلام قال في آخره ولهذا كان من اتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم وينسك لها ويتقرب اليها ثم يقول ان هذا ليس بشرك وانما الشرك اذا اعتقدت انها المدبرة لي فاذا جعلتها سبياً وواسطة لم أكن مشركا ومن المعلوم بالاضطرار من دين المسلمين ان هذا شرك انتهى فتأمل فان فيه حكاية قول سلف هذا العراقي وفيه أن ما قاله العراقي شرك يعلم بالاضطرار من دين الاسلام والله المستعان

وأما قول العراقي فيقول الله تعالى أولئك الذين تعبدونهم يتوسلون الي . ن هو أقرب يعني فهم محتاجون فقد كذب على الله ما عني سبحانه وتعالى بهذا المعنى ولا أراده تبارك وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً ما أجز هذا المتكلم على الله وعلى كتابه وعلى دينه فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وتقدم قول المفسرين

وقول شيخ الاسلام ان هؤلاء المدعويين عبيده كما ان الداعين عبيده وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه نعوذ بالله من اقتحام هذه المهالك والتوئب على تلك الدركات التي تهوي بصاحبها الى أسفل سافلين قال تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وقال تعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا لا ينجفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير)

فصل

قال العراقي : ومنها قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيم) فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام ، وفي ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم وقبول المتوسل به كما يفهم من قوله تعالى (لوجدوا الله توابا رحيم) وأنت تعلم أن استغفاره صلى الله عليه وسلم لا يمتنع لا بتقيد بحال حياته كما

دلت عليه الاحاديث الواردة مما سنقله لا يقال إن الآية وردت في قوم معينين فلا عموم لها لانا نقول إنها وإن وردت في قوم معينين في حياته صلى الله عليه وسلم تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف سواء كان في حال حياته أو بعد موته صلى الله عليه وسلم

والجواب أن نقول : قد سبق هؤلاء إلى الاستدلال بهذه الآية تسبكي بنحو ما قال هذا وأجابه الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى فقال : أما استدلاله بقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية ، فالكلام فيها في مقامين : أحدهما عدم دلالتها على مطلوبة ، الثانية بيان دلالتها على نقيضه ، وإنما يتبين الأمران بفهم الآية وما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة ومن سلك سبيلهم ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم ، وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذا ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصعدون وهم مستكبرون) وكذلك هذه الآية إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب ابن الأشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم حيث لم يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر له فإن المجيء إليه يستغفر له توبة وتنصل من الذنوب وهذه كانت عادة الصحابة معه صلى الله عليه وسلم أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه فقال : يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، وهذا كان فرقا بينهم وبين المنافقين ، فلما استأثر الله عز وجل بنبيه صلى الله عليه وسلم ونقله من بين أظهرهم إلى دار كرامته لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول : يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت ، أقرى عطل الصحابة والتابعون وهم خير القرون على الإطلاق هذا الواجب الذي ذم الله سبحانه من تخلف عنه ، وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق ، ووقف له من لا يؤبه له من الناس ، ولا بعد في أهل العلم فكيف أغفل هذا أئمة الاسلام

وهداة الانام من أهل الحديث ، والفقهاء ، والتفسير ، ومن لهم لسان صدق في
الامة ، فلم يدعوا اليه ، ولم يحضوا عليه ، ولم يرشدوا اليه ، ولم يفعله أحد منهم البتة ،
بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهى عنه من
الغلو والشرك الجفأة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية ، ولما كان هذا
المنقول شجى في حلق الغلاة ، وقذى في عيونهم ، وريسة في قلوبهم ، قابله
بالتكذيب والطعن في الناقل ، ومن استحيا منهم من أهل العلم بالآثار قابله
بالتحريف والتبديل ويأبى الله إلا أن يعلى منار الحق ، ويظهر أدلته ليهتدي
المسترشد ، وتقوم الحجة على المعاند فيعطي الله بالحق من يشاء ، ويضع برده
وبطره وغمص أهله من يشاء ، وبالله العجب اكث ظلم الأئمة لأنفسها
ونبيها بين أظهرها موجود ، وقد دعيت فيه إلى المجيء ليستغفر لها ، وذم من
تخلف عن المجيء ، فلما توفي صلى الله عليه وسلم ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج
أحد منهم إلى المجيء ليستغفر له ، وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه
المعارض هذه الآية تأويل باطل قطعاً ولو كان حقاً لسبقونا اليه علما وعملا ،
وارشادا ونصيحة . ولا يجوز احداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد
السلف ، ولا عرفوه ، ولا بينوه الأئمة ، فانه يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا ،
وضلوا عنه ، واهتدى اليه هذا المعارض المستأخر ، فكيف اذا كان التأويل يخالف
تأويلهم ويناقضه ، وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده ، وانما تنبه
عليه بعض التنبيه . ومما يدل على بطلانه قطعاً أنه لا يشك مسلم أن من دعى إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض عن
المجئي . وأباه مع قدرته عليه كان مذموما غاية الذم مغموصا بالنفاق . ولا كذلك من
دعى إلى قبره ليستغفر له ، ومن سوى بين الامرين ، وبين المدعوين ، وبين
الدعوتين فقد جاهر بالباطل وقال على الله وكلامه ورسوله وأمناء دينه غير الحق .
وأما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو أنه سبحانه صدرها بقوله (وما أرسلنا
من رسول إلا ليطاع بأذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول) وهذا يدل على أن مجيئهم اليه ليستغفر لهم إذ ظلموا

أنفسهم طاعة له . ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة ولم يقل مسلم قط إن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره ويسأله أن يستغفر له ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة ، وهذا بخلاف قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فإنه نفى الايمان عن لم يحكمه ، وتحكيمه هو تحكيم ما جاء به حياً وميتاً ، ففي حياته كان هو الحكم بينهم بالوحي ، وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه يوضح ذلك أنه قال « لا تجعلوا قبري عيداً » ولو كان يشرع لكل مذهب أن يأتي إلى قبره يستغفر له . لكان القبر أعظم أعياد المذنبين ، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به ، ولو كان مشروعاً لأمر به أمته وحضهم عليه ، ورغبهم فيه ، ولما كان الصحابة وتابعوهم باحسان أرغب شيء فيه وأسبق إليه ، ولم ينقل عن أحد منهم قط وهم القدوة بنوع من أنواع الاسانيد أنه جاء إلى قبره ليستغفر له ، ولا شكاً إليه ، ولا سأله والذي صح عنه مجيء القبر للتسليم فقط هو ابن عمر وكان يفعل ذلك عند قدومه من السفر ، ولم يكن يزيد على التسليم شيئاً البتة ، ومع هذا فقد قال عبيد الله بن عمر العمري الذي هو أجل أصحاب نافع ، أو من أجلهم مانعاً أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك إلا ابن عمر ، ومعلوم أنه لا هدي أكمل من هدي الصحابة ، ولا تعظيم لرسول الله فوق تعظيمهم ، ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم ، فمن خالفهم إما أن يكون أهدي منهم أو يكون مرتكباً لنوع من البدع كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لقوم رأيهم اجتمعوا على ذكر يقولونه : لا نتم أهدي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ! أو اتيم على شعبة ضلالة ، فبين أنه لو كان استغفاره لمن جاءه مستغفراً بعد موته ممكناً أو مشروعاً لكان كمال شفقتة ورحمته بالأمة تقتضي ترغيبهم في ذلك وحضهم عليه انتهى

(وأما قوله) فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره وهذا حق ولكنه

في حال حياته لا بعد وفاته

(وقوله) وفي ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم

وقبول التوسل به

فأقول : نعم هذا حق فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون به في حال حياته كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقيننا ، وانا نتوسل اليك بسم نبينا فاسقنا ، فلو كان التوسل به بعد وفاته جائزاً لما عدل الفاروق إلى عمه العباس مع امكان التوسل به عند قبره لو كان جائزاً ، ومن المعلوم أن التوسل المشروع إنما هو بدعائه كما تقدم بيانه وكما سيأتي إن شاء الله ، بل في ذلك أصرح دلالة على المنع من التوسل به التوسل الشرعي بعد وفاته بدليل أنه لا أكل من هدي الصحابة ، ولا تعظيم للرسول فوق تعظيمهم ، ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم ، ومع ذلك لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول يا رسول الله : فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت

(وأما قوله) وأنت تعلم أن استغفاره صلى الله عليه وسلم لأمته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الاحاديث الواردة مما سنقله

فأقول : لو كان طلب الاستغفار منه صلى الله عليه وسلم جائزاً بعد وفاته عند قبره أو من مكان بعيد منه ، أو كان مشروعاً لأمر به أمته وحضهم عليه ، ورغبهم فيه ، ولكان الصحابة رضي الله عنهم وتابعوهم باحسان أرغب شيء فيه وأسقى اليه ، ولم ينقل عن أحد منهم قط وهم القدوة بنوع من أنواع الاسانيد أنه جاء إلى قبره ليستغفر له ، ولا شكاً اليه ، ولا سألته ، وقد تقدم بيان هذا

(وأما قوله) لا يقال إن الآية وردت في قوم معينين فلا عموم لها إلخ

فأقول : نعم الامر كما أقر به الخصم في هذا المقام من أن الآية وردت في قوم معينين من أهل النفاق يدل عليه قوله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) فهي نعم ما وردت فيه وما كان مثله فهي عامة في حق كل من ظلم نفسه من كل منافق قبل له تعال إلى ما أنزل الله وإلى الرسول فصد عن الرسول صدوداً وتحاكم إلى الطاغوت ، ثم جاء الرسول في حياته فاستغفر الله واستغفر له الرسول في حياته ، وأما المؤمن الذي عصي وظلم نفسه فجاء قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاستغفر الله فليس مثله لما تقدم بيانه

فصل

(قال العراقي) ومنها قوله تعالى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) فنسب الله تعالى الاستغاثة إلى غيره من المخلوق وكفى به دليلاً على جوازها ، فإن قيل إن المستغاث في هذه الآية حي وله قدرة ، وإنما كلامنا في الميت أجب بأن نسبة القدرة إليه إن كانت استقلالاً فهي كفر ، وإن كانت بقدرته تعالى على أن يكون هو الساب والوسيلة ليس إلا فلا فرق بين الحي والميت فإن الميت له كرامة ، وإذا لم تنسب إلى الله حقيقة وإلى غيره مجازاً كانت الاستغاثة ممنوعة ، ومن هنا تعلم سر نبي النبي صلى الله عليه وسلم الاستغاثة عن نفسه عند ما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال عليه السلام « لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله » مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حينئذ حياً وله قدرة ، فأما قصد صلى الله عليه وسلم نفي الاستغاثة الحقيقية فأراد تعليم أمته أنها لا تكون إلا بالله

(والجواب) أن يقال هذه شبهة داود وإنما تصرف فيها هذا ولم يخرج عن مقصوده بشيء ، فقال شيخنا رحمه الله : وقوف أهل البصائر على هذا الكلام يكفي في رده وإبطاله وبيان ما فيه من الجهل الغليظ وهذا الصنف من الناس إنما أوتوا من بعدهم عما جاءت به الرسل وكونهم أجانب عنه ليسوا من أهل الوراثة النبوية فهم في ظلمات بعضها فوق بعض وهذه الآية الكريمة فيها الخبر عن الأسرائيلي لأنه استغاث موسى على القبطي الذي هو من عدوه ، والأفعال العادية القائمة بفاعلها تنسب إليه وتضاف إليه حقيقة من إضافة الفعل إلى فاعله ، فيقال أكل وشرب وقام وقعد وقال وحكى ودعا واستغاث حقيقة لا مجازاً بإجماع العقلاء ولم يخالف في إضافة الأفعال إلى فاعلها حقيقة إلا من هو أجهل الناس وأضلهم عن سواء السبيل ، وهذا لم نقل بمنعه حتى يستدل علينا بالنسبة التي في الآية ، مع أن

الاستدلال بها يترجم عن جهل المعترض وعدم فهمه عن الله وقد نسب الرب تبارك وتعالى إلى أعدائه ما نسبوه اليه من اتخاذ المصاحبة والولد وجعل الشركاء معه والنسبة لا يستدل بها من يعقل ما يقول بل الدليل في حكايته على وجه التقرير وعدم الانكار قال تعالى (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون) وقال تعالى (وقالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وقال تعالى (واتخذوا من دونه آلهة لهم ينصرون) فهذا كله منسوب الى فاعله حقيقة أفيقال بمجازه ، وأنه لو كان ممنوعاً لما جازت النسبة ، ويقال هذا مجازاً أصبح نفيه عنهم؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، والعراقي جاهلي الدين والمذهب واللسان بل الجاهلية لا تقول إن النسبة إلى الفاعل مجاز ولا تقول أنها تدل على عدم المنع مما نسبته إلى فاعله والغرض بيان ما في كلام هذا من الفساد المتناهي ، والآية ليست مما نحن فيه فان الاغاثة المثبتة ليس الدليل على اثباتها النسبة وإنما هو ما جاءت به الشريعة الكاملة من جواز معاطاة الاسباب العادية واستعانة الخلق بعضهم بعضاً في الجملة والدليل من الآية ترك انكاره وسياقه على وجه التقرير ، ومسألة المخلوق محرمة في الاصل وإنما البحث في الأسباب العادية للضرورة والحاجة ، ولهذا بايم النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه على أن لا يسألوا الناس ، فكان أحدهم يسقط السوط من يده فلا يقول لأحد ناويله

وقول العراقي : وأما ما قيل إن هذا حي ، وله قدرة ، فان كان نسبة القدرة اليه استقلالاً فهو كفر ، وان كان بقدرة الله وهو سبب ووسيلة فلا فرق بين الحي والميت (يقال) هذا تخليط وهذيان ، فان المسلمين متفقون على قول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، يؤمنون بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) خلق في الحي اختياراً ومشئته بها ياب وبها يعاقب وبها يكاف ، والميت ليس له قدرة الحي ولا يكلف بل ينقطع عمله بموته وتطوى صحيفته ، ولا يسأل ولا يستفتى ولا يرجع اليه في شيء بما للعباد عليه قدرة ، وسائر الحيوان يفرقون بين الحي والميت

والعراقي يقول : لافرق عنده بين الحي والميت ، قال تعالى (وما يستوي الاحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) واستغانة الميت ليست سبباً كاستغانة المخلوق فيما يقدر عليه ، ولم يجعل هذا سبباً الا عباد الاصنام الذين هم أضل خلق الله ، يجعلون الأموات سبباً ووسيلة ، والميت ليس في شرع الله وما جاءت به رسله أن يدعو لمن دعاه ، والكرامة ليس فعله بل هي فعل الله ، والمكرم لا يدعى ولا يستغاث به ولا يرجى لشيء من الشدائد ، بل هذا فعل المشركين كما تقدم ، والقول بأن الله يقدره ظن وخرص لا يرجع اليه في دينه إلا ضال يتمسك بالاوهام الوثنية

(وقوله) والجيم راجع الى قدرة الله لا ينقذه من المحذور ، فان المشركين يعترفون بربوبية الله لا الهتهم ويعلمون أنها لا تستقل بشيء دونه ، ولا تجوز نسبة الاغاثة إلى الموتى والغائبين ولو مجازاً لاختصاصه تعالى بالعلم والقدرة والغوث الباطني ، والنبي صلى الله عليه وسلم نفى الاستغانة عن نفسه حماية للتوحيد وصيانة لجانبه وأدبا مع ربه ، لا لأن الاغاثة لا تنسب إلى المغيث بالتسبب العادي حقيقة وانها تنسب مجازاً كما توهمه الغبي الاكبر ولم يرد تعليم أمته ، أن الاستغانة انما تنسب للمخلوق مجازاً فان ما جاء به من الكتاب والسنة دال على اضافة الفعل لمكتسبه ومن قام به ، ولذلك رتب الثواب والعقاب والجزاء والحساب ولم يقل قول العراقي الا القدرية المجبرة ومن نحمايحوهم من الجهمية ورد عليهم أهل السنة بما يطول ذكره نقلاً وعقلاً ، وقالوا لو كان مجازاً لصح نفى أفعال المكافين عنهم وكانوا بمنزلة الجمادات التي يحركها الغير ويفعل بها من غير قصد لها ولا اختيار ويكون التعذيب والثواب يرجع إلى مجرد المشيئة والارادة من غير فعل للعبد يستحق به الثواب والعقاب ، واما اضافة الاغاثة والانبات الى الغيث والربيع كما في الحديث وكما في قولهم أنبت الربيع البقل فلم يجعل الغيث فاعلاً ، كما زعمه هذا الاعجمي الذي لا يعقل شيئاً من اللغة غاية ما قالوا إنه مجاز عقلي كما يعلم من رسالة السكاكي والاضافة قد تقع ولو إلى أدنى ملازمة

(وقول العراقي) لجعل الغيث هو فاعل الاغاثة مع أنه عرض هذا مما يدل

على أنه لا يفرق بين العرض والجوهر ومن بلغ جهله الى هذا الحد سقط الكلام معه والقصد اعلام الطالب أن أعداء شيخنا من أجهل الورى وأضلهم الى آخر كلامه رحمه الله

فصل

(قال العراقي) ومنها قوله تعالى (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال بعض المفسرين إن العهد قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعليه فمعنى الآية لا يشفع الشافعون الا لمن قال لا إله إلا الله وهم المؤمنون كقوله تعالى (لا يشفعون إلا لمن ارتضى) وهو معنى بعيد أن يكون حينئذ تقدير الآية لا يملكون الشفاعة لاحد الا من اتخذ الى آخره ، وفيه من التكاف ما فيه والاحسن أن يكون تفسير قوله لا يملكون بمعنى لا ينالون ، حينئذ يصح الاستثناء بدون تقدير شيء ، وقيل معناه لا يملك الشفاعة الا من قال لا إله إلا الله ، أي لا يشفع الا المؤمنون ومثله قوله تعالى (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق) والشهادة بالحق هي قول (لا إله إلا الله) وحيث كان المراد من التوسل بالانبياء والاولياء والصالحين والطلب منهم هو استشفاعهم ، وقد اخبر تعالى أنهم يملكون الشفاعة فأني مانع من طلب شيء مما ملكوه باذنه تعالى فيجوز أن تطلب منهم أن يعطوك ما أطمأ الله تعالى ، وإنما المنوع هو طلب الشفاعة من الاصنام التي لا تملك شيئاً منها

(والجواب) أن يقال ما أعظم جراءة هذا الملحد على كلام الله بوضعه على غير موضعه وعلى توهين ما قرره أئمة التفسير من الساف رضوان الله عليهم فنذكر كلام أئمة التفسير لينبين ضلال هذا الملحد وعدم ادراكه فنقول قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري يقول تعالى ذكره لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد يوم يحشر الله المتقين اليه وفدا الشفاعة حسين يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض عند الله فيشفع بعضهم الا من اتخذ منهم عند الرحمن في الدنيا عهداً بالايمان به وتصديق رسوله والاقرار به والعمل بما أمر به ، ثم ساق بسنده

الى ابن عباس قوله (الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال العهد شهادة أن لا إله إلا الله ويتبرأ الى الله من الخول والقوة ولا يرجون الا الله ، وبسنده عن ابن جريج قال: المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعا ، (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال عملاً صالحاً ، وبسنده الى قتادة قال أي بطاعته ، وبسنده الى عوف ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » ومن في قوله (الا من) موضع نصب على الاستثناء ، ولا يكون خفضاً بضمير اللام ولكن قد يكون نصباً في الكلام في غير هذا الموضع وذلك كقول القاتل أردت المردد اليوم الا العدو فاني لأمر به فيستثنى العدو من المعنى وليس ذلك كذلك في قوله (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً لأن معنى الكلام لا يملك هؤلاء الكفار إلا من آمن بالله فالؤمنون ليسوا من أعداد الكافرين ومن نصبه على أن معناه الا لمن اتخذ عند الله الرحمن عهداً فانه ينبغي ان يجعل قوله لا يملكون الشفاعة للمتقين فيكون معنى الكلام حينئذ: (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) فيكون معناه عند ذلك (الا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً) فاذا جعل لا يملكون الشفاعة خبراً عن المجرمين فان من تكون حينئذ نصباً على انه استثناء منقطع فيكون معنى الكلام لا يملكون الشفاعة لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يملكه ^(١) انتهى

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى (لا يملكون الشفاعة) أي ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبراً عنهم (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله (الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً وهو شهادة ان لا إله الا الله والقيام بحقوقها ، قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، الا من اتخذ عند الرحمن عهداً ، قال العهد شهادة أن لا إله إلا الله ويتبرأ الى الله من الخول والقوة ولا يرجو الا الله

(١) كذا في الاصلين وفي نسخة ابن جرير المطبوعة في المطبعة الاميرية ، هذا وقد

كان في العبارة سقط نقلناه من نسخة التفسير المذكورة

عز وجل وقال ابن أبي حاتم حدثنا عثمان بن خالد الواسطي حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسعودي عن عون بن عبد الله عن ابن أبي فاختة عن الأسود بن يزيد قال قرأ عبد الله يعني ابن مسعود هذه الآية (الامن اتخذ عند الرحمن عهداً) ثم قال اتخذوا عند الله عهداً فان الله يقول يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقيم قالوا يا ابا عبد الرحمن فعلنا قال قولوا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة فاني أعهد اليك في هذه الحياة الدنيا ، انك أن تكفني إلى عملي يقربني من الشر ويباعدني من الخير ، وأني لأثق إلا برحمتك ، فاجعل لي عندك عهداً تؤدبه الي يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد قال المسعودي فحدثني زكريا عن القاسم ابن عبد الرحمن أن ابن مسعود كان يلحق بهن : خائفاً مستجيراً مستغفراً راهباً راغباً اليك ، ثم رواه من وجه آخر عن المسعودي بنحوه انتهى

فاذا تبين لك كلام أئمة التفسير ، وأن الاستثناء في آية مريم لا يفيد اثبات الملك ، والاكثر على أنه منقطع أو على القول بأنه متصل فلا حجة فيه بل هو كقوله تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) فالاستثناء دليل على حصولها ووقوعها ، لا على أنها تملك كسائر الاملاك المادية وكما يظنه أهل الجاهلية ، وكما يقول هذا الملحد إن الله ملكهم الشفاعة فأي مانع من طلب شيء مما ملكوه باذنه تعالى ؟ إلى آخر كلامه . ومراده أنهم يملكونها كما يملك الملاك أموالهم فيتصرفون فيها بما يشاءون ، وهذا خلاف ما دل عليه القرآن والسنة ، وأجمع عليه علماء الامة فانه قد دل القرآن والسنة واجماع الامة على أن الشفاعة بيده سبحانه ملكا له خاصة لا يتقدم أحد فيها الا باذنه ولا تنال الا من رضي قوله وعمله من أهل الايمان والتوحيد والاحاديث صريحة في أنه صلى الله عليه وسلم - وهو سيد الشفعاء - لا يشفع ابتداء وأنه يحمد له حداً ويعين له من أراد الله رحمته ، واكرام نبيه بالشفاعة فيه ، فهو عبد مأمور مدبر لا مالك متصرف قال تعالى (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) وقوله (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) وقد تقدم الكلام فيها وأن بعض المفسرين نقرر أن الاستثناء منقطع ليس فيه اثبات للملك فهو بمعنى الاستدراك من مضمون

الجملة ، ويدل على هذا نصوص الكتاب والسنة

قال شيخ الاسلام وقوله تعالى (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) فيه قولان قيل هو استثناء متصل ، وأنه يملك من ذلك ما ملكه الله ، وقيل هو منقطع والمخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا بحال ، فقوله (الا ما شاء الله) استثناء منقطع أي لكن يكون من ذلك ما شاء الله ، كقول الخليل ، ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا ، أي لا أخاف أن تفعلوا شيئا لكن ان شاء ربي شيئا كان والا لم يكن والا فهم لا يفعلون شيئا وكذلك قوله (لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) ثم قال (إلا من شهد بالحق) فتنفعه الشهادة كقوله (لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) وبسط هذا له موضع آخر انتهى اذا عرفت هذا فقول هذا الملاحد فأني مانع من طلب شيء مما ملكوه باذن الله تعالى ، فيجوز أن تطلب منهم أن يعطوك مما أعطاهم الله تعالى (فيقال) المانع من ذلك أنك قد أثبت بسبب يمنع حصولها ، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الاستغاثة بغيره ودعائه والاتجاه اليه سببا لحصول اذن الله للشافع أن يشفع ، وإنما السبب كمال التوحيد باخلاص الدعاء لله والاستغاثة به لا بغيره والطلب من الله تعالى أن يشفع فيه عبده لا طلبها من العبد ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى - ومن أنواعه - أي الشرك : طلب الخواارج من الموتى والاستغاثة بهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا لمن استغاث به وسأله أن يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله الا باذنه والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببا لاذنه وإنما السبب كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها ، وهذه حال كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعادات أهل التوحيد ونسبة أهله الى التنقص بالاموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكر المستجيبين لهم وما

نجنا من شرك هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيد الله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه واله ومعبوده ، فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستغاثته بالله والتجاءه الى الله واستعانته بالله وقصده الله متبعاً لأمره متطلباً لمرضاته ، اذا سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل الله فهو الله وبالله ومع الله انتهى ﴿ وأما قوله ﴾ وإنما الممنوع هو طلب الشفاعة من الأصنام التي لا تملك شيئاً منها .

﴿ فأقول ﴾ هذا لم يقله أحد من أهل العلم وإنما هي شبهة عراقية وتعلقات خيالية ، لا تليق الا بعقول هؤلاء الوثنية الذين ليس لهم معرفة بالاحكام الشرعية فبعداً للقوم الظالمين

فصل

قال العراقي : ومنها ما رواه ابن ماجة باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج اشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذني من النار ، وأن تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت » اقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون الف ملك فقد توسل النبي عليه الصلاة والسلام ، في قوله « اني أسألك بحق السائلين » عليك بكل عبد مؤمن وأمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء فيتوسلوا مثل توسله ولم يزل السلف من التابعين ومن تبعهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد ﴿ فالجواب ﴾ أن يقال هذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف قال شيخ الاسلام لكن بتقدير ثبوته هو من هذا الباب فان حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم وحق المطيعين له أن يثيبهم فالسؤال له والطاعة له للحصول اجابته واثابته فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به ولو قدر أنه قسم لكان قسماً بما هو

من صفاته فان إجابته وإثابته من أفعاله وأقواله فصار هذا كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الامام أحمد وغيره من الأئمة الى آخر كلامه فتبين من كلام الشيخ أن السؤال بحق السائلين هو إجابتهم وسؤاله بحق الطائعين إجابتهم فيكون السائل بهاتين الصفتين سائلاً بصفات الله فان الاجابة والاثابة من أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى وسؤاله باسمائه وصفاته والتوسل بها ثابت بالكتاب والسنة قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وفي الحديث عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال «دعا الله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب» رواه الترمذي وأبو داود الى غير ذلك من الاحاديث وكذلك التوسل بالأعمال الصالحة كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة كما روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا الى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها» الحديث متفق عليه وهو في الصحيحين فليس في حديث أبي سعيد الخدري ما يدل على ما ادعاه هذا الملحد من التوسل بذوات الانبياء والاولياء والصالحين فضلاً عن دعائهم والاستغاثة بهم والاتجاء اليهم وبهذا يتبين عدم معرفتهم بمعاني ما أنزل الله على رسوله ومعاني كلام رسوله وأن هذا المعترض وأشباهه أجنب من ذلك لا عهد لهم به ولا تمييز عندهم فالله المستعان ﴿ قال العراقي ﴾ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي الى آخر الحديث رواه الطبراني في الكبير وصححه ابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفاطمة هذه أم علي كرم الله وجهه التي ربت النبي صلى الله عليه وسلم الى آخر كلامه ﴿ والجواب ﴾ أن يقال في سنده روح بن صلاح المصري ضعفه ابن عدي

وتصحيح الحاكم له لا يجدي شيئاً فإنه جمع في مستدركه من الاحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة جملة كثيرة وقد روى فيه الجماعة من المجروحين في كتابه في الضعفاء وأما رواية الطبراني له فيقال لهذا المحدث كم في الطبراني حديث يخالف هذا ويدل على وجوب التوسل باسماء الله وصفاته واناية الوجوه اليه فما أعمى عينك عنها؟ هل هناك شيء أعماها سوى الجهل والهوى؟ وقد تكلم في هذا الحديث غير واحد وقال شيخ الاسلام قد بالغت في البحث والاستقصاء فما وجدت أحداً قال بجوازه إلا ابن عبد السلام في حق نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أترى هذا الحديث خفي على علماء الامة لم يعلموا ما دل عليه ثم لو سلمنا صحته أو حسنه ففيه ماسياتي في حديث الأعمى أن المراد بدعاء نبيك الى آخره وأي وسيلة لذوات الانبياء لمن عصى أمرهم وخرج عما جاءوا به من التوحيد والشرع قل شيخ الاسلام فاذا قال الداعي أسألك بحق فلان- وفلان لم يدع له- وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص أو مجيئه وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب انتهى

فصل

(قال العراقي) ومنها ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً ضرب رآ أن النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني فقال «ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير لك» قال فادعه فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء «اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضي اللهم فشفعه في فعاد وقد أبصر وخرج هذا الحديث البخاري أيضاً في تاريخه وابن ماجة والحاكم في المستدرك بإسناد صحيح وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الضرب أن يناديه ويتوسل به الى الله في قضاء حاجته قد تقول الوهابية أن هذا إنما كان في حياة

النبي صلى الله عليه وسلم فليس يدل على جواز التوسل به بعد موته فنجيب أن الدعاء هذا قد استعمله الصحابة والتابعون أيضاً بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم يدل عليه ما رواه الطبراني والبيهقي أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان رضي الله عنه زمن خلافته في حاجة ولم يكن ينظر في حاجته فشكى الرجل ذلك لعثمان ابن حنيف فقال له إئت الميضاة فتوضاً ثم إئت المسجد فصل ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك لتقضي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضي الله عنه فجاءه البواب فأخذ بيده وأدخله على عثمان فجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها فلما خرج الرجل من عنده لقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره الحديث فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم على أن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون والجواب أن يقال : هذا الحديث أعني حديث الأعمى غير محفوظ وفيه مقال مشهور ، وفي سنده أبو جعفر عيسى ابن أبي عيسى ابن ماهان الرازي النخعي قال الحافظ بن حجر في التقریب الاكثرون على ضعفه ، وقال أحمد والنسائي ليس بالقوي ، وقال أبو حاتم صدوق ، وقال ابن المديني ثقة كان يخطئ ، وقال مرة يكتب حديثه إلا أنه يخطئ ، وقال القلانسي سيء الحفظ ، وقال ابن حبان ينفرد بالمناكير عن المشاهير ، وقال أبو زرعة يهمل كثيراً ، وقال الحافظ في التقریب أيضاً في ترجمة الرازي النخعي أبو جعفر الرازي النخعي مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسى ابن أبي عيسى عبد الله بن ماهان وأصله من مرو ، وكان يتجر إلى الري صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مجموعة من كبار السابعة مات في حدود الستين انتهى

وعلى تقدير صحته وثبوتة فلا يدل على ما توهمه هذا المحدث ، وبيان هذا الحديث

يعلم انما توجهه هؤلاء الغلاة غير صحيح فقلوه : اللهم اني اسألك أي اطلب منك واتوجه اليك بنبيك محمد صرح باسمه مع ورود النهي عن ذلك تواضعاً منه ليكون التعليم من قبله ، وفي ذلك قهر السؤال الذي هو أصل الدعاء على الله تعالى الملك المتعال ، ولكنه توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بدعائه ولذا قال في آخره : اللهم فشفعه في إذ شفاعته لا تكون إلا بالدعاء لربه قطعاً ، ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى إذ التوسل بقوله بنبيك كاف في افادة هذا المعنى فقلوه : يا محمد اني توجهت بك إلى ربي ، قال الطيبي : الباء في بك للاستعانة . وقوله : اني توجهت بك بعد قوله أتوجه اليك فيه معنى قوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) فيكون خطاباً لحاضر معين في قلبه مرتبط بما توجه به عند ربه من سؤال نبيه بدعائه الذي هو عين شفاعته ، ولذلك أتى بالصيغة الماضية بعد الصيغة المضارعية المفيد كل ذلك أن هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه في دعائه فكأنه استحضره وقت ندائه انتهى

وقال شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم « والميت لا يطلب منه شيء لادعاء ولا غيره ، وكذلك حديث الاعمى فإنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعوه ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعته بنبيه فيه ، فهذا يدل على أن النبي شفع فيه وأمره أن يسأل قبول شفاعته ، وأن قوله اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، أي بدعائه وبشفاعته كما قال عمر : كنا نتوسل اليك بنبينا ، فلفظ التوسل واتوجه في الحديثين بمعنى واحد ، ثم قال : يا محمد يا رسول الله اني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي ليقضها اللهم فشفعه في . فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه . وقوله : يا محمد يا نبي الله ، هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود في القلب كما يقول المصلي : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، والانسان يفعل مثل هذا كثيراً يخاطب من يتصوره في نفسه ، وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب ، فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه

اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة ، يراد به التسبب لكونه داعياً وشافعاً مثلاً ، أو لكون الداعي محباً له ، مطيعاً لأمره ، مقتدياً به ، فيكون التسبب اما بحجة السائل له ، واتباعه له ، واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، ويراد به الاقسام به ، والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لأمته ولا من السائل ، بل بذاته أو بمجرد الاقسام به على الله ، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه ، وكذلك السؤال بالشيء قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب لكونه سبباً في حصول المطلوب ، وقد يراد به الاقسام» إلى آخر ما قال رحمه الله اذا عرفت هذا فليس في حديث الاعمي ما يدل على التوسل به ودعائه ، والاتجاء اليه بعد وفاته ، وانما فيه أنه توسل بدعائه كما كان الصحابة يتوسلون بذلك ويسألونه الاستغفار والدعاء (وأما قوله) قد تقول الوهابية أن هذا انما كان في حياة النبي الخ فنقول نعم (وقوله) فنحيب أن الدعاء هذا قد استعمله الصحابة والتابعون أيضاً بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم

فنقول : قد علمنا أنك أجبت كما أجاب من قبلك ، ولكن بجهاً قد أهرق ماؤه فهو يرعد ويهرق ولا ماء فيه

(وأما قوله) يدل عليه مارواه الطبراني والبيهقي أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان وساق الحديث كما تقدم

(وجوابه) عما أجاب به أن هذا الحديث لا يصح وفي سنده روح ابن صلاح وقد ضعفه ابن عدي ، بل قد قال بعضهم ان أمارات الوضع لائحة عليه فكيف يعارض به جميع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعمل أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وهل سمعت أحداً منهم جاء اليه بعد وفاته إلى قبره الشريف فطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله وهم حريصون على مثل هذه المثوبات لاسيما والنفوس موااة بقضاء حوائجها تتشبث بكل ما تقدر عليه ، فلو صح عند أحد منهم أدنى شيء من ذلك لرأيت أصحابه يتناوبون قبره الشريف في حوائجهم زمراً زمراً ، ومثل ذلك تتوفر الدواعي على نقله ، ولا وسع الله طريقاً لم يتسع للصحابة والتابعين وصلحاء علماء الدين ، نعم كان ابن عمر يأتي إلى القبر المكرم

ويقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت
ثم ينصرف ، وكذلك أنس وغيره ، فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة ، ثم اعلم
ان هذا الحديث مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم ، وقد قل صلى الله عليه
وسلم « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » وأما دعوى هؤلاء الغلاة أن الصحابة
استعملوا هذا الدعاء بعد وفاته ، فان هذا مما يعلم بالضرورة أنه من الكذب
على الصحابة رضي الله عنهم ، ولو كان هذا الاستعمال صحيحاً لتوفرت الهمم
والدواعي على نقله ، ولما عدل الفاروق إلى التوسل بدعاء العباس ومعاوية بيزيد
ابن الاسود الجرشي ، ولكان يمكنهم لو كان هذا الحديث صحيحاً معروفاً عندهم
أن يتوسلوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يطلبون من العباس أن يدعو لهم ، ومما
يوضح لك الامر وأن هذا الحديث غير صحيح أن رواه مختلفون في متنه وسنده
مع أنه لم يذكر في شيء من الكتب المعتمدة ، وإنما ذكره مثل البيهقي والطبراني
والترمذي وأبي نعيم ، وهؤلاء يذكرون مثل هذه الاحاديث الضعيفة أو الموضوعة
على وجه التنبيه ، وقد رأى علماء الاسلام الجهابذة النقاد ظلمات الوضع لاثمة عليه
فاعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه والله اعلم

(وأما قوله) فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى أنهم
أحياء عند ربهم يرزقون

فأقول : بل درجته فوق درجة الشهداء وأكمل حالا ، وما نال الشهداء تلك
المنزلة إلا بالايمان به ، وتصديقه ، والجهاد معه وفي سبيله فله أجره وأجرهم وأجر
من آمن به إلى يوم القيامة ولكنهم كما قال الله تعالى عند ربهم فهو أعلى منهم درجة
ووسيلة وأقربهم اليه منزلة ، وإذا كان لا يدعى ، ولا يتوسل به بعد وفاته فهم
من باب الاولى والاحرى

فصل

(قال العراقي) ومنها ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة باسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحرث رضي الله عنه الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لأمتك فانهم هلكوا فأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأخبره انهم يسقون واستدلنا هذا ايس بالرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم فان رؤياه وان كانت حقا لا تثبت بها الاحكام لا مكان اشتباه الكلام على الرأي وانما الاستدلال بفعل أحد أصحابه صلى الله عليه وسلم في اليقظة وهو بلال بن الحرث فإنه أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وناداه وطلب منه أن يستسقى لأمته ﴿ فالجواب ﴾ أن نقول قد كفانا مؤنة ايضاح عدم الاعتبار بالمنامات وأنه لا يثبت بها حكم شرعي لكن نقول هذا الحديث فيه مقال مشهور قال الحافظ في الفتح وروي ابن أبي شيبة باسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري وكان خازن عمر رضي الله عنه قال أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ف قيل له إئت عمر الحديث وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى في المنام المذكور هو بلال ابن النضر رضي الله عنه قال ابن النضر في كتابه صحيح ابن أبي شيبة في كتاب المنايا :
الصحابة وما فيه أن الجائي أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف قال الذهبي في الميزان سيف ابن عمر الضبعي الأسدي ويقال التميمي البرجمي ويقال السعدي الكوفي مصنف الفتوح والردة وغير ذلك هو كالأوقدي يروي عن هشام بن عروة وعبد الله ابن عمر وجابر الجعفي وخلق كثير من الجهولين كان اخباريا عارفا روى عنه عبادة ابن المغلس وأبو معمر القطيعي والنضر بن حماد العتكي وجماعة قال عباس عن يحيى ضعيف وروى مطين عن يحيى : فليس خير منه قال أبو داود ليس بشيء وقال أبو حاتم متروك وقال ابن حبان إتهم بالزندقة وقال ابن عدي عامة حديثه منكر البيروني سمعت جعفر بن ابان سمعت ابن نمير يقول سيف الضبعي تميمي كان جميع يقول حدثني رجل من بني تميم ، كان سيف يضع الحديث وقد اتهم

بالزندقة انتهى ملخصاً قال الخافظ في التقريب سيف بن عمر النعمي صاحب الردة
ويقال له الضبي ويقال غير ذلك الكوفي ضعيف في الحديث عمدة في الاخبار
أفحش ابن حبان القول فيه انتهى وقال الذهبي في الكشف قل ابن معين وغيره
ضعيف وقال في الخلاصة سيف بن نعيم الأسدي الكوفي صاحب الردة عن جابر
الجعفي وأبي الزبير وعنه محمد بن عيسى الطباع وأبو معمر الهزلي ضعفوه انتهى
فهذا ما قيل في حديث بلال بن الحارث الذي رواه البيهقي وابن أبي شيبة وإن
كان غير حديث بلال فغاية ما فيه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس وهذا ليس من هذا
الباب الذي نحن بصدد الكلام فيه فإن هذا قد يقع كثيراً لمن هو دون النبي
صلى الله عليه وسلم قل شيخ الاسلام « وأيضاً ما يروى أن رجلاً جاء إلى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الجذب عام الرمادة فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر
فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس فإن هذا ليس من هذا الباب ومثل هذا يقع
كثيراً لمن هو دون النبي صلى الله عليه وسلم وأعرف من هذا وقائع وكذلك
سؤال بعضهم للنبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من أمته حاجة فتقضي له فإن هذا
قد وقع كثيراً وليس مما نحن فيه وعليك أن تعلم أن إجابة النبي صلى الله عليه وسلم
أو غيره لهؤلاء السائلين ليس هو ما يقال على استحياب السائل فانه حر السائل
صلى الله عليه وسلم «إن أحدهم يسألني المسألة فأعطيها إياها فيخرج يتأبطها ناراً»
فقالوا يا رسول الله فلم تعطيهم قال «فيأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل»
وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من ضيق الحال لو لم يجابوا لاضطرب
إيمانهم كما أن السائلين في الحياة كانوا كذلك وفيهم من أجيب وأمر بالخروج من
المدينة فهذا القدر إذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر إما أنه يدل على حسن حال
السائل فلا وفرق بين هذا وهذا انتهى فتبين من كلام العلماء أن الجأني إلى قبر
النبي ليس هو بلال بن الحارث كما زعمه المعترض لانه اعتمد على أن هذا فعل
صحابي وحاشا لله من ذلك فانهم كانوا أعلم بالله وبدينه ورسوله وهم أبعد الناس عن
سلوك ما يتوهمه الغلاة فبطلت الشبهة العراقية والله الحمد والمنة

فصل

(قال العراقي) ومنها ما ذكر في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه من استسقاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا ، وفي المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني أن عمر رضي الله عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه قال يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى

(والجواب) أن نقول قد ثبت في صحيح البخاري عن أنس أن عمر استسقى بالعباس ابن عبد المطلب وقال ، اللهم انا كنا اذا أجذبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وأنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون

قال شيخ الاسلام « فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وهو أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته فيدعوا لهم ويدعون معه كالامام والمأمومين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ، ولما مات صلى الله عليه وسلم توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ، ولهذا قال الفقهاء ، يستحب الاستسقاء باهل الخير والدين ، والافضل أن يكونوا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد استسقى معاوية بين يد ابن الاسود الجرشي وقال ، اللهم أنا نستسقي بيزيد بن الاسود يايزيد ارفع يديك فرفع يديه ودعا ودعا الناس حتى أمطروا ، وذهب الناس ولم يذهب أحد من الصحابة الى قبر نبي ولا غيره يستسقي عنده ولا به انتهى

فهذا هو التوسل المشروع وهذا هو المنقول عن الصحابة لا كما يافقه هؤلاء الغلاة من الاحاديث الموضوعة والمعلولة التي لا تثبت بها الاحكام الشرعية وأما ما ذكره عن القسطلاني في المواهب اللدنية ، فلا شك أنه من الموضوعات لانه لم يذكره بسند يعتمد على مثله ، وفي المواهب اللدنية من الموضوعات والاحاديث المعلولة والأقوال المردودة ما لا يحصى فلا يعتمد على مثل هذا النقل والله أعلم

فصل

ثم قال العراقي الملحد : لا فرق في التوسل بين الأنبياء وغيرهم من الصالحاء بين كونهم أحياء أو أمواتا لانهم في كلا الحالتين لا يخلقون شيئا وليس لهم تأثير في شيء وإنما الخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له في كل ذلك

والجواب : أن تقول فيه كلام من وجوه (الاول) أنه يعتقد كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه الا الله جل جلاله ويفعلون ما لا يفعله الا الله عز وجل حتى نطقت السننهم بما انطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالاً وبصرحون باسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء ،

(والثاني) أن مجرد عدم اعتقاد التأثير والخلق والايجاد والاعدام ، والنفع والضرر إلا لله لا ييريء من الشرك ، فان المشركين الذين بعث الله الرسول اليهم أيضاً ، كانوا مقرين بان الله هو الخالق الرازق ، بل لا بد فيه من اخلاص توحيدهِ وأفراده ، واخلاص التوحيد لا يتم الا بان يكون الدعاء كله لله ، والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ، ومنه لا بغيره ولا من غيره وكذلك النذر والذبح والسجدة كلها تكون لله

(والثالث) أن مجرد كون الأحياء والأموات شركاء في أنهم لا يخلقون شيئا وليس لهم تأثير في شيء ، لا يقتضي أن يكون الاحياء والأموات متساويين في جميع الأحكام حتى يلزم من جواز التوسل بالأحياء جواز التوسل بالأموات وكيف وليس معنى التوسل بالاحياء الا التوسل بدعائهم ، وهو ثابت بالاحاديث الصحيحة ، وأما التوسل بالاموات فلم يثبت بحديث صحيح ولا حسن انتهى من كلام بعض المحققين ، اذا عرفت ما تقدم فمن المعلوم أن الكفار الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلهم واستحل دماءهم وأموالهم كانوا مقرين أن الله هو الخالق الرازق المحي المميت النافع الضار الذي يدبر جميع الامور

ويعتقدون أن الله هو الفاعل لهذه الاشياء كلها ، وأنه لا مشارك له في إيجاد شيء ، واعدامه ، وأنهم لا يخلقون شيئاً وأنه ليس لهم تأثير في شيء ، وإنما الخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له ، وإنما كانوا يدعون الانبياء والملائكة والاولياء والصالحين ويتجئون اليهم ، ويستغيثون بهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم إلى الله زلفى وليشفعوا لهم عنده ، لأنهم أقرب إلى الله وارفح درجة ومنزلة ، ولم يدخلهم ذلك في الاسلام وقتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون الدين كله لله ، والدعاء كله بالله ، والذبح والنذر لله ، والاستغاثة والاستعانة والاتئجا اليه لا لغيره ولا من غيره ، فالأقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يدخل في الاسلام بل لا بد معه من توحيد الله بأفعال العبد الصادرة منه من أنواع العبادة المتقدم ذكرها ، وهذا هو الذي قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار العرب ﴿ وأما قوله ﴾ وأما من يعتقد التأثير للأحياء دون الأموات فلهم أن يفرقوا

بين التوسل بهم والتوسل بالأموات

﴿ فاقول ﴾ : لا يجوز لأحد أن يعتقد أن الأحياء يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله فإن اعتقاد ذلك شرك وإذا كان الأحياء لا يقدرون على شيء من ذلك فالأموات بطريق الاولى وإنما يجوز من الحي طلب الدعاء منه والاستغفار والتوسل بدعائه وشفاعته ، إذ هو قادر على ذلك ، وأما الميت فقد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن استغاث به أو دعاءه أو سألته أن يشفع له ، كما قال صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » الحديث وهذا يدل على انقطاع الحس والحركة من الميت ، وإن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل ذلك على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلاً عن غيره ، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره ، وأما الأحياء انقادرون على الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية ، في قتال أو ادراك عدو أو دفع سبع صائل وغيره فهذا لا مانع منه ، وهذا ليس في قدرة الأموات (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) ومن سوى بينهما فقد جمع بين ما فرق الله بينه ، وكفى بذلك عتواً وعناداً (وأما قوله) أما نحن فنقول إن الله هو الخالق لكل شيء (والله خلقكم وما تعملون)

﴿فأقول﴾ كون الله تعالى هو الخالق لكل شيء ، وإن الله خلق العبد وعمله كما قل تعالى (والله خلقكم وما تعملون) مما لا مرية فيه وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة وإنما ينفي الفعل حقيقة عن فاعله ومن قام به القدرية المجبرة الذين يزعمون أن العبد مجبور وأنه لا اختيار له ولا مشيئة كما هو مبسوط في موضعه فإذا زعمتم أن دعاء الأموات والأستغاثة بهم والالتجاء إليهم والتعلق عليهم إنما هو باعتبار التسبب والكسب العادي وإنما المستغاث به في الحقيقة هو الله فاسناد الغوث الى الله تعالى اسناد حقيقي باعتبار الخالق والايجاد والى الانبياء والصالحين اسناد مجازي ، فإذا كن ذلك كذلك لزم أن يكون اسناد أفعال العباد كلها الى الله تعالى حقيقةً فإن اعتماد أهل السنة والجماعة ان الخالق لأفعال العباد هو الله تعالى وهذا يقتضي أن يتصف الله تعالى حقيقة بالايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصلة الرحم وغير ذلك من الأعمال الحسنة ، وكذلك يتصف حقيقة بالأعمال السيئة ، من الكفر والفسوق والفجور والزنا والكذب والسرقة ، والعقوق وقتل النفس وأكل الربا وغيرها ، فانه تعالى هو الخالق لجميع الأفعال حسنها وسيئها والتزام هذا قول من لا عقل له ولا دين ، فانه يستلزم انصاف الله تعالى بالنقص وصفات الحدوث واجتماع الاوصاف المتضادة بل المتناقضة ، وأيضاً فانه لو كان مناط الاسناد المجازي اعتبار التسبب والكسب كما زعمتم ، لزم أن لا يكون الانسان حقيقة مؤمناً ولا كافراً ولا باراً ولا فاجراً ولا كاذباً ، فيبطل الجزاء والحساب ، وتلغو الشرائع والجنة والنار ، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين ، واسناد أفعال العبد اليه حقيقة من اضافة الفعل إلى فاعله لا مجازاً لا ينازع فيه من عرف شيئاً من اللغة فالعبد يفعل حقيقة ويأكل حقيقة ويشرب حقيقة ويهب حقيقة وينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً حقيقة ، والله سبحانه خلق العبد وما يعمل

﴿وأما قوله﴾ قالوهابية التي تتظاهر بالذب عن التوحيد ، ونجوز التوسل بالاحياء قد دخل الشرك في توحيدها من حيث لا تدري لكونها اعتقدت تأثير الاحياء ، مع أنه لا تأثير في الحقيقة إلا الله تعالى

﴿ فاقول ﴾ هذا قول من لا يعقل ما يقول فان الوهابية ما أجازت من التوسل بالاحياء ، إلا ما فعله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، اللهم انا كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فتوسلوا بدعاء العباس ، كما كانوا يتوسلون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فان كان هذا شركاً دخل عليهم ، فقد دخل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان لم يكن شركاً فالشرك هو العدول إلى من قد انقطع عمله ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فكيف بمن دعاه واستغاث به

وأما التوسل بالاحياء فيما يقدرون عليه من الاسباب العادية فهذا مما لا خلاف في جوازه بين العلماء والله أعلم

﴿ وأما قوله ﴾ والتوسل والتشفع والاستغاثة بمآل واحد فانما المقصود منها التبرك بذكر أحباء الله الذين قد يرحم الله العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتاً فالموحد الحقيقي هو الله تعالى ، وأما هؤلاء الاسباب عادية لا تأثير لهم في ذلك ﴿ فاقول ﴾ التوسل والتشفع الشرعي هو التوسل والتشفع بدعائهم في حال حياتهم وطلبهم من الله تعالى كما تقدم بيانه ، وأما بالمعنى الاصطلاحي المحدث وهو دعاؤهم والتبرك بهم والاتجاه اليهم وتعليق الآمال بفيض نوالهم فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فلا فرق بينه وبين الاستغاثة بهم ، بهذا الاعتبار وهذا هو الشرك سواء كان المدعو حياً أو ميتاً ، وسواء اعتقد التأثير أو لم يعتقد كما تقدم بيانه بأدلتها فيما مضى

فصل

قال العراقي المحدث : وأما قول العامي من المسلمين يا عبد القادر أدر كني ويا بدوي المدد مثلاً ، فيحمل على المجاز العقلي كما يحمل عليه قول القائل ، هذا الطعام أشبعني وهذا الماء أرواني ، وهذا الدواء شفاني ، فان الطعام لا يشبع ، والماء لا يروي ، والدواء لا يشفي ، حقيقة بل المشبع والمروي والشافى الحقيقي هو الله تعالى وحده وإنما تلك أسباب عادية ينسب لها الفعل لما يرى من حصوله بعدها في الظاهر

فالجواب { أن يقال : قد تقدم في كلام شيخ الاسلام قوله « فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول : ياسيدي فلان انصرني ، أو أغثنني ، أو أرزقني ، أو أنا في حسبك ونحو هذه الاقوال أن هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل » إلى آخر كلامه وتقدم قوله : « وأيضاً فإن من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم وبسألهم كفر اجماعاً » وقال صنع الله الحماي : فمن اعتقد أن لغير الله من نبي ، أو ولي ، أو روح ، أو غير ذلك في كشف كربته ، وقضاء حاجته تأثيراً فقد وقع في وادي جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير ، وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن تكون أولياء الله بهذه المثابة فهذا ظن أهل الاوثان كذا أخبر الرحمن (هم شفعاؤنا عند الله * مانعبدكم إلا ليقرّبونا الى الله زلفى *) .
 فنأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تنفعني شفاعتهم شيئاً ولا يتقذون)
 فان ذكر من ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله اذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره » انتهى
 وقال الامام ابن عقيل في فنونه « لما صعبت التكليف على الجهال والاطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وتخليقها ، وطلب الخواص من الموتى ، ودس الرقاع في القبور فيها يامولاي افعل بي كذا وكذا » انتهى

(وقوله) فيحمل على المجاز العقلي

فيقال لهذا الملحد : الجواب من وجوه (الاول) أن هذه الالفاظ دالة دلالة

مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله تعالى

(والثاني) لو سلم هذا الحمل لاستحال الارتداد وانسد باب الردة الذي يعقده

الفقهاء في كل مصنف وكتاب من كتب أهل المذاهب الاربعة وغيرها ، فان

المسلم الموحدة متى صدر منه قول أو فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز

والاسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز

(والثالث) أنه يلزم على هذا أن لا يكون المشركون الذين نطق كتاب الله بشركهم مشركين فانهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق ، الضار النافع وأن الخير والشر بيده ، لكن كانوا يعبدون الاصنام لتقربهم إلى الله زلفى ، فالاعتقاد المذكور قرينة على أن المراد بالعبادة ليس معناه الحقيقي ، بل المراد هو المعنى المجازي أي التكريم مثلاً فما هو جوابكم فهو جوابنا

(والرابع) أن هؤلاء الذين أولتم عنهم في تلك الالفاظ الدالة على تأثير غير الله فما يفعلون في أعمالهم الشركية من دعاء غير الله ، والاستغاثة ، والنذر ، والذبح ، فإن الشرك لا يتوقف على اعتقاد تأثير غير الله ، بل اذا صدر من أحد عبادة من العبادات لغير الله صار مشركاً سواء اعتقد ذلك الغير مؤثراً أم لا

وقد تقدم الكلام على الاسباب العادية وما يقال فيها فيما مضى
(واما قوله) ومعظم الامة أجمعوا على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم وبغيره من الصحابة والصالحين ، فقد صدر من كثير من الصحابة والعلماء من السلف والخلف

(فأقول) أما اجماعهم على جواز التوسل بهم التوسل الشرعي بدعائهم وشفاعتهم في حال حياتهم فهذا حق ، وأما بعد وفاتهم فعاذ الله وقد تقدم بيانه ، وأما بالتوسل الشركي فهم مجمعون على كفر فاعله بعد قيام الحجة عليه لا ينكره إلا مكابر (وقوله) واجتماع أكثرهم على الحرام والاشراك لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح وقيل المتواتر « لا تجمع أمتي على ضلالة » ولقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة

فأقول : المقصود بالامة في الحديث هم أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية المنصرون إلى قيام الساعة ، وهم المعينون بقوله في الحديث الصحيح « وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » قيل يا رسول الله من هم ؟ قال « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » فمن كن على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الامة الذين اجماعهم حجة وهم الفرقة الناجية ، قليلاً كانوا أو كثيراً بخلاف عباد القبور المتخذين الانبياء

والاولياء ، والصالحين ولائج بدعونهم مع الله ، ويشركونهم في عبادته ، ويستغيثون بهم في المهمات والمهمات ، ويطلبون منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، واغاثة الالهامات ، فهؤلاء ليسوا من أمة الاجابة الذين استجابوا لله والرسول ، بل هؤلاء مجتمعون على خلاف الكتاب والسنة مخانفون لما عليه الامة من أهل السنة والجماعة مجتمعون على الضلالة

وقد قال الفضيل ابن عياض مامعناه : الزم طرق الهدى ، ولا يغرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ، ولا تغتر بكثرة الهالكين . وقال بعض السلف : اذا وافقت الشريعة ، ولا حظت الحقيقة ، فلا تبال وإن خالف رأيك جميع الخليفة .

قال الخافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في اغاثة الالهامان « فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ، ولا من فقدته اذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الاول (الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين وحسن أولئك رفيقا) منفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق طلبه » إلى أن قال وما أحسن ما قال أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل في كتاب الحوادث والبدع حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد بلزوم الحق واتباعه ، وإن كان المتمسك به قليلا ، والمخالف له كثيرا لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عبد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم قال عمر وابن ميمون الاودي صحبت معاذاً باليمن فما فارقت حتى واريته في التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أفضه الناس عبد الله بن مسعود فسمعتة يقول : عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ، ثم سمعتة يوما من الايام وهو يقول : سيلي عليكم ولأه يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة ، وصلوا معهم فانها لكم نافلة ، فقلت : يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونا ، قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرني بالجماعة وتحضي عليها ، ثم تقول : صل الصلاة وحدك وهي الفريضة ، وصل مع الجماعة وهي النافلة . قال يا عمر وابن ميمون : قد كنت أظنك من أفضه أهل هذه القرية تدري ما الجماعة ، قلت : لا . قال : إن جمهور

الناس الذين فارقوا الجماعة ، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك .
وقال نعيم بن حماد : إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل
أن تفسد ، وإن كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ . وعن الحسن قل :
السنة والذي لا إله الا هو بين الغالي والجاني فاصبروا عليها رحمكم الله ، فإن أهل
السنة كانوا أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الاثراف في أترافهم ،
ولا مع أهل البدع ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، فكذلك انشاء الله
فكونوا ، وكان محمد بن أسلم الطوسي الامام المتفق على امامته من اتبع الناس
للسنة في زمانه حتى قال : ما بلغني سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عملت
بها ، ولقد حرصت أن أطوف بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك ، وسئل بعض
أهل العلم في زمانه عن السواد الاعظم الذي جاء فيهم الحديث « اذا اختلف
الناس فعليكم بالسواد الاعظم » من السواد الاعظم . قال محمد بن أسلم الطوسي :
هو السواد الاعظم انتهى . وكلام العلماء في الجماعة الذين هم السواد الاعظم كثير
جداً ، وذكروا أنهم هم الذين كانوا على ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ولو ذهبنا نذكر أقوالهم لخرجنا عن المقصود بالاختصار . والمقصود
أن الامة التي لا تجتمع على ضلالة هم أهل السنة والجماعة وإن قلوا ، وأن
الاكثرين هم الذين قال الله فيهم (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن
سبيل الله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)

فصل

قال العراقي : ومن أدلة جواز الاستغاثة ما رواه البخاري في صحيحه من
حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في قصة هاجر أم اسماعيل عليه
السلام أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى في طلب الماء فسمعت صوتاً
ولا ترى شخصاً فقالت : أغث إن كان عندك غوث . فلو كانت الاستغاثة بغير الله
شر كما طلبت الغوث ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأصحابه ولم ينكره

ولما نقله الصحابة من بعده وذكره المحدثون

والجواب في ان نقول الكلام فيمن يستغاث به عند الأمور التي لا يقدر عليها الا الله أو سؤال ما لا يعطيه الا الله ولا يمنعه الا الله وأما ما عدا ذلك مما يجري فيه التعاون والتعاقد بين الناس واستغاثة بعضهم ببعض في الأمور العادية فهذا لا نمنع منه ونقول به وليس الكلام فيه ونفط الاستغاثة لفظ مشترك بين ما يجوز وبين ما لا يجوز فالما لا يجوز فما قدمنا ذكره مما هو في مقدور العبد والذي لا يجوز وفاعله يكون مشركا هو طلبها من الاموات والغائبين من الأمور التي لا يقدر عليها الا الله كما نطقت بذلك الآيات والاحاديث النبوية وقصة هاجر قد أوردتها البخاري في باب قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا من كتاب أحاديث الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمقصود من القصة أن هاجر عليها السلام لم تطلب إلا من حاضر محسوس وليس ما طلبته مما اختص طلبه بالله سبحانه فانها طلبت من المصوت ما يسد جوعتها ويروي غلها كما يقول المنقطع في الطريق العادم الزاد والماء اذا مر عليه أحد وأحسن به اغتنى بما عندك من ماء وطعام واعطني مما تفضل الله به عليك من الانعام أفيقال لهذا إنه طلب ما لا يقدر عليه الا الله والتجأ في شدته الى من سواه فقاتل الله أهل الكفر والضلال كيف لعب الشيطان به قولهم حتى أوردتهم المهالك انتهى باختصار من قول بعض أهل التحقيق من أهل العلم

فصل

قال العراقي : ومنها ما رواه البخاري في حديث الشفاعة « أن الخلق ينماهم في هول القيامة استغاثوا بآدم ثم بنوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى وكلهم يعتذرون ويقول عيسى اذهبوا الى محمد فيأتون اليه صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها الحديث فلو كانت الاستغاثة بالخلق ممنوعة لما ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم وأجاب المانعون أن هذا يكون يوم القيامة حيث يكون للنبي صلى الله عليه وسلم قدرة ورد عليهم أنهم في حياتهم الدنيوية لا قدرة لهم إلا بنوع التسبب فكذلك بعد الموت على أنهم أحياء في قبورهم يتسببون

(والجواب) أن نقول قال بعض المحققين من أهل العلم في جوابه « إن استغاثة الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم وقبلة آدم ثم بنوح الى آخر حديث الشفاعة فمذه شفاعته بالدعاء والاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث مستحسنة عقلاً وشرعاً ومن ذلك الرفقة يستغيث بعضهم بعضاً أي في مهماتهم التي يقدرون عليها وكذلك ما طلب الناس منه وهي الشفاعة التي هي الدعاء وكذلك يقول سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث فأجىء فاسجد وأنه يلهمه الله من اثناء الدعاء شيئاً لم يلهمه غيره صلى الله عليه وسلم فعند ذلك يأذن الله بالشفاعة ويقول له كما ورد في الحديث يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وهذا ظاهر جداً وأما ما أورده على الجواب من أن للمستغاث بهم قدرة كسبية وتسبباً فتنسب الاغاثة اليهم بهذا المعنى سواء كانوا أحياء أم أمواتاً وسواء كانت الاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث أم لا مدفوع بان كون العبد له قدرة كسبية لا يخرج بها عن مشيئة رب البرية لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله ولا يستعان به ولا يتوكل عليه ولا ياجأ في ذلك اليه فلا يقال لاحد حي أو ميت قريب أو بعيد ارزقني أو أمتني أو أحي ميتي أو اشف مرضي الى غير ذلك مما هو من الافعال الخاصة بالواحد الاحد الفرد الصمد بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت العادة بحصولها ممن أهله الله لها أعني في حمل مناعي أو غير ذلك والقرآن ناطق بمحصر الدعاء عن كل أحد لا من الاحياء ولا من الاموات سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها فان الأمور الغير المقدورة للعباد لا تطلب الا من خالق القدر ومنشيء البشر كيف والدعاء عبادة وهي مختصة به سبحانه بقي ما أدلى به العراقي واضرا به علينا من حياة الانبياء ليتوصلوا به الى ترويح مدعائهم من استحسان دعائهم وطلب إغاثتهم وأولوه بأن مرادهم من ذلك الاستشفاع طلب أن يدعوا لهم فنقول هذا حق ثابت فنعتقد حياتهم صلى الله تعالى عليهم وسلم حياة برزخية فوق حياة الشهداء وأن نبينا صلى الله عليه وسلم قد جعل عند قبره الشريف ملك يبلغه سلام المسلمين الذين عند ضريحه المكرم والنائين عنه وأن الانبياء جميعهم طربون لا تأكل الارض أجسامهم الشريفة ولكن انعم

أن يطلب منهم شيء، فلا يسألوا شيئاً بعد وفاتهم سواء كان بلفظ الاستغانة أو توجه أو استشفاع أو غير ذلك فجميع ذلك من وظائف الألوهية فلا يليق جعلها لمن يتصف بالعبودية من البرية فإن ادعى أحد أن حياتهم صلى الله تعالى عليهم وسلم إذا ثبتت الرواية بها حقيقة كما هو الأصل في حمل الالفاظ على حقائقها ولم تثبت قرينة على التجوز بها فتبقى على حقيقة أنها أجبنه قائلين لاشك أنه لا يراد بهذه الحياة الحقيقية ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك من وظائف الحياة وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها وبحصول الانتقال بالموت الحال به صلى الله عليه وسلم - وأرواحنا له الغداء - كما قال تعالى (انك ميت وانهم ميتون) وقال عز من قائل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل) الآية وحلول الموت به صلى الله عليه وسلم أمر لا يمكن انكاره - الى أن قال - ثبتت الحياة الاخرى البرزخية وهي متفاوتة فحياة الشهداء فوق حياة المؤمنين وحياة الانبياء أعلى من حياة الشهداء فنقتصر على ما يثبت لها في النصوص القطعية من الاحوال المستحسنة المرضية « الى آخر كلامه وقد تقدم الكلام علي قوله فكذلك بعد الموت علي أنهم أحياء في قبورهم يتسببون وان الميت قد انقطع عمله فلا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً فكيف بمن استغاث به وهذا ظاهر والله الحمد والمنة

فصل

قال العراقي : ومنها ما رواه الطبراني عن زيد بن عتبة بن غزوان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني فإن لله عباداً لا يراهم » لا يقال ان المقصود بعباد الله هم الملائكة أو مسلمو الجن أو رجال الغيب ، وهؤلاء كلهم أحياء فلا يستدل بالحديث على الاستغاث بالاموات والكلام فيهم ، لانا نقول لا صراحة في الحديث بأن المقصود بعباد الله هم من ذكر لا غير ، ولو سلمنا فالحديث حجة

على الوهابية من جهة أخرى، وهي نداء الغائب الذي لم يجزوه كنداء الميت ولا يفيد الوهابية طعنهم ببعض رواة هذا الحديث فانه قد روي بطرق شتى يعضد بعضها بعضاً فقد رواه الخاكم في صحيحه وأبو عوانة والبزار بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ أنه قال « إذا انفلتت دابة أحدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا » وقد ذكر هذا الحديث شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه الكامن الطيب عن أبي عوانة في صحيحه وابن القيم في الكامن الطيب له والنووي في الاذكار والجزري في الحصن الحصين وغيرهم ممن لا يحصى من المحدثين وهذا اللفظ رواية ابن مسعود حرفوعاً ورواية ابن مسعود موقوفاً عليه : فليناد أعينوني يا عباد الله

(والجواب) ان نقول كل أسانيد هذه الروايات لا تخلو من مقال وعلى تقدير صحتها فليس فيه الا نداء الاحياء والطلب منهم ما يقدر هؤلاء الاحياء عليه وذلك مما لا يجحده أحد ، وأين هذا من الاستغاثة باصحاب القبور الأولياء والصالحين وكون المراد بعباد الله رجال الغيب كما يزعم بعض المتصوفة فهو مردود بل هو من الخرافات ومثله زعم وجود الاوتاد والاقطاب والاربعة وما أشبه ذلك (وأما قوله) ولو سلمنا فالحديث حجة على الوهابية من جهة أخرى وهي

نداء الغائب الذي لم يجزوه كنداء الميت

(فأقول) هذا مردود أيضاً بما سبق بان هؤلاء العباد ليسوا بغائبين وعدم رؤيتهم لا يستلزم غيبتهم فانا لانرى الحفظة ومع ذلك فهم حاضرون ولا نرى الجن ومع ذلك فهم حاضرون وكذلك الشياطين والهواء ونحو ذلك فان عمدة الرؤية ليس هو الوجود فقط

قال العراقي : ونقل عن عبد الله بن أحمد حنبل قال سمعت أبي يقول حججت خمس حجج فضلت في إحداهن الطريق وكنت ماشياً فجعلت أقول يا عباد الله دلونا على الطريق ، فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق فقل للوهابية التي تدعي نسبتها إلى الامام أحمد جاز له أن يطلب الدلالة على الطريق من غير الله وهو غائب من غير أن يراه

والجواب أن نقول هكذا ذكره هذا العراقي ولم يعزه الى كتاب وقد رأيته

في الآداب الكبرى لابن مفلح عن ابن الامام أحمد (وجوابه) ماتقدم وهو أن هؤلاء العباد ليسوا بغائبين وعدم رؤيتهم لا يستلزم غيبتهم كما تقدم وهذا لا يفيد شيئاً غير ماتقدم ايضاحه

ثم قال العراقي ومن شبه الوهابية في تكفير من استغاث ونادى غائباً من نبي أو ولي قد مات ان الذين ينادون نبيّاً أو وليّاً مستغيثين به قد يكون نداؤهم في أماكن متعددة في زمان واحد ويكون عددهم كثيراً جداً مما يبلغ مئات ألوف وهم يعتقدون أن المستغاث به يحضر حين ندائه في ذلك الآن وهذا بصرف النظر عن كونه كفراً وشركاً لما فيه من جعل ذلك المنادى موصوفاً بما هو من صفات الرب عز وجل ممتنع عقلاً فمن البديهي أن الجسم الواحد لا يكون في زمان واحد موجوداً في أماكن متعددة

قال والجواب أنه ليس من معتقد المسلمين حضور المنادى بشخصه حين ندائه في الأماكن المتعددة فإن ذلك المعتقد كفر وذلك الحضور محال وإنما المعتقد حضور البركة بخلق الله تعالى إياها في تلك الأماكن المتعددة لطفاً منه ورحمة بالمستغيث لكرامة المستغاث به وليس في ذلك محال فإن رحمة الله تعالى واسعة ليس لها حد

(والجواب) أن يقال (أولاً) نعم ليس هذا من معتقد المسلمين وحاشا لله بل هو من معتقد من أشرك بالله غيره في عبادته ويقال (ثانياً) دعوى حضور البركة بخلق الله تعالى إياها في تلك الأماكن المتعددة دعوى مجردة عن الدلائل وكيف يكون ذلك وقد قال تعالى (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم) وقال تعالى (فزيلنا بينهم وقال شركائهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين) وهذا كما هو بين في القرآن فهو بعيد في العقل فإذا كان المدعى في حال حياته واجتماع حواسه وحر كانه لا يسمع من دعاه على البعد ولو مسيرة فرسخ فكيف يجوز في عقل من له أدنى مسكة من عقل أنه إذا مات وفارقت روحه جسده وذهبت حواسه وحركته بالكلية وصار رهيئاً في الثرى جسداً بلا روح انه والحالة هذه يسمع من البعيد ولو مسيرة

شهر أو أكثر ويجيب فكل عقل صحيح يحيل ذلك ويعلم أنه من أمحل المحال لكن هؤلاء المشركون فسدت عقولهم وفطرتهم وزين لهم الشيطان ما يعتقدون من الكذب والمحال والشرك والضلال حتى آل الأمر بهم إلى أن زعموا في معتقدهم حضور البركة بخلق الله تعالى إياها في تلك الأماكن المتعددة لطفاً منه ورحة بالمستغيث به لكونه أشرك في عبادة الله غيره ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (فان قيل) ان هذا الذي أردناه من هؤلاء الاموات يحصل لنا من ارواحهم قيل وهذا متنف في العقل كما نفاه القرآن وذلك ان ارواح الانبياء والصالحين في أعلى عليين فيمتنع عقلاً وشرعاً وفطرة وقدرا أن الارواح التي فوق السموات السبع وفي أعلى عليين انها تسمع دعاء أهل الارض وتنفعهم وتتصرف فيهم هذا محال قطعاً وضلال مبين فان الله قال (وهم عن دعائهم غافلون) فكل من دعي من الاموات والغائبين والانبياء والصالحين فمن دونهم غافل عن دعاء داعيه بنصوص القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فسبحان من أنزل كتابه روحاً وهدى ونوراً وبرهاناً يهتدي به من هداه الله إلى صراطه المستقيم

فصل

ثم قال العراقي : ثم ان الوهاية لما رمت المسلمين بهذا المعتقد الذين هم براء منه ساقط على بطلانه ما ذكره الفقهاء في شرائط النكاح وذلك انهم قالوا لو تزوج رجل امرأة بشهادة الله ورسوله لا ينعقد النكاح وقالت لو كان النبي يعلم نداء المستغيث به اذا ناداه من بعيد لكان علام الغيوب ولصح انعقاد النكاح الذي قال الفقهاء ببطالانه . ثم لم يأت بجواب ينقض على الوهاية الا عدم حضور المستغاث عند نداءه وانه لا يعتقد هو والمشركون الداعون غير الله علم الغيب لأحد ثم اعتذر عن عدم انعقاد النكاح انه صيانة لحقوق الزوجية وبما ذكر بعده مما لا ينقض على الوهاية مدعاهم لكن تجارى به كفره وعناده إلى أن قال وحينئذ لا يمكن لأحد الخصمين ان يثبت دعواه بشهادة الله ورسوله إذ نحن

لو فرضنا ان الله — تعالى عما يقول الظالمون — جسم ينزل الى السماء الدنيا كما زعمت الوهابية نقول ماجرت عادته تعالى أن ينزل الى غرفة الحاكم فيؤدي شهادته أمامه حسماً لنزاع المتخاصمين فتعالى الله وتقدس عن كفر هذا العراقي والحاده وجرأته على الله وعلى شرعه كيف تجارى به كفره الى هذه المقالة والوهابية لا يقولون ان الله تعالى جسم كما تقدم بيانه بل يثبتون لله تعالى ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ولا يشبهون الله بخلقه فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله كفرًا

ثم قال العراقي الملمحد قد علمت أن الوهابية كفرت من نادى غير الله تعالى بكقوله يا رسول الله ونحو ذلك ونحن اذا أمعنا النظر رأينا أن كفر هذا الذي يقول يا رسول الله مثلاً لا يخلو إما أن يكون لأنه يعتقد أن من ناداه يحضر بنفسه حين نداءه ويسمع نداءه ويقضي بنفسه له حاجة وينجيه من الورطة التي ناداه من أجلها أو يكون لأنه يعتقد ان الذي يناديه يسمع نداءه باسماع الله اياه بمحض قدرته وان الله تعالى لا غيره يقضي حاجته ببركة ذلك المنادي وأن الله تعالى ينجيه من الورطة التي هو فيها بجاء ذلك النبي وعلى كلا التقديرين ففيه من السقط ما فيه أما الأول فلان من اعتقد أن أحداً غير الله تعالى يقضي الحاجة وينجي من الورطة فقد كفر سواء نادى ذلك الاحد أو لم يناده فلا وجه لتخصيص كفره بحالة النداء وأنت تعلم أن لا أحد من المسلمين يعتقد هذا المعتقد وأما الثاني فلان من كان قلبه عريقاً بالايمان معتقداً أن الذي يقضي الحوائج وينجي من المهالك إنما هو الله تعالى لا غيره لا يجوز أن يكون كافراً بمجرد نداء غائب معتقداً أن الله سبحانه يخلق فيه السماع

(والجواب) أن نقول اذا نادى المشرك من يدعو من دون الله في قضاء حاجة من حوائجه وينجيه من الورطة التي ناداه من أجلها فقد أشرك مع الله في عبادته التي هو مختص بها سواء اعتقد حضوره حين نداءه وسماعه له أو لم يعتقد أو اعتقد أنه يقضي حاجته بنفسه أو لم يعتقد فمن فعل هذا فهو كافر مشرك لأن

الله تعالى قد نفي سماع من يدعونه ونفي استجابته لهم وأخبر أن من يدعونه غافلاً عن دعائهم قال تعالى (أن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقال تعالى (وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) والكفار الجاهل يعلمون أن الله هو الخالق وأن الأمور كلها بيده وأنه النافع الضار وأنه هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ولكنهم ما أرادوا إلا الجاه والشفاعة ممن يدعونه فما يقوله هؤلاء هو كما يقوله من قبلهم من الكافرين سواء يسواء

وأما الجواب عن الثاني فلأن من كان قلبه عريقاً بالآيمان لا يدعو مع الله أحداً بل يخلص الدعاء لله وحده ولا يشرك معه أحداً سواء (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) فإن من دعا مع الله أحداً من خلقه وأشركه معه في عبادته لا ينفعه اعتقاده أن الله هو القادر على خلق الأشياء وهو يشرك معه غيره (فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة)

فصل

قال الملحد ومن الجهل ما قاله الوهابية هنا من أن الشرع يحكم بالظاهر والظاهر من نداء أحد غير الله أنه يعتقد في ذلك الغير علماً محيطاً بالغيب وقدرة بالغة على قضاء الحوائج وتصرفاً تاماً في الكون مما هو مختص بالباري عز وجل ويكون اعتقاده في كفره كفرأً وشركاً

قال : والجواب أن الظاهر من حال من نادى غير الله تعالى يدل على أنه نادى غير الله فقط لأنه يعتقد في ذلك الغير قدرة ، وقضاء للحوائج وغير ذلك مما ذكرناه الوهابية ، والاعتماد أمر باطني قد يدل بعض الظاهر عليه لكن النداء ليس من قبيلها ، فقل للوهابية التي تجعل ظاهر النداء دالاً على الشرك والكفر ما لكم لا تنظرون إلى ما للمسلم الذي تكفرونه من ظاهر الصلاة والصوم والزكاة وغير ذلك من أركان الدين ، فتعدونه دالاً على إيمانه ، وحسن اعتقاده ، ومن

العجيب أن ذلك المسلم الذي ينادي بصريح بعدم اعتقاده القدرة وماشا كلها لمن ناداه وأنتم مع ذلك تجعلون ظاهر ندائه دالا على ذلك الاعتقاد الذي نفاه عن نفسه ، فليت شعري أي حكم لاستدلالكم بظاهر نداء الرجل على سوء اعتقاده في مقابلة تصريحه لكم بحسن مايعتقده

﴿والجواب﴾ أن نقول سبحانه من طبع على قلوب أعدائه حتى رأوا حسنا ما ليس بالحسن فإن من نادى غير الله ودعاه والتجأ اليه واستغاث به لا يدعوه ولا يلجأ اليه ، ويستغيث به الا لما يعتقد أنه ينفعه ويسمعه دعاءه ويغيثه ، لان الاستغاثة طلب الغوث ، وهو ازالة الشدة ، واذا طلب العبد هذا من غير الله فقد أشرك بالله في عبادته غيره ، لان الله هو المختص بهذه الاشياء سواء اعتقد التأثير منه أو لم يعتقد ولا ينفعه ذلك مع وجود الشرك ، والنداء المجرد من غير اعتقاد لا يتصور وقوعه إلا من مجذوب العقل الذي ينطق بما لا يعقل

﴿وأما قوله﴾ (ما لكم لا تنظرون الى ما لله سلم الذي تكفرونه من ظاهر الصلاة والصوم والزكاة الى آخره)

﴿ فنقول﴾ اذا أشرك بالله في عبادته غيره لا تنفعه الصلاة والصوم والزكاة وغيرها من الاعمال الظاهرة ، ولا تدل على حسن باطنه وهو عري من التقوى واخلاص الدين لله وحده ، قال الله تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءا منثورا) يوضحه أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويصومون ويزكون ويجاهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن ظاهر الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والجهاد دالا على حسن اعتقادهم ، بل كانوا في الدرك الأسفل من النار تحت عبدة الأوثان والصلبان

وأما جعلنا ظاهر ندائه دالا على ذلك الاعتقاد ، وان نفاه عن نفسه فلا أنه لا يكون في العقل أن من دعا غير الله لا يعتقد أنه لا يرجو بدعائه طلب نفع أو دفع ضرر أو قضاء حاجة ممن يدعوه ، فاذا اعتقد ذلك فيمن يدعوه فلا ينفعه ، أن ذلك انما يكون ببركة من يدعوه لجأه عند الله وأن الله هو الفاعل لذلك

خلقاً وإيجاداً مع وجود السبب الداعي إلى الشرك المنافي للتوحيد لأنه لا فرق بين الدعاء والنداء ، فمن دعا أو نادى غير الله فقد أشرك ذلك المنادى المدعو مع الله في عبادته لأن المشركين الأولين لم يريدوا إلا الشفاعة بحاج من يدعوهم ويركته ﴿ قال العراقي الملحد ﴾ — الوهاية وتكفيرها من زار القبور —

لوسأل سائل عما تمذهبت به الوهاية ماهو وعن غايته ماهي قلنا في جواب كلا السؤالين هو تكفير كافة المسلمين لكان جوابا على اختصاره تعريفا كافيا لمذهبيها ، وأن من أنعم النظر فيما جاءت به رآها تتجرى في كل مسألة تكفير كافة المسلمين الذين رضي الله لهم الاسلام ديناً فقد كفرتهم لتزيهم الله تعالى عن الجسمية ، وكفرتهم لتقايدهم الائمة المجتهدين في الدين وكفرتهم لاستشفاعهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوسلهم به إلى الله تعالى وكفرتهم لزيارتهم القبور

﴿ والجواب ﴾ أن نقول : الله أكبر على هؤلاء الملاحدة الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ويفسدون في الارض والله لا يحب المفسدين ، فلو سأل سائل عما تمذهبت به هؤلاء الغلاة النافون لعلو الله على عرشه المعطلون لاسماؤه وصفاته الجاحدون لصفات كماله ، ونعوت جلاله المشركون بالله في عبادته غيره من مخلوقاته ، وعن غاية ما تريد بذلك قلنا هو الكفر الذي أجمع المسلمون على كفر من قام به ذلك ، ونطق القرآن والسنة بكفر من فعل ذلك واعتقده كما قدمناه بادلته من الكتاب والسنة واجماع العلماء

وأما الوهاية : فيعتقدون أن الدين الذي رضيه الله المسلمين هو دين الاسلام ومنه أن الله تعالى على عرشه ، بائن من خلقه ، ويعتقدون أن الله تعالى له وجه ويدان ، وأن الله تعالى يرى في الآخرة كما يرى القمر ليلة البدر ، وكما ترى الشمس صحوأ ليس من دونها سحاب ، وأن الله ينزل الى السماء الدنيا كل آخر ليلة فينادي هل من سائل فاعطيه ، هل من مسئف فاعف له ، هل من داع فاجبيه حتى ينفجر الفجر ، وأن الله يشار اليه بالأصبع إشارة حسية ، كما أشار اليه أعرف الخلق به في أعظم بحم وجد على ظهر الارض ، وأن الله تعالى يوم القيامة يجعل السموات على أصبع ، والارضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والماء على أصبع ، والثرى

على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، فيقول أن الملك كما صحت بذلك الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى غير مما جاء في الكتاب والسنة مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن غير تكيف ولا تعطيل وأما الجسمية فلا يقولون بها نفياً ولا إثباتاً ، لانه يراد بها معنى صحيح ومعنى باطل ولانه لم يرد بذلك قرآن ولا سنة ولا نطق بذلك الصحابة والتابعون ولا الائمة المهتدون ، وأما زعمهم أنهم كفروا من أخذ بالاجماع وكفروا من قلد الائمة المجتهدين فمن الكذب الواضح والافك الفاضح ، وأما تكفيرهم من دعا الانبياء والاولياء والصالحين والتجأ اليهم واستغاث بهم في مهلاته وملهاته ، وسمى ذلك تشفعاً ونوسلاً فلكون ذلك هو الشرك الصريح المخرج من الملة بدلائل الكتاب والسنة واجماع علماء الامة من أئمة السلف ومن تبعهم بإحسان بعد قيام الحجة على من فعل ذلك

فصل

﴿ قال الملحد ﴾ لا يخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها ، إما الاستشفاع والتوسل إلى الله بأصحابها والتبرك بهم كما في زيارة قبور الأنبياء والاولياء ، وأما الاعتبار باقوم الماضين تمكيناً للخضوع من قلبه ونيلاً للأجر بقراءة الفاتحة والدعاء لهم بالمغفرة ، كما في زيارة قبور المسلمين أو يقصد تذكراً من مات من ذويه الاقربين وأحبائه الراحلين وأعزته الذين غالتهم يد المنون فاسكنهم القبور بعد القصور فذهبوا عنه ذهاباً ليس وراءه إياب وغادروه كثيباً يندب الاسى واسان حاله يقول :

ألا ياراحلا عنا مجداً على مهل فديتك من مجد

فلا تعجل وسر سير الهوبنا لانك راحل من غير عود

وتدفعه احساساته الى زيارة قبورهم فيقف على دوارس أجدانهم حزينا يسكب

على ترابها عبرات الاسف ولسان حاله ينشد :

ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا

كم من أخ لي صالح بوءته بيدي لحدا

وابس في كل هذا ما يستلزم تكفير المسلم الذي شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ولا أظن أن الجاهل الغر من الناس فضلا عن العالم المتشرع تدفعه جهالة أن بقصد زيارة القبر عبادته ، وأن يعتقد كونه يقضي حاجته فيخلق له ما يريد ﴿ والجواب ﴾ أن يقال : لا يخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها الاستشفاع والتوسل إلى الله بأصحابها والتبرك بهم ، كما في زيارة قبور الانبياء والاولياء ودعائهم هي الزيارة الشريكة التي ذكرها العلماء كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهيان « وأما الزيارة الشريكة فأصلها مأخوذ من عباد الاصنام قالوا الميت المعظم الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى لا يزال تأتيه الاطاف من الله تعالى ويفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الاطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المناهض له ، قالوا : فقام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت ويعكف بهمة عليه ويوجه قصده كله وإقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه ، وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما ، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها قالوا إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها النور ، وبهذا السر عبدت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنفت لها الدعوات واتخذت الأصنام المجسدة لها ، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعياداً وتعليق الستور عليها ، وإيقاد السرج عليها ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذي قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبطاله ومحوه بالسكينة وسد الذرائع المفضية إليه فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده ، وكان صلى الله عليه وسلم في شق وهؤلاء في شق ، وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالى قالوا : فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجه المقرب عند الله وتوجه بهمة إليه وعكف بقلبه صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان فهو شديد التعلق به

فما يحصل لذلك السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بحسب
تعلقه به ، فهذا سر عبادة الاصنام ، وهو الذي يعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله
وتكفير أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم وأوجب لهم النار ،
والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله وإبطال مذهبهم قال تعالى (أم
اتخذوا من دون الله شفعاء ؟ قل : أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ، قل : الله
الشفاعة جميعاً له ملك السموات والارض) فأخبر ان الشفاعة لمن له ملك السموات
والارض وهو الله وحده ، فهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده ، فيأذن
هو لمن يشاء ان يشفع فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة انما هي له والذي يشفع عنده
انما يشفع بأذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه وهي ارادته من نفسه ان يرحم عبده ،
وهذا ضد الشفاعة الشريكية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهي التي
أبطالها سبحانه في كتابه بقوله (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقوله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من
قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال تعالى (وانذره الذين
يخافون أن يأتي يوم لا ينفعهم إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون) وقال
(الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش
مالك من دونه من ولي ولا شفيع) فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه ،
بل إذا أراد الله سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه كما قال تعالى (ما من
شفيع الا من بعد إذنه) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) فالشفاعة
بأذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيعاً من دونه بل شفيع بأذنه والفرق بين
الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور ، فالشفاعة التي أبطالها شفاعة الشريك
فانه لا شريك له والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي
مالكه حتى يأذن له ويقول اشفع في فلان ، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد
الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من تعلقات
الشرك وشوائبه ، وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن
ارتضى) وقال (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً) فأخبر

انه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع فيه ، فأما
المشرك فانه لا يرتضيه ولا يرضى قوله فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه ، فانه سبحانه
علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع له ، وإذنه للشافع ، فإلم يوجد مجموع الأمرين
لم توجد الشفاعة ، وسر ذلك ان الأمر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من الأمر
شيء ، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون ، وهم
عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئاً إلا بعد إذنه
لهم وأمرهم ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم
مقيدة بأمره وإذنه فإذا أشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظناً منه انه
إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما
يجب له ويمتنع عليه ، فان هذا ممتنع شبيه بقياس الرب تعالى على الملوك والكبراء
حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأولياهم من يشيع له عندهم في الحوائج ، وبهذا
القياس الفاسد عبدت الأصنام واتخذ المشركون من دون الله الشقيع والولي ، والفرق
بينهما هو الفرق بين الخلق والخالق والرب والعبد والمالك والمملوك والغني والفقير
والذي لا حاجة به إلى أحد قط والمحتاج من كل وجه إلى غيره ، فالشفعاء عند الخلق
هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام الملك والكبراء
بهم ، ولولاهم ما انبسط أيديهم وألسنتهم في الناس ، فلحاجتهم اليهم يحتاجون
إلى قبول شفاعتهم وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع لأنهم يخافون أن يردوا
شفاعتهم فتتقص طاعتهم لهم ويذهبون إلى غيرهم فلا يجدون بداً من قبول شفاعتهم
على الكره والرضا ، فأما الغني الذي غناه من لوازم ذاته وكل ما سواه فقير إليه بذاته
وكل من في السموات والأرض عبيد له مقهورون بغيره مصرفون بمشيئته لو أهلكتهم
جميعاً لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وآلهيته مثقال ذرة . وذكر آيات
في المعنى ثم قال - فتبين ان الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة
الشركية التي يعرفها الناس ويفعلها بعضهم مع بعض ، ولهذا يطلق نفيها تارة بناء
على أنها هي المعروفة المتعاهدة عند الناس ، ويقيدها تارة بأنه لا تنفع إلا بعد إذنه
- إلى أن قال : فتتخذ الشفيع مشرك لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب

وحده الله ومعبوده ومحبوبه ومرجوه ومخوفه الذي يتقرب اليه ويطلب رضاه ويتباعد من سخطه هو الذي يأذن الله سبحانه للشقيع أن يشقع فيه» وذكر الآيات في ذلك وذكر كلاماً حسناً تركناه لطاب الاختصار

(وأما قوله) وإما الاعتبار بالقوم الماضين الى آخره

(فاقول) قد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى الزيارة الشرعية وليس لنا أن نتقدم بين يديه لانه قد جاء بما يكفي ويشفي وهو من أئمة المسلمين والعلماء المجتهدين قال رحمه الله تعالى بعد ذكر المفاسد العظيمة بأخذ القبور أعياداً «ومنها أن الذي شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له فيكون الزائر محسناً الى نفسه والى الميت فقلب المشركون هذا الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة لشرك بالميت ودعاء والدعاء به وسؤالهم حوائجهم واستئصال البركات منه ونصره لهم على الاعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين الى نفوسهم والى الميت ولو لم يكن إلا مجرد ما به تركه ما شرعه الله من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له فاسمع الآن زيارة أهل الايمان التي شرعها الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ثم وازن بينها وبين زيارة أهل الاشراك التي شرعها لهم الشيطان واختار لنفسك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلتي منه يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأناكم ما توعدون غداً مؤجلون وأنا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد» رواه مسلم وفي صحيحه عنها أيضاً أن جبريل أتاه فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت قلت كيف أقول يا رسول الله قال قولي «السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وبرحم الله المستقدمين والمستأخرين وأنا ان شاء الله بكم لاحقون»

وفي صحيحه أيضاً عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا «السلام على أهل الديار» وفي لفظ السلام عليكم أهل الديار - من المؤمنين والمسلمين وأنا ان شاء الله بكم لاحقون

نسأل الله لنا ولكم العافية» وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزور ولا تقولوا هجرا» رواه أحمد والنسائي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى الرجال عن زيارة القبور سداً للذريعة فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ونهاهم أن يقولوا هجرا فمن زارها على غير الوجه المشروع الذي يحبه الله ورسوله فإن زيارته غير مأذون فيها ومن أعظم الهجر الشرك عندها قولاً وفعلاً وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «زوروا القبور فإنها تذكركم الموت» ثم ذكر أحاديث نحو مما تقدم ثم قال فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأئمة وعلمهم أياها هل تجرد فيها مما يعتمد به أهل الشرك والبدع أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعبود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحملوا جانبه حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا فقال سلمة ابن وردان رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو ونص على ذلك الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعوا عند القبر فإن الدعاء عبادة وفي الترمذي وغيرها مرفوعاً الدعاء هو العبادة ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام على أصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم وبالجملة فالمراد قد انقطع عمله فهو محتاج إلى من يدعو له ويشفع له ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له وجوباً أو استحباباً ما لم يشرع مثله في الدعاء للحی قال عوف بن مالك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول «اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وابدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من

زوجته وادخله الجنة وأعد من عذاب القبر أو من عذاب النار « حتى تمنيت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الميت رواه مسلم وذكر أحاديث نحو هذا ثم قال فهذا مقصود الصلاة على الميت وهو الدعاء له والاستغفار له والشفاعة فيه ومعلوم أنه في قبره أشد حاجة منه على نعشه فانه حينئذ معرض للسؤال وغيره وقد كن عليه السلام يقف على القبر بعد الدفن فيقول « سلوا له التثبيت فانه الآن يسأل فعلم أنه أحوج الى الدعاء له بعد الدفن فاذا كنا على جنازته ندعو له لا ندعو به ونشفع له لا نستشفع به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل البدع والشرك قولاً غير الذي قيل لهم بدلو الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إحساناً إلى الميت وإحساناً إلى الزائر وتذكيراً بالآخرة سؤال الميت والاقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العباد وحق القلوب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد وأوقات الأسحار ومن المحال أن يكون دعاء الموتي أو الدعاء بهم أو الدعاء عندهم مشروعاً وعملاً صالحاً ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرزقه الخلف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى وهذه سنة خلفائه الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان هل يمكن بشراً على وجه الأرض أن يأتي عنهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع انهم كانوا اذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتسبحوا فاضلاً أن يصلوا عندها أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم فليوقفونا على أثر واحد أو حرف واحد في ذلك بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد كن ذلك أكثر حتى لقد وجد في ذلك مصنفات ليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك بل فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه من الأحاديث وأما آثار الصحابة فأكثر من أن يحاط بها ثم ذكر رحمه الله قصة

الرجل الذي وجد في بيت مال الهرمزان ثم قال في هذه القصة ما فعله المهاجرون والانصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس ولم أيرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله فهم قد اتخذوا من القبور أوثاناً من لا يداني هذا ولا يقاربه وأقاموا له سدنهم رجعلوها معابد أعظم من المساجد فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحاً لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر علماً لذلك ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلف التي خلفت بعدهم وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا عنده ولا استسقى به ولا استنصر به ومعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه وحينئذ فلا يخلو إما أن يكون الدعاء عندها والدعاء باربابها أفضل منه في غير تلك البقعة أو لا يكون فإن كان أفضل فكيف خفي علماً وعملاً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم وتظهر به الخلف علماً وعملاً ولا يجوز أن يعلموه ويذهبوا فيه مع حرصهم على كل خير لاسيما الدعاء فإن المضطر يتشبث بكل سبب وإن كان فيه كراهة ما فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه هذا محال طبعاً وشرعاً فتعين القسم الثاني وهو أنه لا فضل للدعاء عندها ولا مشروع ولا مأذون فيه بقصد الخصوص بل تخصيصها بالدعاء عندها ذريعة إلى ما تقدم من المفاسد ومثل هذا مما لا يشرعه الله ورسوله البتة بل استحباب الدعاء عندها شرع عبادة لم يشرعها الله ولم ينزل بها سلطاناً « إلى آخر الفصل فهذا كلامه رحمه الله في الدعاء عندها والدعاء باربابها فكيف بدعائهم وطلب الخواص منهم والاستغاثة بهم كما تقدم في أول كلامه

فصل

ونذكر نموذجاً من معتقد عباد القبور والصلحين وحقيقة مأم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن إن كان الواقف ممن اختصه الله بالفضل والمن ولثلا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعاً وتوسلاً قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان « فمن مفاسد اتخاذها أعياد الصلاة إليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترباتها وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أو ثأمتهم فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً وقد نزلوا عن الكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس وارتفعت أصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا ييدي ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجز من صلى إلى القبليتين قترام حول القبر ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانا فغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات ويرتفع من الأصوات ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات واغناء ذوي الفاقات ومعافاة أولي العاهات والبلبات ثم انبشوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ثم أخذوا في التقبيل والاستلام رأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ثم عفروا لده تلك الجباه والخدود التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود ثم كلوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمتعوا بمخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق وقربوا لذلك الوثن القرايين وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين . فلو رأيتهم يهني بعضهم بعضاً ويقول أجزل الله لنا ولكم أجراً

وافراً وحظاً فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر
بمخج المتخلف الى البيت الحرام فيقول لا ولو بحجك كل عام هذا ولم تتجاوز
فيما حكيناك عنهم ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلالهم اذ هي فوق ما يخطر بالبال
أو يدور في الخيال وهذا كان مبدأ عبادة الاصنام في قوم نوح كما تقدم وكل من
شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة الى هذا
المحذور وإن صاحب الشرع أعلم بعاقبة مانهه عنه وما يؤول اليه وأحكم في نهيه
عنه ونوعده عليه وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته والشر والضلال في معصيته
ومخالفته ثم ذكر رحمه الله كلاماً طويلاً

وقال شيخنا الشيخ عبد اللطيف قدس الله روحه . ومما بلغنا عن بعض
علماء زبيد ان رجلين قصدا الطائف فقال أحدهما لصاحبه والمسئول ممن يترشح
للعلم: أهل الطائف لا يعرفون الله انما يعرفون ابن عباس فأجابه بأن معرفتهم لابن
عباس كافية لأنه يعرف الله فأبي ملة صان الله ملة الاسلام لا تمنع هذه الكفرات
ولا تدفعها وذكر الزبيدي أيضاً ان رجلاً كان بمكة عند بعض المشاهد قال لمن
عنده أريد الذهاب الى الطواف فقال بعض غلاتهم: مقامك هاهنا أكرم ومن
وقف على كتاب مناقب الأربعة المعبودين بمصر وهم البدوي والرفاعي والدسوقي
ورابعهم فيما أظن أبو العلاء فقد وقف على ساحل كفرهم وعرف صفة إفكهم
قال وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الاسلام في بيت رجل من أهل
مصر وبقره رجل يدعي العلم فأرسل اليه صاحب البيت فسأله بجمع من الحاضرين
فقال له كم يتصرف في الكون قال ياسيدي سبعة قال من هم قال فلان وفلان
وعدة أربعة من المعبودين بمصر فقال صاحب الدار لمن بحضرته من الموحدين
انما بعثت لهذا الرجل وسأته لأعرفكم قدر ما أنتم فيه من نعمة الاسلام أو
كلاماً نحو هذا . قال وقد ذكر هذا شيخ الاسلام في منهاجه عن غلاة الرافضة
في علي فعاد الأمر الى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير ولم يبلغ شرك
الجاهلية الأولى الى هذه الغاية بل ذكر الله جل ذكره أنهم يعترفون له بتوحيد
الربوبية ويقررون به ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقروا به من

الربوبية والتدبير على ما أنكره من الآلهية ومن ذلك وهو من عجيب أمرهم ما ذكره حسين بن محمد النعمي في بعض رسائله أن امرأة كف بصرها فنادت وإيها أما الله فقد صنع ما ترى ولم يبق إلا حسبك انتهى

قال الشيخ وحدثني سعد بن عبد الله بن سرور الهاشمي رحمه الله أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى أنكر عليهم سدة المشهد وبعض الحاضرين فقالوا هذا محبة في سيدنا الحسين . وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن أن مثل هذا وقع عندهم وحدثني الشيخ خليل الرشدي بالجامع الأزهر أن بعض أعيان المدرسين هناك قال لا يدق وتد في القاهرة إلا بأذن أحمد البدوي قال فقلت له هذا لا يكون إلا لله أو كلاما نحو هذا فقال حيي في سيدي أحمد البدوي اقتضى هذا

وحكى أن رجلا سأل الآخر كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني فقال لم أر أكثر منه إلا في جبال عرفات إلا أني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط ولا صلوا مدة ثلاثة أيام فقال السائل قد تحملها الشيخ قال بعض الأفاضل وباب تحمل الشيخ مصراعه ما بين بصرى وعدن قد اتسع خرقه وتتابع فتقه ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد وساكن البلد انتهى

قلت وحدثني الشيخ اسحاق أنه رأى أيام رحلته إلى مصر للطلب هذا المجمع العظيم الذي يسمونه مولد أحمد البدوي فذكر أنه أعظم مما رآه في جبال عرفات قال ورأيت فيه سوقا طويلا للبغايا اللواتي أوقفن أنفسهن للزنا في هذا المجمع صدقة لسيدهن أحمد البدوي وليس هذا بعجيب ولا غريب من فعلهم فانه يجري منهم في ذلك الجمع من الكفر بالله والاشراك به ما لم يصل إلى ساحله كفر ابن جهل وأشياعه فالله المستعان

وأما قول العراقي : وأما الاعتبار بالقوم الماضين تمكيناً للخضوع من قلبه ونيل الأجر بقراءة الفاتحة

فأقول أما قراءة الفاتحة فمن البدع المحدثه ولو كان في قراءتها نيل للأجر في

ذلك المكان لأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه
 ﴿وأما قوله﴾ وليس في كل هذا ما يستلزم تكفير المسلم الى آخره ﴿فيقال﴾ لهذا
 إن طلب الحوائج من الموتى والاستشفاع بهم والاستغاثة بهم ناقض لشهادة
 أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولا تنفعه الشهاداتان مع الاشراف بالله
 شيئاً وقد تقدم بيان ذلك

فصل

(ثم ذكر العراقي) اختلاف العلماء في شد الرحال إلى المشاهد
 وهذه المسألة قد فرغ منها فمن أراد الوقوف على الصحيح من كلام العلماء
 فهو مبسوط في رد شيخ الاسلام على ابن الاخواني ورد الحافظ عبد الهادي على
 السبكي والحق في ذلك واضح فلا حاجة بنا إلى التطويل بذكره مع وضوحه في
 كلام العلماء المحققين

وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : وأما السفر إلى مجرد زيارة قبر
 الخليل أو غيره من مقابر الانبياء ، والصالحين ، ومشاهدتهم ، وآثارهم فلم يستحبه
 أحد من أئمة المسلمين لا الاربعة ولا غيرهم ، بل لو نذر ذلك ناذر لم يجب عليه
 الوفاء بهذا النذر عند الائمة الاربعة وغيرهم بخلاف المساجد الثلاثة ، فإنه اذا نذر
 الحج أو العمرة لزمه باتفاق المسلمين ، واذا نذر السفر إلى المسجدين الآخرين
 لزمه عند أكثرهم كمالك ، واحمد ، والشافعي في أظهر قوليه لقول النبي صلى الله
 عليه وسلم « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه »
 رواه البخاري . وإنما يجب الوفاء بنذر كل ما كان طاعة مثل من نذر صلاة ، أو
 صوما أو اعتكافاً أو صدقة لله أو حجاً ، ولهذا لا يجب بالنذر السفر الى غير المساجد
 الثلاثة لانه ليس بطاعة لقول النبي صلى الله عليه وسلم « لاتشد الرحال إلا لثلاث
 مساجد » فغير المساجد أولى بالمنع مع ان قوله لاتشد الرحال إلا لثلاثة مساجد
 يتناول السفر الى كل بقعة مقصودة بخلاف السفر للتجارة وطلب العلم ونحو ذلك
 فإن السفر لطلب تلك الحاجة حيث كان ، وكذلك السفر لزيارة الأخ في

فانه هو المقصود حيث كان ، وقد ذكر بعض المتأخرين من العلماء أنه لا بأس بالسفر الى المشاهد واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي قبا كل سبت راكباً وماشياً أخرجاه في الصحيحين ولا حجة لهم فيه لأن قبا ليس مشهداً بل مسجد وهو منهي عن السفر اليها باتفاق الأئمة لأن ذلك ليس بسفر مشروع بل لو سافر الى قباء من دويرة أهله لم تجز ولكن لو سافر الى المسجد النبوي ثم ذهب منه الى قباء فهذا يستحب كما يستحب زيارة قبور أهل البقيع وشهداء أحد » انتهى

﴿ثم قال العراقي﴾ ويدل على جواز شد الرحال لزيارة القبور ما قاله عمر رضي الله عنه بعد فتح الشام لكعب الأحبار يا كعب ألا تريد أن تأتي معنا الى المدينة فتزور سيد المرسلين قال نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك وكذا يدل عليه مجيئ بلال رضي الله عنه من الشام الى المدينة لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه

﴿والجواب﴾ أن تقول هؤلاء الغلاة يتعلّقون بأذيال الموضوعات ويعتمدون الأقوال المكذوبات ويحسبون أنهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون قال الحافظ ابن عبد الهادي في جوابه للسبكي وهو مطالب أولاً ببيان صحته وثانياً ببيان دلالة على مطلوبه ولا سبيل له الى واحد من الأمرين . ومن المعلوم أن هذا من الأكاذيب والموضوعات على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتوح الشام فيه كذب كثير وهذا لا يخفى على آحاد طلبة العلم ، ولكن شأن هذا المعارض الاحتجاج دائماً بما يظنه موافقاً لهواه ولو كان من المنخقة والموقودة والمتردية ، وليس هذا شأن العلماء بل على المستدل بحديث أو أثر عليه أن يبين صحته ودلالة على مطلوبه . وهذا المنقول عن عمر رضي الله عنه لو كان ثابتاً عنه لم يكن فيه دليل على محل النزاع ، وقد عرف أن شيخ الاسلام لا ينكر الزيارة على الوجه المشروع ولا يكرهها بل يحضها ويندب اليها انتهى . أقول وكذلك الوهابية لا ينكرون الزيارة على الوجه المشروع بل هي عندهم من أفضل الاعمال والله المستعان

(ثم ذكر العراقي) أن من القائلين بالجواز الامام النووي والقسطلاني والامام الغزالي وهؤلاء، مقابلون بافضل منهم واعلم واتبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه والتابعين لهم، ومن العلماء المانعين من شد الرحال أمام مالك رحمه الله ولم يخالفه أحد من الائمة الثلاثة ومنهم الامام أبو عبد الله بن بطة وأبو الوفاء بن عقيل وغيرهم من العلماء الراسخين

(ثم ذكر العراقي) مسألة سماع أهل القبور وذكر من التخليط مالا مزيد عليه وقد أجاب على ذلك كله محمود شكري بن عبد الله بن محمود الألوسي في تتمته وبه الكفاية فلا نطيل بذكره الا انا نقول، إن سماع أهل القليب قليب بدر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم سماع حقيقي، وكذلك سماع أهل القبور سلام المسلم عليهم وردهم عليه، وأن إعادة الارواح لتلك الاشباح بعد مفارقتها إياها، إنما هي إعادة عارضة لا إعادة مستمرة بل لسماع الكلام ورد السلام والسؤال فقط، وأما دعوى اجابة الدعوات واغانة اللهفات وتفرج الكربات وقضاء الحاجات من الأموات فمن الممنوعات عقلاً وشرعاً وفطرة وقدراً كما هو صريح نصوص الآيات القرآنية والاحاديث النبوية، ولكن قد ذكر هذا المللحد في قصة المعراج رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لعيسى وموسى وإبراهيم فقال: وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رأيت عيسى وموسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام » رواه الشيخان ومالك في الموطأ والمقصود أن هذا المللحد لما أتى إلى هذا المقام لم يذكر فيه أنه رآهم في السموات على قدر منزلهم فأخرس عن ذلك أخرس الله لسانه لانه قد ذكر فيما تقدم من الحادثة أن عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى هو بمعنى العروج إلى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه لانه ينكر أن يكون الله فوق السموات على عرشه فلذلك جحد عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله بذاته الشريفة

(فتقول) الوهاية لهذا المللحد المعطل كيف جاز لك أن تحتج علينا بسماع الشهداء والانبياء نداء من ينادي وهم عند الله وبأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى عيسى وموسى وإبراهيم وهم أرفع منزلة عند الله من الشهداء وقد صحت الاحاديث

بانه رأى عيسى في السماء الثانية ، ورأى موسى في السماء السادسة ورأى ابراهيم في السماء السابعة وكل هذا عندك لا حقيقة له ، فان كانوا في السماء كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ، لما عرج به إلى الله بطل ماذهب اليه من أن العروج هو إلى موضع يتقرب اليه بالطاعات لا إلى السماء وان لم يكن رآهم في السموات في أي مكان رآهم ولا بد من تعيين ذلك الموضع ، وقد كان من المعلوم أن أرواح الشهداء بعضها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل تحت العرش وبعضها على بارق بباب الجنة ويخرج اليهم رزقهم من الجنة وبعضهم في قباب في رياض بغناء الجنة ، وفي بعض الأحاديث أن أرواح المؤمنين في عليين ومن المعلوم أن أرواح الانبياء في أعلى عليين وأنهم أرفع منزلة من الشهداء ، فيمتنع عقلا وشرعا وفطرة وقدرآ ، أن الارواح التي فوق السموات السبع وفي أعلى عليين أنها تسمع دعاء أهل الارض وتنفعهم وتتصرف فيهم هذا محال قطعاً وضلال مبين ، فان الله قال (وهم عن دعائهم غافلون) فكل من دعي من الاموات والغائبين والأنبياء والصالحين ، فمن دونهم غافل عن دعاء داعيه بنصوص القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، بقي من هذه المسألة مسألة ، وهي أن المسلم اذا سلم على أهل القبور رد الله على المسلم عليه روحه حتى يرد السلام ، قال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام » وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، اذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام ، ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب القبور ، وفي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن أحد يسلم على إلا رد الله علي روحه حتى أرد عليه السلام » وهذه الاحاديث تدل على أنهم ليسوا بأحياء في قبورهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « مامن أحد يسلم علي

إلا رد الله على روجي حتى أرد عليه السلام «ففي هذا دليل على أن الارواح قد فارقت الاشباح ، وإنما ترد الارواح لرد السلام ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام سبق «على أن قوله ثم تعاد روحه في جسده لا يدل على حياة مستقرة وإنما يدل على إعادة لها إلى البدن وتعلق به والروح لم تزل متعلقة ببدنها وإن بلى وتمزق وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام أحدها تعلقها به في بطن الام جنينا ، الثاني تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الارض ، الثالث تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه ، الرابع تعلقها به في البرزخ ، فانها وإن فارقت وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كلياً بحيث لا يبقى لها التفات اليه البتة ، وقد ذكرنا في أول الجواب من الاحاديث والآثار ما يدل على ردها اليه وقت سلام المسلم وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة ، الخامس تعلقها به يوم بعث الاجساد إلى آخر كلامه رحمه الله

(وأما قوله) ومن الأدلة على أن الله تعالى يحيي الموتى في قبورهم فيسمعون قوله تعالى — حكاية على سبيل التصديق — (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) فالمراد باحدى الاماتين الامانة قبل مزار القبور ، وبالاخرى الامانة بعد مزار القبور فانهم لو لم يحيون في القبور ثانية ما صحت اماتهم ثانية

وأما جواب الوهابية أن الامانة الاولى هي حال العدم قبل الخلق ، والثانية الامانة بعد الخلق ، فما يضحك الصبيان لأن الامانة لا تكون إلا بعد الحياة ، ولا حياة قبل أن يخلق الله الحياة . وأما جوابها أن الامانة الاولى هي امانة الناس بعد حياتهم في عالم الذر فهو أوهن من جوابها الاول لأن الناس في عالم الذر لم يكونوا غير أرواح خلقها الله تعالى فسألهم (أأست بربكم) فأجابوا قائلين : بلى وأنت تعلم أن الموت عبارة عن مفارقة الروح للجسد ، وحيث لا جسد فلا موت نعم يجوز أن يقني الله الارواح بعد خلقها في عالم الذر ، ولكن ذلك ليس من الموت في شيء لما تقدم

(فالجواب) أن يقال : ليس هذا جواب الوهابية فقط ، بل قد ذكره ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح فقال : وأما قول أهل النار (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا

اثنيتين) ففسير هذه الآية الآية التي في البقرة وهي قوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم) فكانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم ، وفي أرحام أمهاتهم ، ثم أحياهم بعد ذلك ، ثم أماتهم ، ثم يحييهم يوم النشور ، فصار جوابك هو الذي يضحك منه الصبيان لأنه مكابرة للقرآن لأن الله وحده قد أخبر أنهم كانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم ، وفي أرحام أمهاتهم (ولا ينبئك مثل خبير - ومن أصدق من الله قيلا - ومن أحسن من الله حديثا) ثم أحياهم سبحانه باخراجهم إلى دار الدنيا ، ثم أماتهم سبحانه ، ثم يحييهم يوم النشور . وبما ذكره ابن القيم رحمه الله قال أهل التفسير : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله على هذه الآية يقول الله تعالى مخبرا عن الكفار أنهم ينادون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون ، وذلك عند ما باشروا من عذاب الله تعالى مالا قبل لاحد به - إلى أن قال

(وأما قوله) (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال الثوري عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم إليه ترجعون) وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية . وقال السدي : أميتوا في الدنيا ، ثم أحيوا في قبورهم فخطبوا ، ثم أميتوا ، ثم أحيوا يوم القيامة . وقال ابن زيد : أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ، ثم خلقهم في الارحام ، ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة ، وهذان القولان من السدي وابن زيد ضعيفان لأنه يلزمهما على ما قالا ثلاث احياء واماتات ، والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما إلى آخر كلامه رحمه الله ، فان كان ما قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك الصبيان فليس على وجه الارض صحيح إلا ما صححه هذا الملحد بمقوله الذي هو بكلام المجاذيب أشبه به من كلام المجانين ، وحيث نسب تفسير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الوهابية فاهلا به أهلا فانا به قائلون ، وعلى ما أثبتوه معتمدون ، ولما سواه نافون

(وأما قول العراقي) وأما جوابها أن الامانة الاولى هي امانة الناس بعد حياتهم -م في عالم الذر فهو أو هن من جوابها -ا الاول لأن الناس في عالم الذر لم يكونوا غير أرواح الخ

فأقول : هذا الجواب ليس هو الوهابية ، بل هو كلام ابن زيد وقد ضعفه ابن كثير كما تقدم وهو مبني على خلاف العلماء في خلق الارواح هل هو مقدم على أبدانها أم متأخر ، والصحيح الذي تشهد له النصوص من الكتاب والسنة أن خلقها بعد خلق الابوين وذلك بعد ارسال الله ملك الارواح الى النطق في بطون الامهات ينفخ فيها الروح والذي ثبت انما هو اثبات القدر السابق وتقسيمهم إلى شقي وسعيد . وأما الاحاديث التي وردت في تقدم خلقها على أبدانها فلا يصح منها شيء ، والصحيح الثابت هو ما ذكره ابن القيم من الوجوه التي ذكرها في الفصل الذي ذكر فيه الادلة على أن خلق الارواح متأخر عن خالق الابدان وبه الكفاية فمن أراد تحقيق المسألة فهي مبسطة في كتاب الروح في هذا الفصل ، وإذا تقرر هذا فليس للوهابية كلام على هذه المسألة منسوب اليها فيكون هذا الجواب جوابا له ، بل هو جواب باطل فاسد على أصل لا يصح بدليل شرعي ثابت ، فان كان تكلم في هذه المسألة أحد ممن تنسبونه إلى الوهابية فربما . وأما الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وأتباعه فليس لهم فيها كلام معروف غير ما ذكره ابن القيم رحمه تعالى . والقول الذي نعتمد في هذه المسائل كلها هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية قال رحمه الله تعالى :

فصل

في الكلام في حياة الانبياء في قبورهم

ولا جل هذا رام ناصر قولكم	ترقيعه باكثره	الحلقان
قال الرسول بقبره حي كما	قد كان فوق الارض والرجان	
من فوقه أطباق ذاك التراب والا	بنات قد عرضت على الجدران	
لو كان حيا في الضريح حياته	قبل المات بغير مافرقان	

ما كان تحت الارض بل من فوقها
 نراه تحت الارض حياً ثم لا
 ويربح أمته من الآراء وال
 ثم كان حياً عاجزاً عن نطقه
 وعن الحراك فما الحياة الا قد
 هذا ولم لا جاءه أصحابه
 إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم
 هل جاءكم أثر بأن صحابه
 فأجابهم بجواب حي ناطق
 هلا أجابهم جواباً شافياً
 هذا وما شئت ركائبه عن الح
 مع شدة الحرص العظيم له على
 نراه يشهد رأبهم وخلافهم
 إن قلتمو سبق البيان صدقتمو
 هذا وكم من أمرا شكل بعده
 أو ما ترى الفاروق ودُّ بأنه
 بأجد في ميراثه وكلاله
 قد قصر الفاروق عند فريقكم
 أنراه هو يأتون حول ضرب بحبه
 ونبيهم حي يشاهدكم ويس
 أفكان يعجز أن يجيب بقوله
 يا قومنا استحيوا من العقلاء والم
 والله لا قدر الرسول عرفتمو
 من كان هذا القدر مبلغ علمه
 وقد أبان الله أن رسوله

والله هذي سنة الرحمان
 يفتيهموا بشرائع الايمان
 خلف العظيم وسائر البهتان
 وعن الجواب لسائل لهفان
 أثبتموها أوضحوا ببيان
 يشكون بأس الفاجر الفتان
 حي يشاهدكم شهود عيان
 سألوه فتياً وهو في الاكفان
 فأتوا إذاً بالحق والبرهان
 ان كان حياً ناطقاً بلسان
 جرات للقاصي من البلدان
 ارشادهم بطرائق التبيان
 ويكون للتبيان ذا كتمان
 قد كان بال تكرار ذا تبيان
 أغنى على العلماء كل زمان
 قد كان منه العهد ذات بيان
 وبيعض أبواب الربا الفتان
 اذ لم يسله وهو في الاكفان
 لسؤال أهمهم أعز حصان
 معهم ولا يأتي لهم ببيان
 إن كان حياً داخل البنيان
 بعوث بالقرآن والرحمان
 كلا ولا للنفس والانسان
 فليست بال الصمت والكتمان
 ميت كما قد جاء في القرآن

أفجاء أن الله باعشه لنا
 اثلاث موتات تكون لرسوله
 إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرء
 أهل يموت الرسل أم يبقوا اذا
 فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجي
 أو لم يقل من قبلكم للرافع الا
 لا ترفعوا الاصوات حرمة عبده
 قد كان يمكنهم يقولوا انه
 لكنهم بالله أعلم منكموا
 ولقد أتوا يوما الى العباس يس
 هذا وبينهم وبين نبيهم
 فنيهم حي ويستسقون غي
 في القبر قبل قيامة الابدان
 ولغيرهم من خلقه موتان
 في الارض حيا قط بالبرهان
 مات الوري أم هل لكم قولان
 ثوا بالدليل فنحن ذو أذهان
 صوات حول القبر بالنكران
 ميتا كحرمة لدى الحيوان
 حي فغضوا الصوت بالاحسان
 ورسوله وحقائق الايمان
 تسقون من قحط وجذب زمان
 عرض الجدار وحجرة النسوان
 ر نبيهم حاشا أولي الايمان

فصل

فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور

فان احتججتم بالشهيد بأنه
 والرسل أكمل حالة منه بلا
 فذلك كانوا بالحياة أحق من
 وبأن عقد نسائه لم يفسخ
 ولا أجل هذا لم يحل لغيره
 أفليس في هذا دليل انه
 أو لم يرى المختار موسى قائما
 أميت يأتي الصلاة وإن ذا
 أيرد ميت السلام على الذي
 حي كما قد جاء في القرآن
 شك وهذا ظاهر التبيان
 شهدائنا بالعقل والايمان
 فتساؤه في عصمة وصيان
 منهم واحدة مدى الأزمان
 حي لمن كانت له أذنان
 في قبره لصلاة ذي القربان
 عين المحال وواضح البطلان
 يأتي بتسليم مع الأحسان

أول ما يقل إني أرد على الذي يأتي به هذا من البهتان
هذا وقد جاء الحديث بأنهم أحياء في الأحداث ذات بيان
وبأن أعمال العباد عليه تع رض دائما في جمعة يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي قد خص بالفضل العظيم الشأن

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذلك حجج تنال عليكم وهي ذات بيان
إن الشهيد حياته منصوصة لا بالتقياس القائم الأركان
هذا مع النهي المؤكد أننا ندعوه ميتا ذاك في القرآن
ونسأؤه حل لنا من بعده والمال مقسوم على السهمان
هذا وإن الأرض تأكل لحمه وسباعها مع أمة الديدان
لكنه مع ذاك حي فارجح مستبشر بكرامة الرحمن
فأرسل أولى بالحياة لديه مع موت الجسوم وهذه الأبدان
وهي الطرية في التراب وأكلها فهو الحرام عليه بالبرهان
ولبعض أتباع الرسول يكون ذا أيضا وقد وجدوه رأي عيان
فانظر الى قلب الدليل عليهمو حرفا بحرف ظاهر التبيان
لكن رسول الله خص نسأؤه بخصيصة عن سائر النسوان
خيرن بين رسوله وسواه فاح تترن الرسول لصحة الإيمان
شكر الآله لمن ذاك وربنا سبحانه للعبد ذو شكران
قصر الرسول على أولئك رحمة منه بهن وشكر ذي الأحسان
وكذلك أيضا قصرهن عليه مع لوم بلا شك ولا حساب
زوجاته في هذه الدنيا وفي الآ خرى يقينا واضح البرهان
فلذا حرمهن على سواه بعده إذ ذاك صون عن فراش ثان

لكن أتين بعدة شرعية هذا ورؤيته الكليم مصلياً في القلب منه حيلة هل قاله ولذلك أعرض في الصحيح محمد والدار قطني الأمام أعلمه بانس يقول رأى الكليم مصلياً لين السياق الى السياق تفاوتاً لكن تقلد مسلم وسواه محمد فرواه الأثبات أعلام الهدى لكن هذا ليس مختصاً به فروى ابن حبان الصدوق وغيره فيه صلاة العصر في قبر الذي فتمثل الشمس الذي قد كان ير عند الغروب بخاف فوت صلاته حتى أصل العصر قبل فواتها هذا مع الموت المحقق لا الذي هذا وثابت البناني قد دعا الـ أن لا يزال مصلياً في قبره لكن رؤيته لموسى ليلة الـ برويه أصحاب الصحاح جميعهم ولذلك ظن معارضاً لصلاته وأجيب عنه بأنه أسري به فراه ثم وفي الضريح وليس ذا هذا ورد نبينا اسلام من ماذاك مختصاً به أيضاً كما

فيها الحدود ومزم الأوطان في قبره أثر عظيم الشأن فالحق ماقد قال ذو البرهان عنه على عمد بلا نسيان برواية معلومة التبيان في قبره فاعجب لذا الفرقان لانطرحة فما هما سيان ن صح هذا عنده ببيان حفاظ هذا الدين في الأزمان والله ذو فضل وذو إحسان خبراً صحيحاً عنده ذا شان قد مات وهو محقق الإيمان عاها لأجل صلاة ذي القربان فيقول للملكين هل تدعان قالا سنفعل ذاك بعد الآن حكيت لنا بثبوت القولان رحمان دعوة صادق الايقان إن كان أعطى ذاك من انسان معراج فوق جميع ذى الأكوان والقطع موجب بلا نكران في قبره إذ ليس يجتمعان ليراه ثم مشاهداً ببيان بتناقض إذ أمكن الوقتان يأتي بتسليم مع الاحسان قد قاله المبعوث بالقرآن

من زار قبر أخ له فأتى بتد
 رد الآله عليه حقاً روحه
 وحديث ذكر حياتهم بقبورهم
 فانظر الى الأسناد تعرف حاله
 هذا ونحن نقول هم أحياء لا
 والتراب تحتموهم وفوق رؤوسهم
 مثل الذي قد قاتموا معاذنا
 بل عند ربهمو تعالى مثلهما
 لكن حياتهمو اجل وحالهم
 هذا وأما عرض أعمال العباد
 وأتى به أثر فان صبح الحديد
 لكن هذا ليس مختصاً به
 فعلى أبي الانسان يعرض سعيه
 إن كان سعيًا صالحًا فرحوا به
 أو كان سعيًا سيئًا حزنوا وقا
 ولذا استعاذ من الصحابة من روى
 يارب أني عائد من خزينة
 ذاك الشهيد المرتضى ابن راحة
 لكن هذا ذو اختصاص والذي
 هذي نهايات لا قد دام الوري
 والحق فيه ليس تحمله عقو
 ولجلهم بالروح مع أحكامها
 فارض الذي رضي الآله لهم به
 هل في عقولهمو بان الروح في
 وترد أوقات السلام عليه من

لميم عليه وهو ذو إيمان
 حتى يرد عليه رد بيان
 لما يصح وظاهر النكران
 إن كنت ذا علم بهذا الشأن
 كن عندنا كحياة ذي الأبدان
 وعن الشماثل ثم عن إيمان
 بالله من إفاك ومن بهتان
 قد قال في الشهداء في القرآن
 أعلى وأكمل عند ذي الاحسان
 د عليه فهو الحق ذو امكان
 ست به فحق ليس ذا نكران
 أيضاً باثار روين حسنات
 وعلى أقاربه مع الاخوان
 واستبشروا بالذة الفرحان
 لوا رب راجعه إلى الاحسان
 هذا الحديث عقيب بلسان
 أخزي بها عند القريب الدان
 المحبو بالغفران والرضوان
 لمصطفى ما يعمل الثقلان
 في ذا المقام الضنك صعب الشأن
 ل بني الزمان اغلظة الأذهان
 وصفائها للالف بالأبدان
 أتريد تنقض حكمة الديان
 أعلى الرفيق مقيمة بجنان
 اتبعاه في سائر الأزمان

وكذلك ان زرت القبور مسلماً
فهموا يردون السلام عليك لا
هذا وأجواف الطيور الخضرم
من ليس يحمل عقله هذا فلا
للمروح شأن غير ذي الاجسام لا
وهو الذي حار الورى فيه فلم
وهذا وأمر فوق ذا لو قلتنه
فلذاك أمسكت العنان ولو أرى
هذا وقولي إنها مخلوقة
هذا وقولي انها ليست كما
لا داخل فينا ولا هي خارج
والله لا الرحمن أثبتهم ولا
عظمتهم الأبدان من أرواحها

ردت لهم أرواحهم الآن
كن لست تسمعه بذى الاذان
كنها لدى الجنات والرضوان
تظلمه وعذره على التكران
تهمله شأن الروح أعجب شأن
يعرفه غير الفردى الا زمان
بادرت بالانكار والعدوان
ذاك الرفيق جريت في الميدان
وحدوثها المعلوم بالبرهان
قد قال أهل الأفك والبهتان
عنا كما قد قالوه في الديان
أرواحكم يامدعي العرفان
والعرش عطلتم من الرحمان

فصل

(قال المراقى) الرهاية متكفيرة الحالف بغير الله والناذر والذبح ، قاتل
الله الوهاية إنها تتحرى في كل أمر أسباب تكفير المسلمين مما يثبت أن همها
الأكبر هو تكفيرهم لا غير ، فقراها تكفر من يتوسل الى الله تعالى بنبيه
صلى الله عليه وسلم ويستعين باستشفاعه الى الله تعالى على قضاء حوائجه ، وهي
لا تخجل إذ تستعين بدولة الكفر على قضاء حاجاتها التي هي قهر المسلمين
وحرهم وشق عصام والمروق عن طاعة أمير المؤمنين الذي أمر الله تعالى في
كتابه الميين بلزوم طاعته كما بسطناه في مقدمات الرسالة ، وتتخذ أعداء الدين
أولياء تستمد منهم في إحضار القوى التي تسعى بها الى الفساد وتلج بها في
الغواية والعناد ، قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
أولياء) سحراً للوهاية انها لا تدري ان أولئك الأولياء الذين تتخذهم ذريعة

لقهر المسلمين اذا ثبت قدمهم فأنهم يقهرونها ويهتضمونها أيضاً مع من تعدده خصماً مخالفاً لمذهبها

(فأقول إيه يابن اللخنا) لقد - والله - علمتم أنكم لأنتم أخذان إخوان القردة والخنازير ، وإخوان عبدة الصليب أصحاب السعير ، وأنا لم نزرع اليهم ولم نستعن بهم في شيء من الأمور التي تزعمونها ، وأنا لم نتخذهم أولياء وقد علمتم انه ليس في ديارنا لهم علما ، ولا جعلنا في أوطاننا قناصل ، ولم نلتزم في ملتنا قوانينهم وتقدمها على شرع الله ورسوله ، ونحن نبرأ الى الله منهم ومنكم ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ولكن قد غلبت عليكم القحمة والتظاهر بالكذب والعدوان لكي تطفئوا نور الله بأفواهكم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

فانظر قاتلك يا عدو الله من قناصل أعداء الله ورسوله عنده ، ومن أعلامهم منصوبة في ديارهم ، ومن اليهود والنصارى والرافضة في جملة عساكرهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، وتدرى من سعى في الأرض بالفساد ولج في الغواية والعناد وعام في بحر الضلالة وتدرع برداء الشرك والجهالة

﴿ وأما قوله ﴾ من غير مرة إن ديدن الوهاية تكفير كافة المسلمين بكل أمر فهي تكفرهم لتوسلهم بجاه الانبياء والاولياء وندام ﴿ فأقول ﴾ أما تكفير عامة المسلمين فمن الكذب الواضح وقد بيناه غير مرة وأما التوسل بجاه الانبياء والاولياء فالوهاية لا يكفرون بمجرد التوسل بجاههم وأما دعاؤهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم والاتجاء اليهم فهو كفر مخرج عن الملة وقد قدمنا أدلة ذلك وكلام أهل العلم في ذلك

﴿ وأما قوله ﴾ وتكفرهم بالحلف بغير الله ﴿ فأقول ﴾ وهذا أيضاً من الكذب على الوهاية والأوهام الويبة

﴿ وأما قوله ﴾ والنذر لذلك الغير والذبح له فسيأتي الكلام عليه قريباً ﴿ وقوله ﴾ ولوسلنا أن في بعض الاقوال التي تنسبها الوهاية الى المسلمين كفراً يصح أن يقال فيه إن قائل هذا القول يكفر لما صح أن تكفر جميع الامة أو تكفر

شخصاً معيناً قال ذلك القول فقد يكون القائل لم يبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق أو لم تثبت عنده أو لم يتمكن من معرفتها وفهمها أو يكون قد عرضت له شبهات يعذر به الله تعالى فيها

(فأقول) الوهابية لا يكفرون الا من كفر الله ورسوله وقامت عليه الحجة التي يكفر تاركها ولا يلزم من تكفير من قام به الكفر وقامت عليه الحجة تكفير جميع المسلمين فان هذا من اللوازم الباطلة والاقوال الداحضة (وأما) تكفير الشخص المعين فلا مانع من تكفيره اذا صدر منه ما يوجب تكفيره فان عبادة الله وحده لا شريك له من الامور الضرورية المعلومة من دين الاسلام فمن بلغته دعوة الرسول وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة (وأما) الامور التي لا يكفر فاعلها حتى تقوم عليه الحجة إنما هو في المسائل النظرية والاجتهادية التي قد يخفى دليلها (وأما) عباد القبور فهم عند السلف وأهل العلم يسمون الغالية لان فعلهم غلو يشبه غلو النصارى في الانبياء والصالحين وعبادتهم ، فمسألة توحيد الله واخلاص العبادة له لم ينازع في وجوبها أحد من أهل الاسلام لا أهل الاهواء ولا غيرهم وهي معلومة من الدين بالضرورة كل من بلغته الرسالة وتصورها على ما هي عليه عرف أن هذا زبدتها وحاصلها، وسائر الاحكام تدور عليه، قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الرد على المتكلمين لما ذكر ان بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الاسلام كثيراً قال «وهذا وإن كان في المقالات الخفية فقد يقال فيها إنه مخطيء» ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها لكن هذا يصدر منهم في أمور يعلمها الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والذبيّن وغيرهم فان هذا أظهر شرائع الاسلام ومثل إيجابه للصلاة والخمس وتعظيم شأنها ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ثم نجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين ، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشرّكين كما فعل أبو عبد الله الرازي - قال وهذه ردة صريحة» انتهى فالشخص المعين اذا صدر منه ما يوجب كفره من الامور التي هي من ضروريات الاسلام مثل عبادة غير الله

سبحانه وتعالى فان الله قد أقام الحجة بانزال كتبه وبعث رسله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهذا مما لا إشكال فيه

﴿وأما قوله﴾ فقد يقول القائل لم يبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق الى آخره ﴿فأقول﴾ أما ما عدا الامور الضرورية المعلومة من دين الاسلام فاننا لانكفر من قال قولاً لم يبلغه النص في ذلك بتكفير من فعله لان الشرائع لاتلزم الا بعد البلوغ وكذلك من لم يثبت عنده النص أو قام لديه معارض من نص آخر أو وقعت له شبهة يعذره الله بها هذا مما لا اشكال فيه عند أهل العلم

﴿وأما قول﴾ هذا الجاهل المركب أو لم يتمكن من معرفتها وفهمها (فأنما) هي من عدم معرفته بالفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة فان من بلغته دعوة الرسل فقد قامت عليه الحجة ان كان على وجه يمكن معه العلم ولا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الايمان والقبول والالتقياد لما جاء به الرسول فان فهم الحجة نوع آخر غير قيامها قال الله تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم إلا كلالعام بل هم أضل سبيلاً) وقال تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً) وقال تعالى (قل هل ننبيكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه) الآية (وأما قوله) فالذي يؤمن بالله ورسوله فان الله قد يغفر له برحمته بعض الذنوب القولية والعملية (فأقول) هذا حق وذلك فيمن أتى ذنباً لا يخرج من الملة أو كان ذلك القول أو الفعل مما ليس بضروري في الدين كما تقدم بيانه وأما من أشرك بالله في عبادته فقد قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فاما من أتى بالشرك الاكبر فانه قد حرم عليه الجنة وماواه النار وان زعم أنه مؤمن بالله ورسوله وتلفظ بالشهادتين فان هذا لا ينفعه مع فعل الشرك المخرج من الملة كدعائه غير الله واستغاثته بمن سواه والالتجاء اليه وطلب الخوائج من الولايج فان هذا مناف لشهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وما نزل من الآيات في الوعيد على من اقترف ذنباً لا يخرج من الاسلام

فهو تحت مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه ولا يكفر بهذه الذنوب الا الخوارج ﴿ وأما قوله ﴾ قال ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين ما ملخصه ان أهل السنة متفقون على أن الشخص الواحد قد يكون فيه ولاية لله تعالى وعداوة من وجهين مختلفين وقد يكون فيه إيمان ونفاق وإيمان وكفر ويكون أحدهما إليه أقرب من الآخر فيكون من أهله قال الله تعالى (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) (فأقول هذا حق) فقد يكون الشخص فيه ولاية لله تعالى وعداوة وذلك كمثّل الصحابي الذي كان يكثر من شرب الخمر فقال رجل: لعنه الله ما أكرما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تلعه فانه يحب الله ورسوله » وكذلك من كان فيه خصلة من النفاق كمن اذا خاصم فجر واذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر وكذلك الكفر مع الايمان كقوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ومن حلف بغير الله فقد كفر الى غير ذلك من الامور التي لا تخرج من الملة من الاقوال والاعمال وبالجملة فالقلب الذي لم يتمكن منه الايمان ولم يزهّر فيه سراجُه حيث لم يتجرد للحق المحض الذي بعث الله رسوله بل فيه مادتان مادة منه ومادة من خلافه فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر والحكم للغالب واليه يرجع فهذا وأمثاله لا يدخل في مسألة من صرف لغير الله نوعاً من العبادة فانا قد بينا فيما تقدم الادلة على كفره من الكتاب والسنة وأقوال العلماء فالمغالطة بادخال هذه الامور في مسألة عبادة غير الله سفسطة وتمويه ومزج للحق بالباطل فسحقاً وبعداً للقوم الظالمين

﴿ وأما قول العراقي ﴾ أما الحلف بغير الله فلا يخرج مرتكبه عن الاسلام الى آخر كلامه (فأقول) قد كان من المعلوم ان مجرد الحلف بغير الله لا يخرج من الملة ومن زعم انا نكفر بهذه الاشياء كفرأ مخرجاً عن الملة فهو من أ كذب خلق الله وأجرثهم على الفرية وقول الزور وقد ذكر ابن القيم رحمه الله ان من عظم مخلوقاً بالحلف تعظيماً كتعظيم الله فقد أشرك شركاً أكبر وقال لما عُدّ من هذه الالفاظ ونحوها في شرح المدارج وقد يكون ذلك شركاً أكبر بحسب ما قام بقلب

فأعله وحديث ابن عمر صريح في اطلاق الكفر والشرك بالحلف بغير الله فمن منع الاطلاق فهو مشاق لله ولرسوله ولكن ساق البخاري في صحيحه قول ابن عباس كفر دون كفر وشرك دون شرك وظلم دون ظلم

﴿ وأما قوله ﴾ من حلف بغير الله فقد كفر فقد حمله أئمة الحديث من شافعية وحنفية وحنابلة ومالكية على أن المقصود به كفر النعمة (فأقول) هذا الحمل ضعيف جدا إذ ما من معصية وذنب يفعله المكلف المختار الا وفيه من كفر النعمة بحسبه والشكر هو استعمال النعمة في طاعة معطيها ومسديها مع محبته والرضا عنه والثناء بها عليه والشكر ضد الكفر فمن أخل بشيء من الشكر ففيه من كفر النعمة بحسب ذلك فتحصل ان كفر النعمة لا يختص بما أطلق عليه الشارع الكفر من الافعال فلا بد للنص من معنى يخصه وحكمة في تخصيص بعض الافراد وهذا معلوم بالشرع والفطرة إذ تخصيص بعض أفراد الجنس من غير مخصص يقتضي ذلك تحكم محض وترجيح بلا مرجح

﴿ وأما قوله ﴾ حتى إن أصحاب الشافعي قالوا بأنه مكروه تنزيها لا تحريما فالحلف الذي قد اختلف فيه العلماء أنه مكروه أو حرام لا يجوز ان يقال في مرتكبه إنه كافر خارج عن الملة (فأقول) اما كونه مكروها كراهة تنزيه لا كراهة تحريم فهذا مما لا دليل عليه من الكتاب والسنة بل هو عرف حادث والكراهة في عرف الكتاب والسنة وقدماء العلماء تطلق على التحريم قال الله تعالى بعد ذكر المحرمات (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً) وكما في الحديث « ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » فلا عبرة بخلاف من خالف ما يقتضيه الكتاب والسنة بالاصطلاح الحادث واما دعوى أن ذلك يخرج عن الملة فقد بينا أنه من الكذب والبهتان

فصل

﴿ ثم قال العراقي ﴾ وأما النذر لغير الله فقد صرح الشيخ تقي الدين ابن تيمية وابن القيم وهما من أعظم من شدد فيه بعدم جوازه وكونه معصية لأنه كفر وشرك مخرج عن الاسلام فلا يجوز الوفاء به ولو تصدق بما نذر من ذلك على من يستحقه من الفقراء كان خيراً له عند الله فلو كان النذر لغير الله كافراً لما أمراه بالصدقة لان الصدقة لا تقبل من الكافر بل أمراه بتجديد إسلامه

﴿ والجواب أن نقول ﴾ قد أجاب على هذه الشبهة شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله في رده شبهات داود ابن جرجيس فقال رحمه الله « ليس في كلام الشيخ وكلام ابن القيم ما يدل على أن النذر الواقع من عباد القبور لمن يدعونه ويقصدونه لحوادثهم واغاثتهم في الشدائد ليس بشرك بل كلام الشيخ وابن القيم صريح في أنه نذر معصية واشراك بالله تعالى فكيف يسوقه وقد عده ابن القيم من أنواع الشرك الاكبر وقرنه بالتوكل على غير الله والعمل لغيره والالاباة والخضوع والذل لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره وقد تقدم ذلك فراجع كلامه في موضعه تعرف كذب هذا العراقي على الله وعلى رسوله وعلى أولي العلم من خلقه فرحم الله امرأً نظر لنفسه قبل أن نزل قدمه ويحال بينه وبين أهل العمل وكذلك الشيخ صرح بأنه معصية والمعصية تصدق بالشرك وغيره من الكبائر اذا أطلقت واستدلال المعارض بأنه لم يقل هذا هذا النذر كفر مخرج عن الملة فاطلاق المعصية كاف في المقصود وأيضاً فالكفر انما يطلق بعد قيام الحجة وقول العراقي فكيف يكفر من نذر لاحد الانبياء وقصده لوجه الله في هذه العبارة شيئاً (الأول) استبعاد تكفير من نذر للانبياء وجعله ذلك دون النذر للشجرة والبقعة مع أن الفتنة بقبور المعظمين أشد محنة من الشجر والبقاع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فالشرك بالانبياء والصالحين أخوف وأعظم فتنة كما هو معروف (والثاني) إضافة النذر لأحد الانبياء وقوله بعده وقصده لوجه الله فاذا كان النذر نفسه

للانبياء والصالحين بطل قوله وقصده نوجه الله وإنما يكون ذلك نذراً لله وحده وجعل الثواب لمن شاء من عباده ومسألة اهداء ثواب القرب الى الانبياء لا يخفى ما فيها من القول بالمنع على من له أدنى ممارسة والقصد هنا بيان تناقض العراقي وإن كلامه يدفع بعضه بعضاً وقوله فإن ذلك لا يضر بالاتفاق كذب ظاهر فإن قول الشيخين إنه يصرف الى الفقراء دليل على أنه يضر إذا صدر منه لغير الله وأنه مأمور بالتوبة وصرف ذلك الى الجهة المشروعة وقد صرف النبي صلى الله عليه وسلم مال اللات في الجهاد والمصارف الشرعية التي يستعان بها على عبادة الله وحده لا شريك له والاستدلال بصرفها في ذلك المصروف الشرعي على أنها شرك وضلال أوجه من الاستدلال بذلك على أن النذر للأصنام ونحوها ليس بشرك ﴿ وأما قوله ﴾ فلو كان الناذر كافراً عندهما لم يأمره بالصدقة ، فإن الصدقة لا تقبل من الكافر

﴿ فالجواب ﴾ من وجوه الأول أنه إذا أقلم عن الذنب وصرف المال في مصرفه الشرعي فماذا رجوع عما كان عليه وتوبة منه ، الثاني أنه لا يقال بالكفر مطلقاً لكل ناذر لغير الله حتى تقوم الحجة الرسالية ، وأما ما نقله عن ابن القيم فقد صرح فيه بأنه نذر معصية وإشراك ، وشبهة هذا العراقي أنه لو كان شركاً لمخرجاً عن الملة لما جاز صرفه للفقراء .

﴿ فالعراقي ﴾ لم يفرق بين النذر والمنذور ، فكون النذر شركاً لا يمنع الانتفاع بالمنذور في الجهة الشرعية كما تقدم من فعله صلى الله عليه وسلم بمال اللات (الوجه الثالث) أن الذي يصرفه في المصارف الشرعية ولاية الأمر ، وأهل العلم ، وليس المقصود أن يصرفه الناذر نفسه ، فإن هذا لا يعتبر بل يرد إلى المشروع قسراً ويعامل بنقيض قصده وكلام الشيخ وأمثاله من أهل العلم ليس حجة مستقلة بل الحجة فيما يساق من الأدلة وقد تقدم أن القصد هنا بيان جهله بكلام الشيخ والكشف عن تحريف هذا العراقي لما نقله عن الشيخين ، وإلا فالمرجع إلى أدلة الكتاب والسنة قال الله تعالى (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) وقال تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً) فوصف

خواص عباده بالوفاء، بالنذر وأثنى عليهم بذلك، وفي الآية الاخرى الوعد بالاثابة والجزاء فثبت أنه عبادة يحبها الرب ويرضاها، أي الوفاء به وما كان كذلك فيجب اخلاصه لله، لان صرف العبادة لغير الله شرك

وفي حديث علي « لعن الله من ذبح لغير الله » وهذا العراقي وأمثاله من القبورين دفعوا في صدر النصوص وردوها بشبهات وهذيان لا يصدر عن عقل ما يقول، وفي آخر العبارة التي نقلها العراقي عن شيخ الاسلام ابن تيمية « وهذا الحكم عام في قبر نفيسة ومن هو اكبر من نفيسة من الصحابة مثل قبر طلحة والزبير وغيرهما بالبصرة، وفي سلمان وغيره بالعراق » (قلت) وفيها بيان تدليس العراقي وأنه أسقطها ليروج قوله: فكيف يكفر من نذر لأحد الانبياء والصالحين الى أن قال الشيخ « فيعتقدون أنها باب الخوائج الى الله وأنها تكشف الضر أو تفتح الرزق أو تحفظ مصرفان هذا كافر مشرك يجب قتله وكذلك من اعتقد ذلك في غيرها كائناً من كان (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً - قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) والقرآن من أوله الى آخره بل وجميع الكتب والرسل انما بعثوا بان يعبد الله وحده لا شريك له، وأن لا يجعل مع الله الهاً آخر والاله من يأله القلب عبادة واستعانة واجلالاً واكراماً وخوفاً ورجاء كما هو حال المشركين في آلهتهم، وان اعتقد المشرك أن ما يأله مخلوق ومصنوع كما كان المشركون يقولون في تلييتهم: لييك لا شريك لك لا شريك هو لك تملكه وما ملك، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين الخزاعي « يا حصين كم تعبد » قال أعبد سبعة آلهة ستة في الارض وواحد في السماء، قال « فمن الذي تعدل رغبتك ورهبتك ؟ » قال الذي في السماء، قال يا حصين فاسلم حتي أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، فلما أسلم قال « قل اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي » والله أعلم انتهى

(قلت) فانظر الى تصريح الشيخ ان من اعتقد في مخلوق أنه باب الخوائج الى الله يعني واسطة في الخوائج أو أنه يكشف الضر أو يفتح الرزق أو يحفظ

مصر أنه كافر مشرك يجب قتله وهذا بعينه هو معتقد عباد القبور الناذرين للموتى المستغيثين بهم وهو طريقة العراقي ومذهبه الذي نصره وقرره واستظهره وزعم أنه لا يضر الا اذا اعتقد الاستقلال بغير الله كما مر عنه في غير موضع وسيأتيك هذا التقييد فيما يأتي من كلامه في مواضع متعددة ، والشيخ قد رد عليه في هذا وابطل هذا الشرط بقوله ، وان اعتقد المشرك ان ما ياله مخلوق مصنوع وساق ما يقوله المشركون في تلبينهم وساق حديث حصين وهذا لان الآيات القرآنية دالة على تكفير هذا النوع ، أعني من اتخذ الشفعاء والوسائط وقصدهم في حاجاته وملاماته كما كان يفعل المشركون مع آلهتهم فكل هذا أعنى الله بصيرة العراقي عنه (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

قال الشيخ صنع الله الحلبي نزيل مكة ، وأما كونهم جوزوا الذبائح والنذور وأثبتوا لهم فيها ما الأجور فيقال هذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان وفلان فهو لغير الله فيكون باطلا وفي التنزيل (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وأنه افسق (والحديث « لا نذر إلا فيما يتغى به وجه الله » متفق عليه . وورد أن من حلف بغير الله فقد أشرك ، رواه الحاسم وغيره ونحو النذر لغير الله الذبح وفي التنزيل (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) الآية أي ان صلاتي وذبحي لله كما به نظير قوله تعالى (فصل لربك وانحر) الآية وفي الحديث « لا نذر في معصية الله » رواه أبو داود وغيره والنذر لغير الله إشراك مع الله فلا أكبر من معصيته وفي التنزيل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) الآية . فالنذر لغير الله كالذبح لغيره

« وقال الفقهاء خمسة لغير الله شرك ، الركوع والسجود والذبح والنذر والتيمين ومن ذكر غير اسم الله على ذبيحته فهي ميتة يحرم أكلها ولو أشرك مع اسمه أحداً كقوله باسم الله ومحمد صلى الله عليه وسلم بواو العطف فكذا تحرم ذبيحته وكذا لو ترك اسم الله عمداً على الذبيحة لا تؤكل عندنا فهي ميتة بصريح قوله جل ذكره (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) فترك المؤمن ذكر الله عمداً كذكر غيره . نعم لو قال هذا النذر لله يذبح في مكان كذا وبصرف على جماعة

فلان أو على رباط فلان فلا بأس به كما في الوقف على فلان وفلان فإن قوله **لله** ملك له وتصرف غلته على من عينه الواقف وكذا هنا . والحاصل أن النذر لغير الله فخور فمن أين لهم الأجور ، وكذا الذبائح ومن قال إن هذا النذر لفلان وهذه الذبيحة لفلان فهو من العصيان ، ومن نذر لله ذبحاً أو غيره وقال يذبح بمكان كذا وبأكله قوم جاز والله الهادي

«قلت وإذا نذر لله وجعل مصرفه على السدنة والمجاورين عند القبور فهو نذر معصية لا يجوز مصرفه في القرب الشرعية كالحجاج والمعتكفين في المساجد وقد ذكر هذا غير واحد والمنع منه لما فيه من الأعانة على العكوف عند القبور الذي هو من أكبر الوسائل والذرائع إلى عبادتها أو دعائها قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) وفي الحديث أن رجلاً نذر أن ينحر إبلاً ببوانة قبل إسلامه ، فلما أسلم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نذره فقال « هل كان بها وثن من أوثان الجاهلية ؟ » قال : لا ، قال « هل كان بها عيد من أعياد الجاهلية ؟ » قال : لا ، قال « فأوف بنذرك » ففيه المنع من عبادة غير الله في أماكن الشرك وعبادة غيره لمشابهة الصورة ، وإن لم تقصد فكيف بالذرائع والوسائل القريبة المفضية إلى عين الشرك ، ونفس المخذور إلا كبير فقف وتأمل إن كان لك بصيرة تدرك بها أسرار الشريعة » انتهى

(وأما قوله) وأما الذبح فقد ذكره ابن القيم في المحرمات لافي المكفرات إلا إذا ذبح لما عبد من دون الله وكذلك أهل العلم ذكروا أنه مما أهل به لغير الله ولم يكفروا صاحبه

(فالجواب أن نقول) ما ذكره في كتاب الكبائر من الذبح لغير الله وجعله من المحرم فنعم هو محرم قال تعالى (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشرکوا به شيئاً — إلى قوله — لعلمكم تتقون) فجعل هذا كله محرماً هذا عرف القرآن والسنة والشرع والعراقي لجهله وسوء قصده يحمل كلام أهل العلم على العرف النبطي الحادث واصطلاح العامة فقاتل الله الجهل والهوى ، فما أغلظهما حجاً بين العبد والهدى

قال شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم « وأيضاً فان قوله تعالى (وما أهل به لغير الله) ظاهره ماذبح لغير الله سواء لفظ فيه به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ماذبح للحم ، وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما أن ماذبحناه متقرين به إلى الله أركى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله ، فان عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فوائح الامور ، والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه لحرم ، ولو قال فيه بسم الله كما يفعله طائفة من منافقي هذه الامة ، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن » انتهى كلام الشيخ . فأخذ هؤلاء المعترضون السطر الاخير من كلامه أو بعض السطر ، وأخذ المشبه وترك المشبه به لأن في الاول التصريح بردة من ذبح لغير الله ، وأن الذبح للجن مانع آخر لأنه مما أهل به لغير الله ، وقوله في العبارة فان عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فوائح الامور ، والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله فتركوا هذا وسرقوا بعض العبارة واختلسوا منها كلختلاس الشيطان من صلاة العبد واختطافه بعضها ، وفي العبارة التصريح بكفر من استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله خلافاً للعراقي وشيعته من عباد القبور الصادقين عن سبيل الله المحرفين للكلام عن مواضعه ، الوارثين لليهود في تحريف كلمات الله وتبديل دينه

وقال صاحب الروض من كتب الشافعية « اذا ذبح المسلم للنبي صلى الله عليه وسلم كفر » نقله شيخنا رحمه الله وذكره غير واحد من المفسرين في الكلام على (وما أهل لغير الله به) ونقل بعضهم عن فقهاء بخارى أنهم أفتوا بتحريم ما عقر بين يدي الملوك تعظيماً لهم لانه مما أهل لغير الله به . قال العلامة الشوكاني « قال بعض أهل العلم إن أراقة دماء الانعام عبادة لأنها إما هدي أو أضحية أو نسك وكذلك ما يذبح للبيع لانه مكسب حلال فانه عبادة ويتحصل من ذلك شكل وضي هو أراقة دم الانعام عبادة وكل عبادة لا تكون إلا لله ، فأراقة دم الانعام لا تكون إلا لله ، ودليل الكبرى قوله تعالى (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

وإياي فاعبدون إياك نعبد وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه * وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) انتهى ، ويكفي المؤمن في هذا الباب قوله تعالى (قل إن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقوله تعالى (أنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وأنحر) وقال تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم ، وبشر المحسنين) فإن الاحسان أعلى مراتب الايمان ، ودخول العبادة فيه لأن السياق لها ظاهر لا يخفى

« وفي المسند عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب » قالوا كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال « مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب اليه شيئاً ، فقالوا لأحدهما : قرب ، قال ما عندي شيء ، أقربه ، قالوا : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار ، فقالوا للآخر : قرب قال ما كنت أقرب لأحد دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة » فقف عن هذا وتأمل حكمة الشريعة وسرها في اخلاص العبادة والتعظيم الذي لا ينبغي إلا الله ولو باحقر شيء ، كالذباب فكيف بكرائم الاموال والله المستعان » انتهى

ثم أن من العجب استدلال هذا الملحد بكلام ابن القيم رحمه الله تعالى في هذا الموضع وفي غيره مما تقدم

وهذا الملحد قد ذكر فيما تقدم من قوله : والوهابية قد خبطت كل الخطب في تنزيهه تعالى حيث أثبت الاله استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه ، وأثبتت له الوجه واليدين ، وبعضته سبحانه فجعلته ناسكاً بالسموات على أصبع ، والارض على أصبع ، والشجر على أصبع ، والملك على أصبع ، ثم أثبتت له الجهة فقالت : هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالاصابع إلى فوق إشارة حسية ، وينزل إلى السماء الدنيا ويصعد . وقد علمت أن نفي هذا وجعله هو مذهب الجهمية وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الامام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبراني
فذكر رحمه الله كفرهم عن خمسمائة عالم . وقال شيخ الاسلام لما ذكر أهل
الاهواء قيل لابن المبارك فالجهمية قال : ايست من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ،
خطائفة هذا الملحد عند شيخ الاسلام وابن القيم هم من أكفر خلق الله وأبعدهم
عن سواء السبيل .

قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الشافي : الشرك شركان ، شرك يتعلق
بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان
صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، والشرك
الاول نوعان : أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ
قال : وما رب العالمين ، وقال تعالى مخبراً عنه (ياها مان ابن لي صرحا لعلي اطلع
إلى إله موسى وأني لأظنه كاذبا) فالشرك والتعطيل متلازمان ، فكل مشرك
معطل ، وكل معطل مشرك ، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل ، بل قد يكون
المشرك مقربا لخالق سبحانه وصفاته ، ولكن عطل حق التوحيد ، وأصل الشرك
وقاعده التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام : تعطيل المصنوع عن صانعه
وخالقه ، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله
وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد »

والمقصود أن هذا العراقي اجتمع فيه من الكفر تعطيل الصانع سبحانه عن كماله
المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته فزعم أن الله تعالى ليس على السموات على عرشه ، ولا
هو فوقه ، ولا يشار اليه إلى فوق ، بل زعم أنما ورد من الاشارة اليه في السماء محمول
على أنه تعالى خالق السماء وأن السماء مظهر قدرته ، وأنكر عروج النبي صلى الله عليه وسلم
إلى السماء حين أسري به ، فقال وكذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج إلى موضع
يتقرب اليه بالطاعات ، وأنكر رؤية الله تعالى في الآخرة ، وأنكر أحاديث
النزول ، وذكر أن من قال أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل آخر ليلة ، فقد زعم
أن الله جسم ، وأن الله منزّه عن ذلك ، فعطل الله من أوصافه وأفعاله المقدسة
وأضاف إلى هذا الكفر الشرك في معاملته سبحانه بأجازته الاستعانة بغير الله

والاستشفاع به ، والاتجاء اليه ، وأن النذر والذبح غير الله ليس بشرك اذا اعتقد أن الله هو الخالق المتفرد بالابجاد ، وأنه هو المؤثر لا غيره ، ومع هذا كله يستدل بكلام شيخ الاسلام وابن القيم وهما يكفرانه وهو يعلم ذلك ولكنه أراد التلبيس على خفافيش الابصار أن شيخ الاسلام وابن القيم لا يكفران من نذر غير الله ، أو ذبح غير الله . والمقصود بيان ضلاله وخروجه عن الصراط المستقيم ، واتباعه غير سبيل المؤمنين ، وأنه ممن نكب عن الصراط المستقيم ، ودخل في جملة أصحاب الحميم

فصل

(ثم اعلم) أيها الواقف على هذا الكتاب ، والناظر في هذا الجواب انا قد حررنا فيما مضى شيئاً يسيراً على ما اقتراه هذا العراقي على الوهاية من الكذب والزور ، والافك والفجور ، بزعمه أنهم نزعوا إلى الدولة الاجنبية يعني الاقلين النصارى ، وأنهم استعانوا بهم كما ذكره في مقدمة رسالته وفي آخرها ، قال «قراها تكفر من يتوسل إلى الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم ويستعين باستشفائه إلى الله تعالى على قضاء حوائجه وهي لا تخلج إذ تستعين بدولة الكفر على قضاء حاجتها التي هي قهر المسلمين وحربهم ، وشق عصاهم ، والمروق عن طاعة أمير المؤمنين الذي أمر الله تعالى في كتابه المبين بلزوم طاعته كما بسطناه في مقدمات الرسالة ، وتتخذ أعداء الدين أولياء تستمد منهم في احضار القوى التي تسعى بها إلى الفساد ، وتلج بها في الغواية والعناد ، قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سحفاً للوهاية إنها لا تدري أن أولئك الاولياء الذين تتخذهم ذريعة اقهر المسلمين اذا ثبت قدمهم فانهم يقهرونها ويهتضمونها أيضاً مع من تعده خصماً مخالفاً لمذهبها » هذا قول هذا الملحد بحروقه وجميع ما ذكره من الكذب الفاضح والأفك الواضح على الوهاية بل هؤلاء الذين يزعم أنهم المسلمون قد ظهر مكنون ما لديهم ومحصل ما انطوت عليه ضمائرهم من الميل الى أعداء الله وأعداء رسوله ودينه وهذا الملحد المفتري من

جملتهم ومن أنصارهم وأعدائهم، فإنه قد كذب على الوهابية ورماعهم بما هو وحزبه أهله لأهل الاسلام فقد أكذبه الله ونكسه على رأسه وعاد فجوره عليه وعلى من قام في نصرته بما أظهره واجتمعوا عليه من الدستور، وما أعلنوه من الكفر والفجور، سنة ١٣٢٦ است وعشرين بعد الثلاثة والالف فصرحوا فيه انها عيسوية موسوية عثمانية عربية وأن كل هذه الطوائف المتباينة في أديانها تكون اخوانا وانها تجتمع على حرب من خرج عن حكم هذا الدستور، ونصبوا في كل الاماكن من ديارهم مدارس يعلمون الناس دين النصرانية وجعلوا قاضياً عاماً من الاقيس الكفار يحكم بين الناس لانه بزعمهم أعلم بالسياسات يكون ذلك القاضي مصر^(١) فتبين بهذا أنهم هم الذين نزعوا اليهم واتخذوا أعداء الدين أولياء واخواناً وانهم هم الذين سحوا بهذا الى الفساد، ولجوا به في الغواية والعناد

قال الله تعالى « ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وهم العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء » الآية

وانهم هم الذين مرقوا عن طاعة أميرهم وسلطانهم حتى عزلوه وجعلوا الامر شورى بين من نزع الى أعداء الله ورسوله واتخذوهم أولياء وجعلوهم اخواناً واخذائاً، فما حكم به هذا المالحد في مقدمات رسالته من مروق الوهابية بزعمه عاد عليه وعلى اخوانه، فهلا نصح هذا العراقي نفسه ورجع اليها باللوم والعتاب، وترك أهل الاسلام المتمسكين بحكم السنة والكتاب الذين باينوا أعداء الله ورسوله من جميع الطوائف ولم يدخلوا تحت أوامرهم، ولا أخذوا بقوانينهم ولم يبنذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم كما فعله أعداء الله ورسوله وقد كان من المعلوم والمتقرر المفهوم ان ما حكاه عن الوهابية من نزوعهم الى الدولة الاجنبية انه من الكذب

(١) هذه المسألة لا نعرفها وأما كون الاتحاديين الذين نشروا الدستور كاذكر المؤلف وشراً بما ذكره في المروق من الاسلام واتخاذ الدستور ذريعة لذلك فقد أصبح الآن معروفاً لجميع الناس . وجميل صدقي الزهاوي لم يكتب كتابه الا دهانا لهم ونزلة اليهم ، والا فهو مصرح في شعره بالاحاد ، وبهم منه في كل واد .

الظاهر وأنه هو وأشياعه هم الذين نزعوا اليهم وحكموا قواينهم فبعد آلقوم الظالمين وهذا كتاب الله ينادي بكفر من اتخذهم أولياء قال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم» الآية

وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون» إلى غير ذلك من الآيات وهذا لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل ودين وقد وضح الحق واستبان وما بعد الحق إلا الضلال

والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وقد فرض عليّ جواب جميل رجل يقال له عبد الصمد ابن أحمد النساك وهذا جواب على تقريره ومن الله أستمد الصواب

ألا قل لأهل الجبل من كل مازق	وكل كفور من ذوي النقي مارق
كلام جميل لا جميلًا فينتقى	ولا بسديد يرتضى في الحقائق
على أنه همط وخرط ملفق	أكاذيب لا تعزى إلى نقل صادق
أتى فيه بالكفر الصريح مجاهرًا	ومرتضياً ما قد أتى من شقاشق
لعمري لقد أوهى به مبيع الهدى	وأعلى به سبيل الردى بالمخارق
وهدّ به ركنًا من الدين شامخًا	وشاد من الكفران أخضع زاهق
كتاب حوى أفكاراً ووراً ومنكرًا	وكفرًا وتعطيلًا لرب الخلائق
فغفل أوصاف الكمال لرنا	وعن كونه من فوق سبع الطرائق
وأنكر معراج الرسول حقيقة	بذات رسول الله سبحانه للمارق

وأوله تأويل من ليس مؤمناً
وأنكر رؤيا المؤمنين لربهم
وسمى كتاب الله والسنن التي
ظواهر لا تبدي يقينا لأنها
فلا يستفيد المؤمنون بها الهدى
فان خالفت معقول من أسسوا لهم
فحق على كل امرئ بل وواجب
وتعريف للمرجوح عن حكم راجح
والا فبالنفويض حتماً لديهم
وتفويضهم لإبطالها عن حقائق
فلا عالماً بالعالم فيما لديهم
ولا قادراً ذو قدرة وصفاته
فليست معانيها باسماء ربنا
وقدم حكم العقل حتماً بزعمه
لان لديهم انما العقل أصله
فتبا لمن ييدي ثناء ومدحة
فما كان فخرأ صادقاً في ظهوره
ووالله ما أبدى صواباً ولم يكن
وليس يروق الكفر الا لزانغ
وجوز أن يدعى سوى الله بالرجا
وأن يستغيث المشركون بغيره
فتبا لعباد القبور الذين هم
فقد نبذوا الوحيين خلف ظهورهم
وقد أحكموا عقد الأخوة بينهم

بمن جاء بالوحيين أصدق صادق
فتباً له تباً وسحقاً لما ذق
أنت عن رسول الله أركى الخلائق
على زعمه ظنية في الحقائق
ولكن بمعقولات أهل الشقاشق
قواعد كفر شائعات الشواهد
تؤول عن مدلولها بالمخارق
لأجل مقالات الغواة الموارق
إذا لم تؤول في خلاف الحقائق
تدل عليها بالمعاني الشقائق
ولا راحاً ذو رحمة بالخلائق
تؤول عن وصف لها بالحقائق
بمشتقة ذا قول كل مشايق
على النقل فيما قد رأى كل مارق
وهذا اقتراء من جهول مما ذق
لتأليفه أو ماحوى من شقاشق
ولكنه فخران يبدو لرامق
على المنهج الأسنى وليس برائق
عن الحق أو مستغرق بالعوائق
وبالخوف والتعظيم فعل المشائيق
وان ياجئوا في كل خطب مضايق
حماة ذوي الاهواء من كل مارق
وقد حكموا القانون بين الخلائق
وبين النصارى واليهود الموارق

وآرائهم لم تقض الا اخوة
 وغابوا علينا باتباع نبينا
 وقد زعموا انا وهم أهل خلة
 ونحن براء من ذوي الكفر جملة
 ونحن على دين النبي محمد
 ونرمي عداة الدين من كل مارق
 ودونك من هذا الضياء شوارقا
 وتنتشر أعلام الهدى مستنيرة
 وتصعقهم صعقا فينثل عرشهم
 وذاك يقال الله قال رسوله
 وأتباعهم والتابعون ومن على
 وصل على المعصوم ربي واله
 وتابعهم والتابعين لنهجمهم
 وصلحنا وتوفيقا بمحض التطابق
 وقد تبعوا أحكام كل منافع
 لأهل الكتاب المارقين السوابق
 فلسنا وإياهم بحكم التوافق
 ونكفر بالطاغوت دين المشاقق
 وكل جهول ماذق بالجلال
 توضح منهاجا لأهدى الطرائق
 وتمحق أهل الكفر من كل مارق
 وتهدم من أركانهم كل شاقق
 وما قاله الأصحاب أهل السوابق
 طريقتهم من كل حبر موافق
 وأصحابه أهل النهى والحقائق
 على السنن المحمود من كل لاحق

تم الكتاب والحمد لله

تقريظ الشيخ محمد بن حسين الانصاري

طائر السعد بالتهاني أناني بسرور مبشراً بالاماني
 أن بدا طالع الزمان بحبر ثابت الجأش ماله من ثاني
 معلوم بها لقد أنعم الخصم هم وفيها قد قام بالبرهان
 أعني حبر الأنام قدوة نجد ذا سليمان عالي البنيان^(١)
 فسليمان جل قدراً وفضلاً وعلوماً تسمو مدى الملوان
 سالم العرض والشمال والآخر لاق مما يشين في كل آن
 قامع الملحددين منه بوعظ وبكتب تخال مثل السنان
 بلسان كوابل الغيث في السد لم وسيف في حلبة الميدان
 يفهم الخصم بالدليل والا فبعضب يري كيف يمداني
 يطالب الحق والرشاد إلى الخ حق له ديدن على كل شاني
 دام في العز والسعادة والمج سد بنصر وخصمه في الهوان
 في أمان الآله برعى وبخطى بالذي يرتجى ونيل الاماني
 مع عبود العزيز آل سعود نجل عبد الرحمن فخر الزمان
 جاهداً في الآله حق جهاد بسان وساعد وجنان
 شاهر السيف والسنان على من قد غدا ملحداً وذا عدوان
 ناصر الدين تابم الحق أضحي ثابت الجأش كامل الايمان
 دام يرقى الى المعالي بسعد وبنصر علا على رغم شاني
 قامع الابتداع من كل قطر مفهم القرن قائم البرهان
 ماتفتت بلباب الايك تشدو وتلتها حمائم الأغصان
 أو حدا بالقريض نجل حسين بر خليل في المند سيف يمانى

(١) لو قال : هو حبر الأنام قدوة نجد ذا سليمان شامخ البنيان

لسلم من الضرورة في المصراعين



﴿ فهرس كتاب الضياء الشارق ﴾

صحيفة

- ٢ مقدمة الكتاب
- ٣ الوهابية و منشؤها
- ٥ و ٢١ و ٢٥ نشأة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
- ٧ حال الناس وقت دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب كنجد والحجاز ومصر والعراق
- ١٣ دعوة الشيخ الى مذهب السلف وسبيل المؤمنين
- ١٦ تعييرهم بسكنى بلاد مسيلمة
- ١٩ و ٥٧ ما لقيته الدعوة في أول أمرها من الاضطهاد
- ٢٢ معارضة والد الشيخ وأخيه له
- ٢٧ و ٣٧ و ٣٩ و ٦٧ مفتريات الضلال والملاحدة على دعوة الشيخ
- ٢٨ فرية احراق الشيخ لكتب الفقه والفسير والحديث
- ٣٠ و ٣٥ الدفاع عن الشيخ وطريقته (قصيدة)
- ٣٢ و ٧٢ الاهتمام بالكتاب العزيز وتطبيقه على أعمال الناس
- ٣٤ تكفير من أشرك بعبادة ربه
- ٤٠ مناهضة حكومتى الترك ومصر للدعوة في مهندها
- ٤٧ و ٥١ تأويل أحاديث الخوارج على أهل نجد
- ٤٩ الخوارج من العراق لا من نجد
- ٥٣ الفرقان بين أهل نجد والخوارج
- ٥٤ اصلاح الشيخ ابن عبد الوهاب لنجد
- ٥٥ الدعاء المشروع عقب الصلوات الخمس
- ٥٦ ما يجوز وما لا يجوز من اطلاق لفظ مولى وسيد
- ٥٨ التنازع بين آل سعود وآل الرشيد
- ٥٩ و ٦٣ كيف استرد الامام عبد العزيز ملكه من ابن الرشيد
- ٦٢ مناصرة الترك لابن رشيد على ابن سعود
- ٦٤ فرية النجاء والد الامام ابن سعود الى الانكار
- ٦٥ أيام الامام عبد العزيز آل سعود في خصومه وشيء من سجايه
- ٦٧ مقارنة بين دعوة الوهابيين وعقائد خصومهم
- ٧٥ دعوة الشيخ الى الكتاب والسنة
- ٧٨ ايمان الشيخ بصفات الله من الاستواء على العرش ونحوه
- ٨٠ مذهب السلف في الصفات لا تعطيل ولا تمثيل
- ٨٢ الجهة والتحبز والجسم وما قيل فيها نفيا وإثباتا

- ٨٤ رد الجهمية لنصوص النزول والاشارة اليه تعالى
- ٨٦ صفات الله تعالى لا تتوهم بالوهم وكلام الامام أحمد بن حنبل في ذلك
- ٨٧ رد عثمان بن سعيد الدارمي على بشر المريسي
- ٨٨ « الجهمية صفة الاستواء بقياسها على المحدثات
- ٨٩ مذاهب الشيعة في الصفات والتجسيم
- ٩٠ نيز الشيخ ابن عبد الوهاب للاوهام التي تنافي الكتاب والسنة
- ٩١ مجمل دعوة الوهابية وما كذب الناس عليها
- ٩٤ نيز أهل السنة بأنهم مجسمة
- ٩٦ صفة الاستواء وما جاء عن السلف والاشعري في اثباتها
- ١٠١ نيز أهل السنة بتبعيض الله تعالى
- ١٠٣ مذهب السلف إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت واتباع الوهابية له
- ١١٤-١٠٥ فلسفة القدماء في حقائق الاجسام وتركيبها ومعنى الجسم والجوهر الفرد
- ١١٦ دعوى استلزام صفات الله تعالى للجسمية وردّها
- ١١٨ رؤية الباري غير إدراكه وتفسير الادراك
- ١٢١ الاشارة الى الله لا تستلزم الجسمية المعروفة
- ١٢٣ كروية الارض واستدارة الافلاك لا تنافي علو الله تعالى
- ١٢٤ العلو حقيقي واضافي
- ١٢٦ ليس لاستواء الله تعالى على العرش لوازم باطلّة
- ١٢٧ اختلاق الشبه لرد صفات الله تعالى
- ١٢٨ كلام ابن الما جشون في الجهمية
- ١٣١ ايمان الوهابية بنصوص الصفات بلا تشبيه ولا تحريف
- ١٣٢ بطلان تأويل النصوص لنظريات العقول
- ١٣٤ لا يجوز أن يكون خاف الامة أعلم من سلفها بالدين
- ١٣٦ موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح
- ١٣٧ تخالف العقل والنقل عند الجهمية والمبتدعة
- ١٤١ تقديم السلف النقل على ما خالفه من العقل
- ١٤٢ مثل العقل مع النقل مثل العامي مع المقتي
- ١٤٤ ما جاء عن الرسول لاحاجة في إثباته الى العقل
- ١٤٦ اذا تعارض العقل والنقل قدم القطعي منهما
- ١٤٨ كل ما عارض الشرع باطل

- ١٥٢ فساد تاويل ما يسمونه متشابها
 ١٥٣ دعوى رد الوهابيين للاجماع
 ١٥٤ ليس كل من نطق بالشهادتين مسلما
 ١٥٦ أنواع الاستشفاع بالرسول وما هو منه شرك
 ١٥٨ القياس المقبول والمردود
 ١٦٠ تقليد المجتهدين وما يسوغ منه
 ١٦٢ العمل بالكتاب والسنة لا يستلزم الاجتهاد المعروف
 ١٦٤ المسائل الاجتهادية لا كفر فيها
 ١٦٦ الشرك والكفر منها المخرج عن الملة وغير المخرج
 ١٦٨ الخلاف في تكفير فرق الضلال
 ١٧٠ كلام الأئمة في تكفير الجهمية
 ١٧٢ « الامام ابن آية في البدع والمبتدعين »
 ١٧٣ تناقض الطاعن في الوهابية في أقواله
 ١٧٥ الاستغانة بالانبياء والاولياء والتوسل بهم
 ١٧٧ ما جاء من الآيات في كفر من يدعو غير الله تعالى
 ١٨٠ شرك الجاهلية عين شرك القبورين
 ١٨١ عبادة غير الله تعالى شرك ولو سميت توسلا
 ١٨٣ سبب عبادة الاوثان وعبادة القبور واحد
 ١٨٥ اعتراف الجاهلية بان الله خالقهم وقاتلهم
 ١٨٧-١٩٤ أنواع الشرك وحقيقته
 ١٩١ الغلو في تعظيم الصالحين سبب غيادتهم
 ١٩٦-٢٠٩ الاستغانة دعاء وقد تكون عبادة وحقيقة العبادة
 ٢٠٢ التوسل وحقيقته وفلسفته
 ٢٠٤ الكرامات والفتنة بها
 ٢٠٦ الاسباب والمسببات وتعليل الاشياء
 ٢٠٨ شبهة من أجاز الاستغانة بغير الله تعالى وسماها توسلا
 ٢١١ أفعال العباد ونسبتها اليهم حقا
 ٢١٣ و٢٠٨ دعوى تحوير العلماء للاستغانة بغير الله تعالى
 ٢١٤ ابن طهمة ثقة وليكنه مدلس
 ٢١٦ الرمي المثني والمثبت في آية (وما رميت إذ رميت)

صحيفة

٢٢٠ الوسيلة المشروعة وغير المشروعة و٢٢٤ التوسل الشرعي وغير الشرعي
٢٢٢ تفسير آية (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة)
٢٢٦ آية (ولو أنهم إذ ظالموا أنفسهم جاءوك) ليست في زيارة الرسول بعد موته
٢٣٢ الاستغاثة بالاموات اتكالا على كراماتهم
٢٣٣ معنى آية (لا يمكن الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً)
٢٣٦ الشفاعة يوم القيامة لا تبيح دعاء الموتى اليوم
٢٣٧ الكلام على حديث « اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك »
٢٣٩ « « « الاعمى الذي توسل بالنبي (ص)
٢٤٤ « « « مجيء بلال بن الحارث إلى القبر للسقيا به
٢٤٦ « « « توسل عمر بالعباس بعد موت النبي (ص)
٢٤٧ بطلان دعوى عدم الفرق بين الاحياء والاموات في التوسل
٢٥٠ الاعتذار عن العامة في قولهم للميت : أدركني ، مددك
٢٥٧ أحاديث الدعاء عند انفلات الدابة لحبسها
٢٦٠ بطلان الاستشهاد بالميت والغائب
٢٦٢ حكم الشرع باظهار دون الباطن
٢٦٥ زيارة القبور الشركية وفلسفتها
٢٦٨ الشفاعة الشركية ونفيها
٢٧٠ الزيارة الشركية وآدابها
٢٧٣ منكرات القبورية
٢٧٦ شد الرحال الى زيارة القبور
٢٧٨ سماع الموتى السلام عليهم
٢٨٠ تعلق الارواح بالاجساد وأنواء
٢٨٢ تفسير آية (ربنا أمتنا اثنتين)
٢٨٣ حياة الانبياء في قبورهم
٢٨٦ حديث صلاة موسى في قبره
٢٨٨ و٢٩٢ النهي عن الحلف بغير الله
٢٩٠ تكفير من خرج من قطعيات الدين
٢٩٤ النذر للانبياء والصالحين شرك وضلال
٢٩٦ اعتقاد قضاء الحاجات في الاموات كفر صريح
٢٩٨ النذر والذبح لغير الله ومصرفه وحكم فاعله
٣٠٢ خاتمة الكتاب